بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل هذه المادة من:

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

الدكتور شوقي أبو خليل

الإسلام

... وكفى !؟!؟!



دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

شوقي أبو خليل

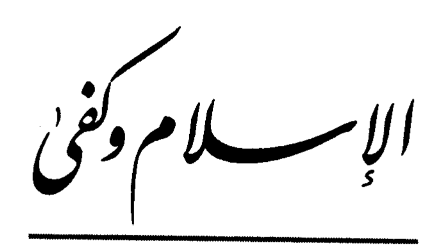
- من مواليد ١٩٤١
- دكتوراه في التاريخ الإسلامي
- تقلب في الوظائف التربوية بين التدريس والتوجيه والمناهج
- محاضر في كلية الشريعة بجامعة دمشق
- أستاذ السيرة والحضارة العربية الإسلامية في معهد جمعية الفتح الإسلامي (حالياً)
- مدير النشر في دار الفكر - دمشق (حالياً)

له أكثر من ستين كتاباً، منها:

سلسلة أطالس إسلامية (أطلس القرآن، أطلس الحديث النبوي، أطلس دول العالم الإسلامي، أطلس السيرة النبوية، أطلس التاريخ العربي الإسلامي)

- غزوات الرسول الأعظم ﷺ ١ - ١٠
- المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام ١-٢٠





مقالات صدرت في سلسلة

مع الحدث

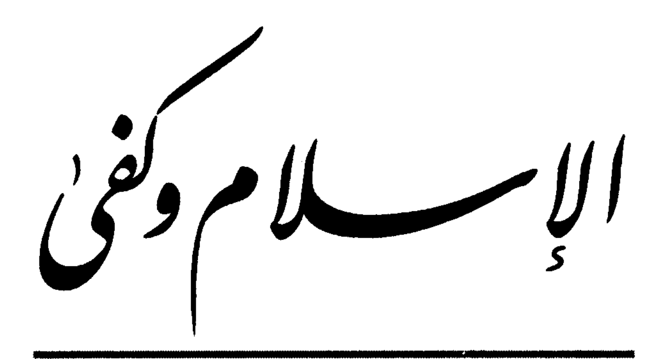
الإسلام وكفى: مقالات صدرت في سلسلة مع الحدث/ تأليف شوقي أبو خليل .- دمشـــق: دار الفكر ٢٠٠٧ .- ٣٢٨ص؛ ٢٤ سم.

ردمك **ISBN: 59239-697-6**

١- ٢١٨,٨ خ ل ي إ ٢- العنوان ٣- أبو خليل

مكتبة الأسد

الدكتور شوقي أبو خليل



مقالات صدرت في سلسلة

مع الحدث



آفاق معرفة متجدّدة

الرقم الاصطلاحي: ٢٠٤٠,٠١١
الرقم الدولي: ISBN: 1-59239-697-6
الرقم الموضوعي: ٢١٨
الموضوع: الموضوعات الإسلامية المتنوعة
العنوان: الإســـلام وكفى
مقالات صدرت في سلسلة مع الحدث
التأليف: د. شوقي أبو خليل
التنفيذ الطباعي: دار الفكر - دمشق
عدد الصفحات: ٣٢٨ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة



دار الفكر

دمشق - برامكة
ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢١١١٦٦
Http://www.fikr.com
e-mail: info@fikr.com

الطبعة الأولى

رمضان ١٤٢٨هـ

أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٧م

المحتوى



مقدّمة

الحمد لله على نعمائه، والصَّلاة والسَّلام على محمد آخر أنبيائه، وعلى آله وأصحابه، وبعد..

فقد صدر من سلسلة (مع الحدث) عشرون كتيِّباً، لاقت قبولاً ملفتاً للنَّظر، ولا أدلَّ على ذلك من تعدُّد طبعها، فبعضها طُبِعَ ثماني طبعات في أقل من عام واحد.

إنَّها وجبات خفيفة في حجمها، دسمة تلقَّاها القارئ النَّهم، كما تلقَّاها من لم يقرأ منذ سنوات، ومن لم يقرأ من عشرين سنة ساعة، ولأنَّها موضوعات نحياها، إنَّها موضوعات السَّاعة.

واقترح كثير من القرَّاء النَّهمين جمعها في كتاب لجعله مع نظائره في مكتباتهم، وها نحن أُولاء نفي بوعدنا حين اكتمال العشرين منها.

١- إسلام ومسلمون، هل الإصلاح ممكن؟ وضمّ:

- الإسلام وكفى.

- أخطاء تاريخيَّة آن تصويبها.

- مصطلحات مشوَّهة.

- فتح أمِ استعمار؟

- أيُّها المدَّعي أين الدَّليل؟

- الإسلام واللَّجنة الدّوليَّة للصَّليب الأحمر.

- حوار الفاتيكان والإسلام، كيف بدأ وعَلامَ انتهى؟

- لماذا سقط العالم الإسلامي؟

- فليس منهم.

- اتَّحد الأُوربيُّون، فمتى يتَّحد العرب؟

٢- حزيّة رأي على الطّريقة الغربيّة، وضمّ:

- هل يستطيعون إطفاء نور القمر؟

- إنَّهم يكذبون، ويعلمون أنَّهم يكذبون.

- لا يا (قداسة) البابا.

- الفرقان الحقُّ، (قرآن) مسيلمة الأمريكي.

- وماذا عن المناهج؟

٣- أمريكة القطب المتفرّد، ولكن.. وضمّ:

- عودة هولاكو.

- "ليبارك الرَّبُّ أمريكة"!

- التَّفرُّد بالقرار.

- جرائم بحقِّ البشريَّة، من يحاسب مقترفيها؟

وبالله التَّوفيق، فهو المستعان.

الدكتور شوقي أبو خليل
دمشق ٢٠ شعبان ١٤٢٨ هـ
٢ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٧م

إسلام ومسلمون

هل الإصلاح ممكن؟

الإسلام وكفى

تمهيد

الحمد لله الَّذي جعل الإلهامَ لحمده نعمةً من عندِهِ، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا ومولانا محمَّد رسوله الكريم وعبدِهِ، والرِّضا عن آله وصحبه من بعدِهِ، وبعد...

فحبُّ أهل البيت جزء لا يتجزّأ من إيمان كلِّ مسلم، ومن يحبُّ الصَّحابة لا يمكن أن يكره أهلَ البيت، وما على من أَحبَّ أهل البيت أن يبغض الصَّحابة فهم من مدرسة واحدة.

الأخطار المحيطة بالعالم الإسلامي كبيرة، يقف في وجهها وحدة المسلمين على اختلاف مذاهبهم، والعاقل لا يستبدل بوحدة الصَّفِّ صراعات كلاميَّة، تعمّق جذور التَّمزُّق والتَّباغض، تطاول على سيِّد الخَلْق، وأزواجه الطَّاهرات، وخلفائه الرَّاشدين وأصحابه الكرام.

المسلم ليس بشتَّام ولا لعان، يقول علي كرَّم الله وجهه: «إنِّي أكره لكم أن تكونوا سبَّابين، ولكنَّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سَبِّكم إيَّاهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذاتَ بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالهم، حتَّى يعرف الحقَّ من جهله، ويرعويَ عن الغيِّ والعدوان من لهج به»، (نهج البلاغة ٣٢٣).

وستبقى سياسة علي رضي الله عنه هي اللائقة به، لا تكفير، ولا شتائم، ولا بديل لها عنده، «والشَّيء من معدنه لا يُسْتَغْرب».

لم يَبْنِ رسول الله ﷺ دولة لأسرته أو لعشيرته، بناها للإسلام فقط، السُّلطة في الإسلام بناء على مبدأ الشُّورى الواضح، ولا تستند إلى وضع طبقي تسلُّطي وراثي معصوم، مبدأ الشُّورى ظاهرة سليمة، تجعل المسلم إيجابيّاً وفعَّالاً ومساهماً بدور بارز في إدارة مؤسَّساته، وعلي رضي الله عنه له من الفضل ما يغنيه عن كلّ المناصب، ولا يحتاج إلى منصب ليبرز فضله، وهو المكرّم المقرَّب في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق، وثبت عن عمر بن الخطاب قوله: «مسألة وليس لها أبو الحسن - أي علي -؟!».

همسة أقدِّمها لمن أُحبُّ، وكلمة أسطرها لمن أغار عليهم، والخطر من القطب المتفرِّد جاثم متحفِّز، تعالوا لنكون كما كان أهل البيت مع عامَّة المسلمين، نقتدي بهم بقناعة، ولا نزاود عليهم. سلوكهم قدوة، فهم الطَّيِّبون الطَّاهرون، إن شتموا شتمنا، وإن أحبُّوا أحببنا، وإن أبغضوا أبغضنا، وإن تسامحوا تسامحنا.

همسة صادقة هادئة، أقولها بأدب في أُذن كلّ مسلم، لنقف معاً لترميم الحاضر، وبناء المستقبل.

معاً أهل البيت وأهل السُّنَّة، فالرَّبُّ واحد، والنَّبيُّ واحد، والقرآن واحد، والقِبْلَة واحدة.. فلماذا لا نلتقي فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه؟!

دمشق ٨ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ
٦ أيار (مايو) ٢٠٠٦م

* * *

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

من بني هاشم، واسطة العقد في قريش، الَّذين امتازوا بمشاعر إنسانيَّة كريمة، واعتدال في كلِّ شيء، ورجاحة العقل، والبُعْد عن الظُّلم، وعشق الحقِّ، وعلو الهمَّة، مع السَّخاء والشَّجاعة.

نشأ في أحضان رسول الله ﷺ، في بيئة إسلاميَّة نبويَّة، لم يعبد وثناً قط.

في أيَّام أبي بكر الصِّدِّيق: كرمُ معدنه، وإخلاصه لدينه، دفعاه للبيعة، فكان عَيْبَة نصح لأبي بكر، وعند وفاته قال علي: رحمك الله أبا بكر، كنت والله أوَّل القوم إسلاماً، وأكملهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأشبههم به هدياً وخُلُقاً وسمتاً وفضلاً، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام خيراً.

وفي أيَّام عمر بن الخطَّاب: قال علي لعثمان بن عفَّان حينما رأى عمر قائماً في الشَّمس في يوم شديد الحرِّ يَعُدُّ إبل الصَّدقة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٨/٢٦]، وتفجَّع عليٌّ عند موت عمر، وقال: أبكي على موت عمر، إنَّ موت عمر ثُلْمَةٌ في الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة[١].

---

(١) ومع كلِّ هذا الحبِّ أُقيم أيام الصَّفويين مزارٌ فخم في مدينة كاشان بمنطقة (باغي فين) - جنوبي طهران - كُتِبَ عليه حرفياً: «بقعة مباركة بابا شجاع الدِّين أبو لؤلؤ فيروز»، وعلى طول السُّور: «حضرة أبو لؤلؤ عليه السَّلام» وعند قبره المزعوم حرفياً: «اللَّهم العَنْ الجبت والطَّاغوت ونعثل، لعن الله قاتليك يا فاطمة»، ويمكن مشاهدة صور المزار على عدد من مواقع الإنترنت بسهولة.

وفي أيَّام عثمان بن عفان: قال علي: لو وُلِّيتُ ما وُلِّي عثمان، لعملت بالمصاحف ما عمل، وجعل الحسن والحسين في حماية عثمان، وكان يحمل الماء بنفسه ليوصله إلى عثمان المحاصر، على الرَّغم ممَّا ناله من الغوغاء من كلام غليظ، وتنفير لدابَّته.

* * *

أَواصِرُ النَّسب والمصاهرة
بين أَهل البيت وبين الخلفاء الرَّاشدين

- أولاد رسول الله ﷺ: القاسم، عبد الله ويلقب بالطَّيِّب والطَّاهر لولادته بعد الوحي، فاطمة وهي صغرى بناته، تزوَّجها علي بعد الهجرة، زينب وهي كُبراهن، ورُقيَّة وأُم كلثوم تزوَّجهما عثمان واحدة بعد واحدة.

وأُمُّ الكُلِّ خديجة، (أَعيان الشِّيعة ١/ ٢٢٣)[١].

- إبراهيم بن مارية القبطيَّة، وُلِدَ بالمدينة، ومات وهو ابن ثمانية عشر شهراً.

ومن فاطمة وعلي: الحسن، والحسين، وزينب، **وأُم كلثوم وزوجها عمر بن الخطاب، وله منها: زيد ورُقيَّة.**

- أولاد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: أُمُّ كلثوم وزوجها طلحة بن عبيد الله، وعبد الله، وأسماء وزوجها الزُّبير بن العوَّام، وعائشة وزوجها رسول الله، وعبد الرَّحمن وله من الأولاد: حفصة وزوجها الحسن بن

---

(١) لا كما يدَّعي اليوم بعض الغلاة أنَّ فاطمة فقط بنت رسول الله من خديجة، وبقيَّة الأولاد من زوجيها السَّابقين، والمرجع هنا العلامة المجتهد المخلص محسن الأمين (أعيان الشِّيعة ١/ ٢٢٣). لقد جمع ﷺ حوله برابطة المصاهرة أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، وبهذا كفل للمسلمين مزيداً من القوة والوحدة.

علي، وأسماء ابنتها أم فروة وهي أم جعفر الصَّادق، لذلك كان الإمام جعفر الصَّادق يقول مفتخراً: «ولدني أبو بكر مرَّتين»، وذلك لأنَّ محمّداً الباقر زُوِّج من أُمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق، وأمُّ فروة أُمُّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فهو ينتسب من حيث الأُمُّ والأب لأبي بكر رضي الله عنه.

سُئِلَ الإمام جعفر الصَّادق عن حلية السَّيف: هل تجوز؟ فقال: نعم، قد حلَّى أبو بكر الصِّدِّيق سيفه، فقال الرَّاوي: أتقول هذا؟! فوثب الإمام عن مكانه، فقال: نَعَمَ؛ الصِّدِّيق، نعم؛ الصِّدِّيق، نعم؛ الصِّدِّيق، فمن لم يقل له الصِّدِّيق، فلا صَّدق الله قوله في الدُّنيا والآخرة، (كشف الغمَّة لعلي بن عيسى الأردبيلي، الاثني عشري، الجعفري).

- أولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عبيد الله، وزيد الأكبر، وعبد الله، وفاطمة، وحفصة وزوجها رسول الله ﷺ، وعياض، وعبد الرحمن، وعاصم.

ومن زوجته أُمّ كلثوم بنت عليٍّ وأُمُّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ له منها: رُقيَّة وزيد.

- أولاد عثمان بن عفان رضي الله عنه: سعيد، وعمر، وعبد الله، والوليد، وأبان زوج أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطَّيَّار[١]، وعمرو الَّذي له:

عبد الله زوجته فاطمة بنت الحسين بن علي بن أَبي طالب.

وزيد زوجته سكينة بنت الحسين بن علي ابن أَبي طالب.

---

(١) وأبان زوج أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر الطيار سمَّى أحد بنيه باسم أبي بكر، وسمَّى ابناً آخر له باسم معاوية، ومعاوية هذا ابن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب سمَّى أحد بنيه باسم يزيد.

- أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأحفاده:

الحسن، والحسين، وعبد الرَّحمن، **وعمر الأكبر، وأبو بكر، وعمر الأصغر**، وعبد الله الأكبر، **وعثمان الأكبر**، وجعفر الأكبر، والعبَّاس الأكبر، والعباس الأصغر، **عثمان الأصغر**، عبد الله الأصغر، جعفر الأكبر، يحيى، محمَّد بن الحنفيَّة. ورملة، والمحسن، وفاطمة، وزينب، **وأُم كلثوم وزوجها عمر بن الخطَّاب.**

وللحسين بن علي رضي الله عنه: علي، **وأَبو بكر، وعمر**، وفاطمة، وسكينة.

وللحسن رضي الله عنه: **أبو بكر، وعمر**، والحسن المثَّنى.

ولزين العابدين بن الحسين: **عائشة**، ومحمَّد الباقر، **وعمر الأشرف.**

ولموسى بن جعفر الصَّادق: **أبو بكر، وعمر**، وعلي الرِّضا، **وعائشة.**

فعلي كرَّم الله وجهه له من الأولاد من اسمه:

أبو بكر: أُمُّه ليلى بنت مسعود النهشليَّة.

وعمر: أُمُّه أُمّ حبيب الصَّهباء بنت ربيعة التَّغلبيَّة.

وعثمان: أُمُّه أُم البنين الكلابيَّة.

ومحمّد: أمُّه خولة الحنفيَّة، من بني حنيفة.

والأبُ يتخيَّر أسماء أولاده، وينتقي أحبَّها لنفسه.

ومصادر أواصر النَّسب والمصاهرة بين أهل البيت وبين الخلفاء الراشدين كثيرة، أهمُّها: أعيان الشِّيعة ١/٣٢٦ و٣٢٧، والإرشاد للمفيد، وتاريخ اليعقوبي، والتّنبيه والإرشاد للمسعودي، وكشف الغمَّة للأردبيلي، ومعجم رجال الحديث للخوئي، وجلاء العيون للزَّبيدي، وفضائل الصحابة وعلاقتهم بالنبيِّ وآل بيته الأطهار للهيتي... إلخ.

موقف أئمة السُّنَّة من أَهل البيت

- أَبو حنيفة النُّعمان بن ثابت (٨٠-١٥١هـ)

تتلمذ للإِمام محمد الباقر بن علي زين العابدين، وأخذ عن أخيه زيد، ناصر محمَّد النَّفس الزَّكيَّة، فعُذِّب وضُرِب بالسِّياط.

قال الإِمام جعفر الصَّادق عن أبي حنيفة: رحم الله أبا حنيفة، لقد تحقَّقت مودَّته لنا في نصرته.

ورفض القضاء في الدَّولة العبَّاسيَّة، فسُجِنَ، وما خرج إلاَّ وهو يعاني سكرات الموت، وشيَّعه خمسون ألفاً، وصلَّى عليه الخليفة المنصور وهو يقول: من يعذرني من أبي حنيفة حيّاً وميتاً؟

- الإمام مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ)

موقفه رائع في تأييد ذرِّيَّة فاطمة الزهراء، ووقف موقفاً شجاعاً جريئاً في تأييده لمحمَّد النَّفس الزَّكيَّة بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وغضب المنصور العبَّاسي، وضُرِبَ مالك عام ١٤٦هـ، وندم المنصور وأقاد مالكاً من عمِّه جعفر بن سليمان، ورفض مالك ذلك.

واستفاد مالك من صحبة الإمام جعفر الصَّادق، وكلٌّ منهما يحبُّ صاحبه ويوقِّره، كان إِذا زاره يخرج الإمام جعفر الوسادة من تحته ويجعلها تحت مالك.

- الإمام الشَّافعي محمَّد بن إدريس (١٥٠-٢٠٤هـ)

يكفيه قوله:

يا راكباً قف بالمحصَّب[١] من منى واهتف بقاعد خيفها[٢] والنَّاهضِ
سَحَراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائضِ
إن كان رفضاً حبُّ آل محمَّدٍ فليشهد الثَّقلان أنِّي رافضي

وإعجابه بعلي رضي الله عنه تضافرت به الأخبار، وهو القائل:

يا آل بيت رسول الله حبُّكم فرض من الله في القرآن أنْزَلَهُ
يكفيكُمُ من عظيم الفخر أنَّكُمُ من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لَهُ

وسمَّى من قاتل عليّاً «أهل البغي» ووافقه الإمام أحمد بن حنبل على ذلك.

- **الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤٠هـ)**

في مسنده (فضائل علي) فيه ما لم يذكره آخر في مئة صفحة، كما أورد فضائل فاطمة، والحسن والحسين.

- **الإمام النَّسائي (أبو عبد الرَّحمن أحمد بن شعيب)، (٢١٥-٣٠٣هـ)**

له كتاب في فضائل الإمام علي: (خصائص علي)، وله (مسند علي)، وله كتاب في فضائل السَّيدة فاطمة: (خصائص فاطمة).

من أَقوالِ عليٍّ رضي الله عنه وحِكَمِهِ[٣]

- «هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ، ومبغض قَالٍ»، (نهج البلاغة ٨٤٩).

- «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقَّ فأَخطأه، كمن

(١) المحصَّب: موضع رمي الجمار بين مكَّة ومنى، (معجم البلدان ٥/ ٦٢).
(٢) خَيف مكَّة: موضع فيها عند منى، ومنه سُمِّي مسجد الخيف، (معجم البلدان ٢/ ٤١٢).
(٣) من (نهج البلاغة)، تحقيق الدكتور صبحي الصَّالح، طبعة دار الهجرة في بيروت، دون تاريخ.

طلب الباطل فأدركه»، (نهج البلاغة ٩٤)، ويُسْأل كرَّم الله وجهه عنهم: أَمنافقون هم؟ فيجيب: المنافقون لا يذكرون الله إلاَّ قليلاً، ويُسأل: أكفَّار هم؟ فيجيب: من الكفر فرُّوا، ويسأل: من هم؟ فيجيب: «**إخواننا بغوا علينا**».

- «إن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلِّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم منِّي أميراً» (نهج البلاغة ١٣٦).

- «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحمَلتموني عليها، فلمَّا أفضت إليَّ نظرت إلى كتاب الله وما وَضَعَ لنا وأمرنا بالحكم به فاتَّبعته، وما استن النَّبيُّ ﷺ فاقتديته، فلم أَحتَجْ في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما..» (نهج البلاغة ٣٢٢).

- إلى معاوية بن أبي سفيان: «إنَّه بايعني القوم الَّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشَّاهد أن يختار، ولا للغائب أَن يَرُدَّ، وإنَّما الشُّورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسمَّوه إماماً كان ذلك لله رضىً، فإن خرج عن أَمرهم خارجٌ بطعنٍ أو بدعة؛ ردُّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتِّباعه غير سبيل المؤمنين، وولاَّه الله ما تولى»، (نهج البلاغة ٣٦٦).

- وقال رضي الله عنه لجنده قبل لقاء معاوية ومن معه بصفِّين ٣٧هـ: «لا تقاتلوهم حتَّى يبدؤوكم، فإنَّكم بحمد الله على حجَّة، وترككم إيَّاهم حتَّى يبدؤوكم حجَّة أُخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا مُعْوِراً، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النِّساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أُمراءكم..» (نهج البلاغة ٣٧٣).

- «يا بني عبد المطَّلب، لا أُلفينَّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قُتِلَ أَميرُ المؤمنين، ألا لا تقتُلُنَّ بي إلاَّ قاتلي، انظروا إذا أنَا مِتُّ

من ضربته هذه[1]، فاضربوه ضربةً بضربة، لا تمثّلوا بالرَّجل، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إيّاكم والمُثْلَة ولو بالكلب العقور» (نهج البلاغة ٤٢٢).

- وكتب رضي الله عنه إلى أهل الأمصار، يشرح ما جرى بينه وبين أهل صفّين: «وما كان بدء أمرنا أنّا التقينا والقومُ من أهل الشّام والظّاهر[2] أنَّ ربّنا واحد، ونبيّنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتّصديق برسوله ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلاّ ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء!» (نهج البلاغة ٤٤٨).

ومن حِكَمِهِ كرَّم الله وجهه

- إذا قدرتَ على عدوِّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه، (نهج البلاغة ٤٧٠).

- من أَبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه، (نهج البلاغة ٤٧٢).

- عاتب أَخاك بالإحسان إليه، واردد شرَّه بالإنعام إليه، (نهج البلاغة ٥٠٠).

أَدب العتاب والتّأنيب، أُسلوب فريد

يقول الأُستاذ أحمد حسن الزَّيّات (تاريخ الأدب العربي ١٧٤): «لا نعلم بعد رسول الله ﷺ فيمن سَلَفَ وخلف أفصح من عليٍّ في النُّطق، ولا أبلَّ منه ريقاً في الخطابة، كان حكيماً تتفجَّر الحكمة من بيانه،

(١) ضربة قاتله عبد الرحمن بن عمرو بن مُلْجَم الحميري.

(٢) الواو للحال، أي كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أنّنا متّحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا إلاّ في دم عثمان.

وخطيباً تتدفّق البلاغة على لسانه، وواعظاً ملءَ السَّمع والقلب، ومترسّلاً بعيد غور الحُجَّة، ومتكلّماً يضع لسانه حيث شاء، وهو بالإجماع أخطبُ المسلمين، وإمام المنشئين».

ومما قاله رضي الله عنه في (أدب العتاب والتّأنيب) لعسكره (لشيعته) بأسلوب فريد: «لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرَّعتموني نُغَبَ التَّهْمَام [جرع الهمّ] أنفاساً، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتَّى لقد قالت قريش: إنَّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.

لله أبوهم! وهل أَحد منهم أشدُّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً منِّي؟ لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين، وهأنذا قد ذرَّفتُ على السِّتِّين، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع».

«الذَّليل والله من نصرتموه، ومن رُميَ بكم رُمِيَ بأفوق ناصل [سهم مكسور عاري النَّصل]، إنَّكم والله كثير في الباحات، قليلٌ تحت الرَّايات، وإنِّي لعالمٌ بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكنِّي والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي».

«شهودٌ كغُيَّاب، وعبيد كأرباب، أَتلو عليكم الحِكَم فتنفرون منها، وأَعظكم بالموعظة البالغة فتتفرَّقون عنها، وأحثُّكم على جهاد أَهل البغي، فما آتي على آخر قولي حتَّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، أقوّمكم غُدْوَة، وترجعون إليَّ عشيَّة كظهر الحنيَّة [القوس]، عَجِزَ المقوَّمُ، وأعضل المقوَّم».

«أَيُّها القوم الشَّاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبهم يطيعُ الله، وأنتم تعصونه،

وصاحبُ أهل الشَّام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أنَّ معاوية صارفني صرف الدِّينار بالدِّرهم، فأخذ منِّي عشرة منكم، وأعطاني رجلاً منهم».

فمن خذل عليّاً كرَّم الله وجهه؟

وممَّن اشتكى حتَّى مُلِئَ قلبه قيحاً، وشُحِن صدره غيظاً، وقلبه همّاً؟

عبد الله بن سبأ
أُسُّ الفتنة

تبرّأ علي كرَّم الله وجهه من ابن سبأ ومن اتَّبعه، وعذَّبهم أشدَّ العذاب في حياته.

وابن سبأ شخصيَّة تاريخيَّة حقيقيَّة، وليست أُسطوريَّة كما يدَّعي حديثاً بعضهم، وقد اعترَف به كبار مؤرخي الجعفريَّة حتَّى القرن الرَّابع الهجري، منهم:

١- أبو عمرو محمَّد بن عمر بن عبد العزيز الكَشِّي (-٣٤٠هـ)، كبير علماء التَّراجم المتقدِّمين عند الشِّيعة، ترجم لابن سبأ في كتابه: (معرفة النَّاقلين عن الأئمة الصَّادقين) صفحة ١٠١، مؤسَّسة الأعلمي بكربلاء.

وممَّا قاله الكَشِّي: «كان عبد الله بن سبأ يهوديّاً فأسلم، ووالى عليّاً عليه السَّلام»، وهو أول من قال بالوصاية، والرَّجعة، والبراءة من أعداء عليٍّ وكفرهم..

٢- وفي كتاب (تنقيح المقال ٢/ ١٨٤) للمامقاني، إمام الجرح والتَّعديل عند الجعفريَّة، نقل مثل هذا عن الكشِّي.

٣- والنُّوبختي أبو محمد الحسن بن موسى، ترجم لابن سبأ في (فرق الشِّيعة ٤٣ و٤٤)، المطبعة الحيدريَّة بالنَّجف، طبعة ١٩٥٩م.

فمن بركات ابن سبأ: الولاية والوصاية، والبِدَاء (علم ما لم يكن يعلمه الله قبل؟!)، والرَّجعة، والعصمة(١) والأئمة يعلمون الغيب، عدا عن التَّقيَّة ومصحف فاطمة.

الصَّحابَةُ المهاجرون والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم

يقول تعالى في محكم التَّنزيل:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٥٩/٨].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ٩/١٠٠].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٤٨/٢٩].

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٩٥].

---

(١) تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه - وهو الإمام الثَّاني المعصوم - لمعاوية بن أبي سفيان سنة ٤١هـ، فكان عامَ الجماعة، فعلى مبدأ العصمة، ألم يكن تنازُلُ الحَسَنِ لمعاوية فعلاً شرعيّاً صادراً عن معصوم، وهل يفسر هذا سببَ عدم الاحتفال بمولد الحسن أو بيوم بيعته، أو بيوم وفاته كغيره من الأئمة المعصومين عليهم السَّلام؟

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحج: ٢٢/٥٨-٥٩].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل: ١٦/٤١].

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر: ٣٩/٣٣-٣٥].

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل: ٢٧/٥٩].

تتضمَّن هذه الآيات الكريمة الثَّناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الَّذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم ويسألون الله ألاَّ يجعل في قلوبهم غِلاًّ لهم، فمن يحمل غلاًّ عليهم خارج من الأصناف الثَّلاثة: المهاجرين، والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم.

* * *

جاء نفر من العراق إلى الإمام الرَّابع علي ابن الحسين زين العابدين، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلمَّا فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبروني؟ أنتم المهاجرون الأوَّلون الَّذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصَّادقون؟ قالوا: لا.

قال زين العابدين: أفأنتم الذين تبوَّؤوا الدَّار والإيمان من قبلهم؛

يحبُّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجَّة ممَّا أُوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ قالوا: لا.

قال: أما أَنتم فقد تبرَّأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأَنا أشهد أنَّكم لستم من الَّذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٥٩/ ١٠]، ثم قال لهم: اخرجوا عنِّي.

ومع ذلك يقولون: ارتدَّ الصَّحابة إلاَّ ثلاثة منهم فقط، هم: سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري.

كيف يرتدون وشهادة الله بهم دامغة في كتابه المجيد؟

وإذا ارتدوا، فمن نشر الإسلام وأوصله إلى إيران والشَّام وشمال إفريقية..؟

إمامة المسلمين

إمامة المسلمين (الخلافة بعد رسول الله ﷺ) لو كانت نصّاً؛ ما كان بوسع عليٍّ رضي الله عنه أن يسكت عنها، لقد بايع، وصلَّى خلف أبي بكر، وخلف عمر، وخلف عثمان في خلافتهم، ولو كانت الإمامة إلهيَّة سماويَّة بنصٍّ، فلا يجوز لأحد أن يمالئ أو يتنازل عنها.

هذا حقُّه أم حقُّ الله؟ أم حقُّ الأُمَّة؟

إن كانت الإمامة من الأُصول يُقَاتل دونها، ولا يُتنازل عنها!

انتقل الحبيب الأعظم إلى الرَّفيق الأعلى وجمهور من الصَّحابة في النَّواحي يُعَلِّم النَّاس الدِّين، فما منهم أحدٌ أشار إلى عليٍّ رضي الله عنه

بكلمة يذكر أنَّ رسول الله ﷺ نصَّ عليه، ولا ادَّعى ذلك عليٌّ قط، لا في ذلك الوقت، ولا بعده، ولا ادَّعاه له أحد في ذلك الوقت ولا بعده!

وما الَّذي ألَّف بين بصائر النَّاس على كتمان حقِّ علي رضي الله عنه؟ من المحال أن تتَّفق آراؤهم كلُّهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقَّهم، من برقة إلى خراسان، ومن أرمينية إلى أقاصي اليمن وحضرموت وعُمَان، سكتوا عن حقِّ هذا الرَّجل، واتَّفقوا على ظلمه ومنعه حقَّه، وليس هناك شيء يخافونه، إنَّها لمن إحدى العجائب، ومن المحال الممتنع، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك، إذ صار الحقُّ حقَّه، وقتلوا أنفسهم دونه، فأين كانوا عن إظهار ما لهذا الرَّجل؟ (للتَّوسُّع: عبقريَّة الإسلام في أصول الحكم، لمنير العجلاني).

قال عليٌّ رضي الله عنه: ما غضبنا إلاَّ في المشورة، وإنا لنرى أبا بكر أحقَّ النَّاس به، وإنَّه لصاحب الغار، وإنَّا لنعرف له سِنَّه، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصَّلاة وهو حيٌّ.

وقول رسول الله ﷺ في غدير خم (١٨ذي الحجَّة ٩هـ) بين مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»، سببه: اشتكى أهل اليمن عليّاً، وعتبوا عليه حينما كان باليمن، تضييق، وبخل، وجَوْر.. حاشاه رضي الله عنه، وليس في الحديث الشَّريف ما يدل على إمامة، فمولاه لغة: ناصره، ولو أُريد من الحديث إمامة لأُعلن ذلك من الموقف في عرفات قبل تفرُّق الحجيج إلى بلدانهم، فالأمر من الخطورة بمكان.

ومن كرم أخلاقه وفهمه العميق لجوهر الإسلام رضي الله عنه، أنَّه بعد معركة الجمل صلَّى على القتلى من الطرفين، بلا غنائم، ولا قتل مُدْبِر، ولا إجهاز على جريح، لأنَّه خلاف سياسي على دم عثمان، لا خلاف عقائدي.

وأنهك كرَّم الله وجهه رَجُلَيْن عقوبة، ضربهما مئة مئة على يَدِ القعقاع بن عمرو التَّميمي، إنَّهما رجلان من أزد الكوفة، لأنَّهما شتما عائشة رضي الله عنها، قال الأوَّل: جُزِيتِ عنا أُمَّنا عقوقاً، وقال الآخر: يا أُمَّنا توبي فقد خَطِيتِ.

ورجع الزُّبير بن العوَّام يوم الجمل، وفي وادي السِّباع يقتله عمير بن جرموز غدراً، ويحمل رأسه إلى عليٍّ علَّه ينال جائزة، فقال علي رضي الله عنه: بشِّر قاتل ابن صفيَّة (أي الزُّبير) بالنَّار.

ويُقْتَل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل أيضاً بسهم غَرِب لم يُعْرف مرسله، ويقول عليٌّ وهو يمسح التُّراب عن وجهه: رحمك الله يا أَبا محمَّد (طلحة)، يعزُّ عليَّ أن أراك مجدولاً تحت نجوم السَّماء.

وجهز كرَّم الله وجهه عائشة رضي الله عنها، بكلِّ شيء ينبغي لها من مركب أَو زاد أو متاع، واختار لها أربعين امرأةً من نساء البصرة المعروفات، فلمَّا كان اليوم الَّذي ترتحل فيه، جاءها وودَّعها، وخرجت يوم السَّبت لغرَّة رجب سنة ست وثلاثين، وشيَّعها عليٌّ أميالاً، وسرَّح بنيه معها يوماً، (الطبري ٤/ ٥٤٤).

ويبقى عليٌّ عليّاً.

لا تكفير، ولا شتائم، ولا عتاب..

حزنٌ على الزُّبير وطلحة، وإكرامٌ لعائشة ومن معها.

«والشَّيء من معدنه لا يُسْتَغْرَب».

آلُ الرَّجُلِ: أَهْلُهُ

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٤٠/ ٢٨]، أي من أهله.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣/٣٣]، جاءت الآية الكريمة في سياق قصَّة أزواج رسول الله ﷺ خاصَّة، فأهل البيت تطلق أصلاً على الأزواج خاصة، كما في (اللِّسان): آل الرَّجل: أهله، ثمَّ تستعمل في الأولاد والأقارب تجاوزاً، كما في سورة [هود ١١/ ٧١-٧٣]: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾.

وفي سورة [القصص ٢٨/ ٢٩]: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: ٢٨/ ٢٩].

وفي سورة [النَّمل ٢٧/ ٧]: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ لأهله: أي لامرأته.

وَحْدةُ الصَّفِّ

يمكن تحقيقها في سطرين اثنين فقط، نعود إلى الإسلام المصفَّى كما كان في عهد رسول الله ﷺ، ونقتنع ونوقِّع على أنَّ:

- آل البيت دون النُّبوَّة، وفوق الصَّحابة إلا من فضّله رسول الله ﷺ[1]، فالمسلم السُّنِّي يصلِّي على محمَّد، ثمَّ على آله الطَّيِّبين الطَّاهرين، ثمَّ على أصحابه الكرام الميامين.

- والصَّحابة رضوان الله عليهم عُدُول، ومن أخطأ منهم حسابُه على الله، فلا تكفير ولا شتائم ولابهتان، والآية الكريمة تقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ

(١) انظر (در السحابة في مناقب القرابة والصحابة) للإمام الشوكاني، دار الفكر دمشق ط١: ١٩٩٠، تحقيق د. حسين عبدالله العمري.

خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾
[البقرة: ٢/ ١٣٤]

وكيف نحقِّق وحدة الصَّف، ونؤمن بجدوى (مؤتمرات التَّقريب) ونسمع صيحات مدوِّيَّة ونقرأ لافتات سوداء كُتب عليها: (يالَثَاراتِ الحسين)، ممَّن؟ ألا يكفينا (برج الرُّؤوس) في دمشق الذي أقامه تيمورلنك من جماجم القتلى الدِّمشقيين باسم الثَّأر للحسين؟ ألا نخجل من الدُّعاء عند قبر الحسين الَّذي جاء فيه: لعن الله أُمَّة قتلتكَ، ولعن الله أمَّة لم تثأر لك؟!.

* * *

الشَّهادتان وحدهما مَنَاطُ النَّجاة

وفي عقيدتنا: كلُّ من يقول لا إله إلا الله، محمَّد رسول الله، والقرآن الكريم كتابي، والكعبة المشرَّفة قِبْلَتي، والمسلمون إخوتي، هو ناجٍ بإذن الله تعالى، وإن لم يؤمن بأئمَّة معصومين يعلمون الغيب، وآخرهم - إن وُجِدَ - غائب إلى ما يشاء الله، وإن لم يعتقد بالرَّجعة، ولا مقام للأئمَّة عند الله لا يدانيهم فيه نبيٌّ مرسل، أوَ مَلَكٌ مقرَّب، فالفكر الصَّفوي مرفوض، الَّذي نشر كما يذكر المرحوم الدكتور علي شريعتي حديثاً قدسياً مكذوباً عن الله، نصُّه: «مُحِبُّ عليٍّ في الجنَّة ولو عصاني، ومبغض عليٍّ في النَّار ولو أطاعني»، وفي (بحار الأنوار للمجلسي ٤٤/ ٢٩٤): من بكى على الحسين أو أبكى أو تباكى فله الجنَّة، ومن هنا فليس للعمل نصيب، والبكاء على الحسين كافٍ!

إنَّها همسة لإخوة، هدفها وعي أخطار الحاضر وآمال المستقبل.

همسة لوحدة الصَّف، مع إدراك: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن

لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٥٣/٣٨-٤٢]، وهذا يحتِّم طَيَّ أي تسمية تفرق، فأهل السُّنَّة والجماعة يحبُّون أهل البيت جزءاً من عقيدتهم، وما جعلوا معاوية خليفة راشديّاً خامساً، لتجاوزه الشُّورى، ولأنَّه بغى على عليٍّ.

وبدل بذل مئات ملايين الدُّولارات للفكر الصَّفوي، لماذا لا تصرف هذه الملايين للدَّعوة إلى إسلام سمح بلا مذاهب، محاور، حضاري، معترف بالآخر؟!

ولكن حينما يصبح المذهب ديناً، تهلك الأمَّة، وتَحُلُّ بها الكوارث، مع أنَّ المذهب جزء والدِّين كلٌّ، والعاقل المخلص لا يجعل الجزء يطغى على الكلِّ ويُغيِّبه، فالولاء للدِّين وليس للمذهب، وهنا يهون الاختلاف، ولا يصبح خلافاً يمزِّق وحدة الصَّفِّ، (تشالديران ٨).

فمن تمذهب كالصَّفويِّين - أو كان على فكرهم - لم يُضِفْ شبراً واحداً إلى أرض الإسلام، فقد كان همهم شتم الصَّحابة، وفرض التَّشيُّع الصَّفوي على المسلمين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً.



أخطاء تاريخيَّة آن تصويبها

«إنَّ غايةَ التَّاريخِ هي إدراكُ الماضي كما كان، لا كما نتوَّهم أنَّه كان، وكذلك ليس هو تصويرَ الماضي كما يجبُ أن يكون، أو كما نريدُهُ أن يكون».

عبارة «الغزو الفكري» عبارةٌ يرفضها كثيرون، مع أنَّ الغزوَ حقيقةٌ واقعة، يستهدف الجذور منَّا لا القشور، ويحاول القضاء على الجوهرِ لا العَرَض، ويشوِّه الأُصول لا الفروع، ويريد أن تسودَ الأمَّةَ المغزوَّةَ، أخلاقُ الأُمَّة الغازية وعاداتُها وتقاليدُها.

«الغزوُ الفكريُّ» تعبير دقيق لمعركةٍ لا نسمعُ فيها صليلَ السُّيوف، ولا أزيزَ الرَّصاص، ولا أنينَ الجرحى، معركةٌ صامتةٌ، تريد أن تصرعَ الأمَّةَ فكرياً، وتحرِفَهَا عن أصالتها.

وهاكم في هذا الكتيب عدداً من الأخطاء التَّاريخيَّة الَّتي يتداولها النَّاسُ دونما تمحيصٍ أو دراسةٍ أو برهانٍ من علم، وآن تصويبها.

١- منهج البحث العلمي:

التَّوثيق: التَّمييز بين المصدر، والرَّأي في مرجع.

إنَّ أوَّل قاعدة يتعلَّمها طلاب الدِّراسات العليا قبل الإمساك بالقلم لكتابة رسالة: «إن كنتَ ناقلاً فالدِّقة، وإن كنتَ مدَّعياً فالدَّليل».

ثمَّ يتعلَّمون كيف يعودون إلى المصادر، لا المراجع الَّتي نقلت من

المصادر، فلا يُقبل علمياً أن يذكر مؤلِّفٌ نصّاً من تاريخ الطَّبري، ويجعل توثيقه نقلاً عن حسن إبراهيم حسن في كتابه: (تاريخ الإسلام)، فلا بُدَّ من العودة إلى المصدر.

أقول هذا، لكثرة المؤلِّفين اليوم، الَّذين يقدِّمون آراء مضلِّلة، وإن سألتهم: أين توثيق هذا؟ يقولون: هذا ما ذكره جرجي زيدان، أو ما قاله أحمد لطفي السَّيِّد، أو سلامة موسى، أو لويس عوض.. يحتجُّون بقولٍ لمعاصرين، لتوثيق أمر لا أصل له في تاريخنا قديمه أو حديثه.

وقعت يدي على كتابٍ طُبِعَ ببيروت الشَّرقيَّة، وهالني ما رأيت، المؤلِّف يستشهد بآيات من القرآن الكريم، ويقول: أوردتُ الآية بتصرُّف، بدل الدِّقَّة والضَّبط، يقول: الآية بتصرُّف، ويكتب بعد حديث شريف للحبيب المصطفىﷺ، بدل تخريجه، وذكر درجة صحَّته في الحاشية، يكتب في الحاشيَّة: السَّيِّد محمَّد !!

بدأتُ بهذه النُّقطة، لنعرف ونتقن اختيار الكتاب الَّذي نقرأ، أو نحتجُّ به، أَو الَّذي نضعُهُ بين أيدي أَبنائنا، وشباب الجيل.

٢- تقسيم العصور التَّاريخيَّة

تقسيم لا ينطبق على تاريخنا، ولا على تاريخ آسيّة وإفريقيّة.

درج المؤرِّخون الغربيون على تقسيم العصور التَّاريخيَّة إلى ثلاثة أقسام:

١- العصور القديمة: وتبدأ منذ اختراع الكتابة ٣٢٠٠ق.م، وحتَّى سقوط رومة سنة ٤٧٦م على يد البرابرة.

٢- العصور الوسطى المظلمة: وتبدأ من سقوط رومة، وتنتهي بسقوط القسطنطينيَّة عام ١٤٥٣م بيد محمَّد الفاتح.

٣- العصور الحديثة: وتبدأ عام ١٤٥٣م بسقوط القسطنطينيَّة، وهي مستمرَّة حتَّى يومنا هذا.

إنَّ تقسيم الأعصر التَّاريخيَّة تقسيماً جديداً، ضرورة علميَّة، لينطبق على تاريخ الحضارة بشكل منطقي سليم، وليتعلَّق بتاريخ الإسلام خاصَّة، والتَّقسيم الجديد المقترح هو التَّالي، إن كانت هناك ضرورة للتَّقسيم:

١- تنتهي الأعصر القديمة بظهور الإسلام، والهجرة هي الحدث البارز في تاريخ الإسلام ومسيرته بل في تاريخ البشريَّة جمعاء، والَّتي وافقت ٢٠ تموز (يوليو) ٦٢٢ ميلاديَّة.

٢- وتبدأ الأعصر الوسطى المنيرة الحضاريَّة بالهجرة لأنَّها أبرز من سقوط رومة في أيدي البرابرة سنة ٤٧٦م، وأشدُّ أثراً في الحضارة الإنسانيَّة.

سقوط رومة واقعة محلِّيَّة، أو أوربيَّة على الأكثر، بينما ظهور الإسلام وانتشارُهُ كان ذا نتائج حضاريَّة عامَّة، بعيدة الأثر في آسية وإفريقية وأُوربة معاً، أَثَّر وما زال يؤثِّر في العالم كلِّه.

سقوط رومة قضاء على حضارة شائخة كانت في طريقها إلى الزَّوال، ولقد كان بالإمكان أن تسقط بكلِّ حدثٍ آخر، يدلُّنا على ذلك أَنَّ ضعف الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة بدأ منذ أَواسط القرن الأَوَّل للميلاد، فسقوط رومة كان متوقَّعاً، ولم يكن دخول الجرمان (البرابرة) إليها هو السَّبب في سقوطها، ولكن ضعفها المتوالي في أثناء أربعة قرون كاملة، هو الَّذي جرَّأ الجرمان على دخولها، وبعد سقوط رومة، غاصت أُوربة في ظلام دامس قروناً كثيرة، ثم أخذت تستردُّ أنفاسها بما عرفته من علوم الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة.

أما الإسلام دين التَّوحيد الخالص، الَّذي جاء في معجزاته الخالدة،

القرآن الكريم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٦]، وجاء فيه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ١٧/٧٠]، فهو حضارة إنسانيَّة جديدة، لم يترك بفتوحاته آسيّة في وثنيتها، ولا أوربة في أساطيرها، ولا إفريقيّة في غفوتها وعزلتها، مثلما فعل سقوط رومة بأوربة، بل نقل هذه القارَّات الثَّلاث إلى حضارة إنسانيَّة فتيَّة، قويَّة متماسكة في العقيدة والسِّياسة والثَّقافة.

٣- وتبدأ الأعصر الحديثة بفتح القسطنطينيَّة ١٤٥٣م.

٣- السَّاميَّة واللاساميَّة

السَّاميَّة تسمية توراتيَّة، أوَّل من استخدمها المستشرق الألماني النِّمساوي شلوتسير Schlotzer عام ١٧٨١م، ثمَّ تبعه أيخهورن عام ١٨٠٧م.

في سفر التَّكوين ٩/١٨و١٩: «وكان بنو نُوح الَّذينَ خرجوا من الفُلْكِ ساماً وحاماً ويَافَث، وحام هو أبو كنعانَ، هؤلاءِ الثَّلاثةُ هُمْ بنو نوحٍ، ومن هؤلاءِ تشعَّبت كلُّ الأَرضِ».

كلام حوله كلام، هل الطُّوفان محلِّي؟ أَمْ عالمي لكلِّ الأرض؟

نوح لقومه، ما بين الرَّافدين، وهذا ثابت تاريخيّاً في طبقات الأرض وترسُّباتها.

ثمَّ تطوَّرت هذه التَّسمية إلى (اللاَّساميَّة) الَّتي وُظِّفت سياسياً واجتماعيّاً، ويُحَاكَم عليها كلُّ من يُفَنِّد بحجج دامغة مسيرةَ اليهود وسلوكَهم ونفسيَّتَهم، مع حقدهم على (الغُوييم)، الَّذين هم غير اليهود، الَّذين لا يستحقون الحياة، لأنَّهم مجرَّد أنعام تتحرك لخدمة اليهود.[1]

---

(١) - اتُّهمت سورية بمعاداة السَّاميَّة لكلمة السيد الرَّئيس أمام البابا. =

٤- المسلمون سعاة بريد:

نقلوا العلوم اليونانيَّة إلى العربيَّة، ثمَّ أخذها الغربيُّون عنهم، فهي بضاعتهم رُدَّت إليهم.

الحضارة بساط نسجته وتنسجه أيدٍ كثيرة، كلُّها تَهَبُهُ طاقاتِها، وكلُّها تستحقُّ الثَّناء والتَّقدير، واليونان لم ينشئوا الحضارة إنشاءً، لأنَّ ما ورثوه منها أكثر ممَّا ابتدعوه، فطاليس (-٥٤٦ق.م) زار مصر مرَّاتٍ عديدة، وتعلَّم فيها الهندسة، وفيثاغورس (-٤٩٧ق.م)، أَخذ نظريَّةً من بلاد الرَّافدَيْن ونسبها إليه، ولوحة (تل حَرْمَل) تثبت ذلك، والطِّبُّ اليوناني أخذه اليونان من الشَّرق، وشعار الأفعى رمزاً للشِّفاء، اعْتُقِدَ بأنَّه من أَسقلابيوس اليوناني، مع أَنَّه في متحف اللُّوفر منحوتةٌ من مدينة لَكَش العراقيَّة، تعود إلى عام ٢٠٠٠ق.م، فيها دورق عليه صورة الأفعَيَيْنِ، تلتوي إحداهما على الأُخرى.

وأَخذ اليونان الأبجديَّة الفينيقيَّة بين عامَيْ ٨٥٠-٧٥٠ق.م، لذلك يقول وُل ذيُورانت في قصة الحضارة: بابل علَّمت اليونان مبادئ الحساب، وعِلْمَ الطَّبيعة والفلسفة.

إنَّ المعجزة اليونانيَّة المزعومة - كما يقول جورج سارتن في كتابه تاريخ العِلْم-: لها أبٌ وأمٌّ شرعيَّان، أمَّا أبوها فهو تراث مصر القديمة، وأمَّا أُمُّها فهي ذخيرة بلاد ما بين النَّهرَيْن، والشَّرق القديم مهد الحضارات، والمعلِّمُ الأوَّل للبشريَّة.

= مركز الشَّيخ زايد للتَّنسيق والمتابعة (دبي)، التَّابع لجامعة الدُّول العربيَّة، أُغلق يوم الأربعاء ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٣م، بضغط من أمريكة لاتِّهامه بمعاداة السَّاميَّة.

- مديرة مكتبة الكونغرس عُزِلَت، لطرحها فتح ملف أفران الغاز (الهولوكوست) من وجهة النَّظر الأُخرى.

إنَّ الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة - دون شكٍّ - أخذت من الحضارات الَّتي سبقتها، ولكنَّها نقدت، وصوَّبت، ثمَّ أضافت وأبدعت.

وأُقدِّم خمسة أمثلة فقط:

١- عبَّاس بن فرناس (-٢٧٤هـ) أوَّل رائد للطَّيران في العالم، وأوَّل من أبدع قُبَّة سماويَّة، وأوَّل من أبدع قلم حبر.

٢- ابن حائك الهمداني (-٣٣٤هـ) أوَّل من تكلَّم في الجاذبيَّة الأرضيَّة، وشبَّه الأرض بالمغناطيس مركزه الأرض، فسبق نيوتن بثمانية قرون (-١٧٢٧م).

٣- علي بن عبد الرَّحمن (ابن يونس)، (-٣٩٩هـ) مبتكر رقاص السَّاعة (البندول)، قبل غاليلو بستَّة قرون.

٤- الحسن بن الهيثم (-٤٣٠هـ) مبتكر المنهج التَّجريبي في العلوم، وبايكون تلميذ لابن الهيثم، لأنَّه سبقه بقرون، وبحوث ابن الهيثم في الضَّوء والرُّؤية والهندسة خير شاهد.

٥- بديع الزَّمان الجَزْري (نحو ٦٠٠هـ) اختراع المضخَّة ذات الإسطوانات السِّت، والَّتي هي - في جوهرها - فكرة المحرِّكات الانفجاريَّة.

ولا أَنْسَى هنا ابن النَّفيس (-٦٨٧هـ) مكتشف دوران الدَّم الرِّئوي (الدورة الدَّمويَّة الصُّغرى)، قبل وليم هارفي بقرون، وزين الدِّين الآمدي (-٧١٤هـ) أوَّل من اخترع الحروف البارزة، قبل برايل بقرون، الآمدي -١٣١٥م، وبرايل -١٨٥٢م.

لقد أخذ المسلمون من الحضارات السَّابقة، ولكن لم ينقلوها كما هي، إنَّهم أعادوا التَّفكير والنَّظر تماماً في العلوم اليونانيَّة، فما ورَّثه المسلمون إلى أوربة يختلف كثيراً عمَّا وَرِثوه من سابقيهم.

ويكفيهم في علم الاجتماع والتَّاريخ والفلسفة ابن خلدون، وابن رشد.

٥- الحجَّاج بن يوسف الثقفي:

لست محامياً، ولكنني مؤرِّخ أورد نبذة عن الحجَّاج، لنعلم ما للرَّجل وما عليه، سأُقدِّم نبذة عن إصلاحات أمير قائد، قام بإصلاحات داخليَّة، وبنى قاعدة متينة لفتح جبهة عريضة، جبهة شرقيَّة هو قائدها الأعلى، امتدَّت من المحيط الهندي إلى بحر خُوارزم، ويكفيه وضوح الرُّؤية في هذه الجبهة، ألا وهو فتح الصِّين، فلقد كتب إلى قتيبة بن مسلم الباهلي، قائد محور الشَّمال الشَّرقي، وإلى محمَّد بن القاسم الثَّقفي، قائد محور الجنوب الشَّرقي: «أيُّكما سبق إلى الصِّين، فهو عامل عليها وعلى صاحبها»، (تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٨٩).

نشأ الحجَّاج شاباً لبيباً فصيحاً بليغاً، حافظاً للقرآن الكريم، (البدايَّة والنهايَّة ٩/ ١١٩)، كان يقرأ القرآن كلَّ ليلة، وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصحَ من الحجَّاج ومن الحسن البصري، وكان الحسن أفصح منه، (مختصر ابن عساكر ٦/ ٢٠٢، والبداية والنِّهاية ٩/ ١١٩)، وقال عقبة بن عمرو: ما رأيت عقول النَّاس إلاَّ قريباً بعضها من بعض، إلاَّ الحجَّاج وإياس بن معاوية - قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدَّهر في الفطنة والذَّكاء - فإنَّ عقليهما كانا يرجحان على عقول النَّاس (مختصر ابن عساكر ٦/ ٢٠٢).

من إصلاحاته: قنوات الرَّيِّ الَّتي تخرج من نهري دِجلة والفرات، أعاد فتحها، وشقَّ أقنية جديدة، واهتمَّ بإصلاح السُّدود، وبإحياء الأرض الموات، واهتمَّ بتجفيف المستنقعات (البطائح، الأهوار)، وحظر على الفَّلاحين ذبح البقر والجواميس الَّتي استقدمها من الهند، لكي تبقى في خدمة فِلاحَة الأرض، وليكون روثها سماداً طبيعيّاً للأَرض.

وأَصلح النَّقد وزناً ونوعاً، وجعل للموازين نظاماً لا تلاعب فيه، وكذلك المكاييل والمقاييس.

وضع الحجَّاج علامات الإعجام في الخطّ العربي، للتَّمييز بين الحروب المتشابهة في الرَّسم، كالباء والتَّاء والثَّاء، والجيم والحاء والخاء.. كما عني بنقل صور الحركات، الضَّم والفتح والكسر، لمعالجة اللَّحن الَّذي انتشر بين القرَّاء، وفي أيَّامه نُقِّطَت المصاحف.

واتَّخذ الحجَّاج (المناظر) بينه وبين قزوين، وهذه المناظر تُعدُّ أُنموذجاً من نماذج البريد السَّريع آنذاك.

وحرص الحجَّاج على الجهاد، ففتوح ما وراء النَّهر والسِّند رُقِمَت في صحيفتِهِ. وكان فيه سماحة بإِعطاء المال لأَهل القرآن الكريم، وتجنَّب المحارم من حيث الشَّراب والنِّساء والأَموال، وحينما تُوفِّي، لم يترك إلاَّ ثلاث مئة درهم.

لقد شنَّع على الحجَّاج أَعداؤه وبالغوا، يذكر المسعودي (مروج الذَّهب ٣/ ١٧٥): وأُحصي من قتله صَبْراً سوى من قُتِلَ في عساكره وحربه، فوُجِد مئة وعشرين أَلفاً، ومات وفي حبسه خمسون أَلف رجل، وثلاثون ألفَ امرأة، منهن ستة عشر ألفاً مجرَّدة.. إلخ.

كان الحجَّاج يغضب غضب الملوك، مفتاح سيرته أَنَّه كان أُمويّاً، يميل إلى بني أُميَّة ميلاً كاملاً، أَوقف حياته على نصرتهم وتوطيد أَركان ملكهم، لا تأخذه في نصرتهم لومة لائم.

وهناك من يركِّز على حادثتَيْن اثنتَيْن:

-ضربه الكعبة المشرَّفة بالمنجنيق.

-وقتله التَّابعي الجليل سعيدَ بن جبير.

أمّا ضربه الكعبة المشرَّفة بالمنجنيق، فهو خطأ فادح حسب عليه دون شكٍّ، لقد سيَّر عبد الملك بن مروان الحجَّاج، وقد كتب لأهل مكَّة المكرَّمة بالأمان، إن دخلوا في طاعته، (الطَّبري ٦/ ١٧٤).

فلَّما قَدِمَ الحجَّاج، تحرَّم عبد الله بن الزبير بالكعبة، فأمر الحجَّاج بوضع المنجنيق على جبل أبي قبيس، وقال: ارموا الزِّيادة الَّتي ابتدعها هذا المتكلِّف، فرموا موضع الحطيم، فلَّما قُتِل ابن الزُّبير، ومَلَكَ الحجَّاج، ردَّ الحائط كما كان قديماً.

فالرمي على الزِّيادة الَّتي زادها ابن الزُّبير في الكعبة المشرَّفة، وأعاد الحجَّاج ترميمها فوراً، وحذف منها الزِّيادة الَّتي زادها ابن الزُّبير.

ومع خطأ الحجَّاج بالرَّمي وإدانته، هل عَتِبْنا على عبد الله بن الزُّبير الَّذي احتمى بالكعبة المشرَّفة، وجعل الحرم ميدان قتاله ضد الأمويِّين، الأقوى منه واقعاً يعلمه، ممَّا عرَّض الكعبة المشرَّفة للخطر؟!

أما التَّابعي الجليل سعيد بن جبير، فقد رأى الحجَّاج أنَّ عقوبة ما فعله القتل بعد انضمامه لثورة عبد الرحمن بن الأشعث، وتصرُّفه ببيت المال، ونقض بيعته لعبد الملك ابن مروان، والوليد بن عبد الملك.

جاء في البداية والنِّهاية ٩/ ٦٩: وفي هذه السَّنة -٩٤هـ- قتل الحجَّاج بنُ يوسف سعيدَ بن جبير، وكان سبب ذلك أنَّ الحجَّاج كان قد جعله على نفقات الجند، حين بعثه مع عبد الرَّحمن بن الأشعث إلى قتال رُتْبِيل ملك التُّرك، فلَّما خلع ابنُ الأشعث الحجَّاجَ والخليفةَ معه، خلعه معه سعيد بن جبير.

بدأ تمرُّد ابنُ الأشعث سنة ٨١هـ، حينما صالح رُتبيل، وعاد من سجستان لقتال الحجَّاج، وفي سنة ٨٢هـ كان بدء وقعة دير الجماجم - بظاهر الكوفة، والجمجمة: القدح من الخشب - الَّتي دامت حتَّى سنة

٨٣هـ، حيث انهزم ابن الأشعث ومن معه، ولجأ سعيد بن جبير إلى مكَّة، إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري، فأرسل ابن جبير إلى الحجَّاج، الذي قال: لُعِنَ خالد القسري، أما كنت أعرف مكانَهُ ؟! بلى والله، والبيتَ الَّذي فيه بمكَّة، ثمَّ أقبل على ابن جبير وقال:

يا سعيد، ما أخرجك عليَّ؟ فقال: أَصلح الله الأمير، أنا امرؤٌ من المسلمين، يخطئ مرَّة ويصيب أُخرى، فطابت نفس الحجَّاج، وانطلق وجهه، وقال:

يا سعيد، أَلم أُشركك في أَمانتي ؟ أَلم أستعملك ؟ أَما أَعطيتك مئة أَلف، أما فعلت، أما فعلت ؟ كلُّ ذلك وابن جبير يقول: نعم. حتَّى ظَنَّ من عنده أَنَّه سيخلي سبيله، حتَّى قال الحجَّاج له: فما حملك على الخروج عليَّ، وخلعت أَمير المؤمنين؟

فقال سعيد بن جبير: إنَّ ابن الأَشعث أَخذ منِّي البيعة على ذلك، وعزم عليَّ، فغضب عند ذلك الحجَّاج غضباً شديداً وانتفخ، حتَّى سقط طرف ردائه عن منكبه، وقال له: ويحك، أَلم أَقدم مكَّة فقتلتُ ابن الزُّبير، وأَخذت بيعةَ أَهلها، وأَخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال: بلى، قال: ثمَّ قدمتُ الكوفة والياً على العراق، فجدَّدتُ لأمير المؤمنين البيعة، فأَخذتُ بيعتك له ثانية ؟ قال: بلى، قال الحجَّاج: فتنكثُ بيعتين لأمير المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك - يعني ابن الأَشعث - ؟ يا حرسي، اضرب عنقه.

أين هذا الموقف من موقف الشَّعبي - عامر بن شراحيل - الحكيم؟!

فالشَّعبي يعتذر ويعترف بخطئه، ويقول للحجَّاج وجهاً لوجه: «قد والله تمرَّدنا عليك، وخرجنا وجهدنا كلَّ الجهد فما أَلَوْنا - فما قَصَّرنا - فما كنَّا بالأقوياء الفجرة، ولا بالأَتقياء البربرة، ولقد نصرك الله علينا،

وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليك أيدينا، فإن عفوتَ عنَّا فبحلمك، وبعد فلكَ الحجَّة علينا» (البداية والنِّهاية ٩/ ٤٩)، فقال الحجَّاج: أنتَ والله يا شعبي أحبُّ إليَّ ممَّن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثمَّ يقول: ما فعلت، ولا شهدتُ، قد أَمِنْتَ عندنا يا شعبي.

وللحسن البصري مع الحجَّاج مناظرات، ومع ذلك لم يكن ممَّن يرى الخروج عليه، وكان ينهى أصحابَ ابن الأشعث عن ذلك.

وقيل: لم يلبث الحجَّاج بعد مقتل سعيد ابن جبير إلاَّ أربعين يوماً.

لا صحَّة لهذا القول، فقد كان مقتل سعيد بن جبير في شعبان ٩٤هـ، ومات الحجَّاج في ٢٥ رمضان ٩٥هـ، بعد ثلاثة عشر شهراً.

فسيرة الحجَّاج رويت بنوع من زيادة عليه، وتهويل وتشهير، فإنَّ الشِّيعة كانوا يبغضونه جداً لأنَّه أمويُّ الهوى، فحرَّفوا عليه الكَلِم، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات.

طلب الوليد بن عبد الملك من الحجَّاج أن يكتب إليه سيرته، فكتب إليه:

«إنِّي أيقظتُ رأيي، وأنمت هواي، وأدنيت السَّيِّد المطاع في قومه، ولَّيتُ الحربَ الحازم في أمره، وقلَّدت الخَرَاج الموفِّر لأمانته، وقسمت لكلِّ خصم من نفسي قسماً أعطيته حظاً من نظري، ولطيف عنايتي، وصرفت السَّيف إلى النَّطف - صاحب العيب - المسيء، والثَّواب إلى المحسن البريء، فخاف المُرِيب صولةَ العقاب، وتمسَّكَ المحسن بحظِّه من الثَّواب»، (عيون الأخبار ١/ ١٠).

٦- الرَّشيد، قمَّة الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، المفترى عليه

الخليفة الَّذي يغزو عاماً، ويحجُّ عاماً، شوِّهت سيرته عن قصد وعمد، بعد وفاته بزمن، واستمرَّ التَّشويه حتى عصرنا الحاضر، فهل حقّاً كانت سيرة الرَّشيد خموراً ونساءً وغناء وترفاً ودعة؟

أقول - بعد أن كتبتُ كتاباً عن الرَّشيد أمير الخلفاء وأَجلّ ملوك الدُّنيا - من رسم شخصيَّة الرَّشيد ؟ لقد رسمها أبو يوسف القاضي، صاحب كتاب الخَرَاج، ومحمَّد بن الحسن الشَّيباني، صاحب كتاب السِّيَر الكبير، وعبد الله بن المبارك العالِمُ القدوة، والفضيل بن عياض العالِمُ الزَّاهد النَّاصح، ومالك بن أنس، إمام دار الهجرة، والإمام الشَّافعي، ثالثُ الأئمة العظام، بهؤلاء وأمثالِهم اكتملت للرَّشيد شخصيَّتُهُ الإسلاميَّة .

لقد شوَّه سيرةَ الرَّشيد:

١-ألف ليلة وليلة، المترجمة عن أَصل فارسي اسمه (الهزار أفسان)، أي أَلف خرافة، ونُقِلَت إلى العربيَّة في القرن الثَّالث الهجري، وأُقحِمَ فيها اسم الرَّشيد كذباً وخيالاً وافتراءً.

٢-الأَصفهاني في كتابه (الأغاني)، والأَصفهاني في علم الرِّجال (الجرح والتَّعديل)، أكذب النَّاس كما يقول الخطيب البغدادي .

٣-نكبة البرامكة وهلاكهم سنة ١٨٧هـ، الذين أَرادوها شعوبيَّة كسرويَّة.

نظر الرَّشيد في أَلف رسالة في ليلة واحدة، لم يخرج فيها عن موجب الفقه والدِّين واللُّغة العربيَّة، قال ابن طباطبا: «وكانت دولة الرَّشيد من أَحسن الدُّول، وأكثَرِها وقاراً، ورونقاً وخيراً..».

كان الرَّشيد فاضلاً، روايةً للأَخبار والآثار والأَشعار، صحيحَ الذَّوق والتَّمييز، مهيباً عند الخاصَّة والعامَّة.

شوّهت سيرة الرَّشيد لأَنَّه واسطَةُ العقد في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، إنَّ الطَّعن المباشر والعلني بتاريخنا طريقةٌ جرَّبها أعداؤنا فلم تُجْدِ نفعاً، فردَّة الفعل عندنا قويَّة لردِّ الطَّعن أو التَّشويه، فلجؤوا إلى الطَّعن برجالاتها وأعلامها.

٧- صلاح الدِّين الأيوبي - ونائبه في مصر: قراقوش

قدَّم كاتب لبناني اسمه حسن الأمين عام ١٩٩٥م كتاباً عنوانه: صلاح الدِّين الأيوبي بين العبَّاسيِّين والفاطميِّين والصَّليبيِّين، خلاصته:

١-صلاح الدِّين عميل للصَّليبيِّين.

٢-صلاح الدِّين شارب خمر.

٣-وحطِّين معركة ثانويَّة، بسيطة، (مناوشة محدودة) بينه وبين الصَّليبيِّين.

ردَّ المرحوم الدُّكتور شاكر مصطفى مزاعم المؤلِّف، وفنَّد مقولاته، وممَّا قاله: التَّاريخ لا تكتبه الأحقاد، البطل العظيم صلاح الدِّين نَسْرٌ كبير، لا يَضِيرُهُ أن تُنسَلَ بعضُ الرِّيشات من جناحَيْه.

واقترحت على أَخٍ زميل، دعوة مؤلِّف الكتاب لحوار علنيٍّ، فقال لي: يكفيه ما قدَّمه الدُّكتور شاكر مصطفى، فمؤلِّف الكتاب الَّذي أساء لصلاح الدِّين ليس مؤرِّخاً أكاديمياً يعرف أُصول التَّأليف، ومنهج البحث العلمي في الكتابة، إِنَّه لا يميِّز بين المصدر المعتمد، والمرجع الَّذي يحمل رأياً حديثاً لكاتب، لقد كتب ابن شدَّاد - المعاصر لصلاح الدِّين - سيرة صلاح الدِّين، وكتب أبو شامة المقدسي كتاب الرَّوضتَيْنِ، وهذه هي مصادرنا لمعرفة صلاح الدِّين.

وهنا تذكَّرتُ شاعِرَنا المرحوم عمر أبو ريشة، القائل بوصف موقف الجنرال غورو، حينما وقف أَمام قبر صلاح الدِّين، وقال له حرفيّاً بعد أن ضرب برجله ضريحه:

«يا صلاح الدِّين أنتَ قلت لنا في إِبَّان حروبِكَ الصَّليبيَّة: إِنَّكم خرجتم من الشَّرق ولن تعودوا إِليه، وها إِنَّنا قد عُدْنا، فانهض لترانا ها هنا، لقد ظفِرْنا باحتلال سورية».

قال عمر أبو ريشة مصوِّراً هذا الموقف الأليم اللّئيم:

رُبَّ غـازٍ أَذَلَّ جَـاءَ صَـلاحَ الـدِّ ـيـنِ في هَـدْأَةِ الخُـلُـودِ المُـهَـابِ

هـاتـفـاً في رمـيـمِهِ الطُّـهْـرِ: إنَّـا ها هـنـا يا صـلاحُ، يا لَـلَـعابِ

إنَّ لِـلـمَـجْـدِ دَمْـعَـةً حـينَ يـلـقـى جُـثَّـةَ الـلَّـيْـثِ عُـرْضَـةً لِـلـكِـلابِ

فسيرة صلاح الدِّين لا يكتبها حاقد عليه، لأَنَّه أَنهى الدَّولة العبيديَّة الفاطميَّة سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م!!

وقراقوش بن عبد الله الأسدي، نائب صلاح الدِّين في الدِّيار المصريَّة، كان هُماماً مولعاً بالعمران، مجاهداً، تُنْسَبُ إليه خطأً أحكام عجيبة، وابن خَلِّكان يذكر أَنَّها موضوعة، حاقدٌ لم يُمارِهِ قراقوش، ولم يستثنِهِ في أُمور أَرادها، اسمه: أَبو المكارم أسعد بن مهذَّب، الملقَّب بالخطير ابنَ مَمَّاتي، قبطي من الصَّعيد، أَلَّف كتاباً هجاه فيه، ونسب إليه زوراً وبهتاناً أَحكاماً عجيبة من خياله، سمَّاه: (الفافوش في أحكام قراقوش)، منها:

حكم قراقوش على رجل بالإعدام، فلم ينفِّذ به الموكَّلُ الحُكْمَ، فسأله قراقوش: لِمَ لَمْ تنفِّذ الحكم وتشنق الرَّجل؟ فقال مجيباً: يا سيدي، المشنقة قصيرة، إنَّه أَطولُ منها، فقال قراقوش: اشنُقْ اثنين قصيري القامة بدلاً منهُ.

واشتكى لقراقوش رجلٌ له دين على مدينٍ لم يوفِّه له، فأرسل في إثر المدين، فلم يجدوه، وقال لهم واحد من جيرانه: إنَّ المدين يبحث عن الدَّائن المشتكي فلا يجده. فأَمر قراقوش بحبس الدَّائن حتَّى إشعار آخر، حتَّى إذا طلبه المدين وجده.

لقد أَساء ابن مَمَّاتي لقراقوش وللحقيقة، فصار النَّاس حتَّى يومنا هذا

يقولون: هذا حكم قراقوش، لكلِّ حكم غريب غير عادل، مع كلِّ أسف، وقراقوش منها براء.

٨- الدَّولة العثمانيَّة دولة إسلاميَّة مفترى عليها:

هي شيء، والاتِّحاديُّون الطُّورانيُّون (يهود الدُّونمة) شيء آخر.

قامت الدَّولة العثمانيَّة عام ١٢٩٨م، ولم تفكِّر بالعالم العربي، أو الإسلامي، وجعلت همَّها في أوربة، ولكن جريمة كبرى ارتكبتها الدَّولة الصَّفويَّة، حينما قبلت التَّحالف مع أوربة، ورحَّبت به، بل وسعت إليه، لفتح جبهة في أقصى الجنوب الشَّرقي للدَّولة العثمانيَّة، الَّتي تقاتل في أقصى الشَّمال الغربي، وهذه الجريمة يذكرها المرحوم الدكتور علي شريعتي بألم وحزن شديدَيْن، ويتساءل: كيف تحالفت الدَّولة الصفويَّة مع الدُّول الغربيَّة ضدَّ دولة مسلمة، لم تفكِّر بحرب مع أيِّ مسلم مهما كان مذهبه؟!

ولكن تحقَّق النصر للعثمانيِّين ضدَّ الصَّفويِّين سنة ١٥١٤م في معركة تشالديران، والدَّولة المملوكيَّة في الشَّام ومصر، وقفت موقف ريبة من العثمانيِّين، ومالت إلى الصَّفويِّين، وهي الَّتي لم تستطع ردَّ خطر الأساطيل البرتغاليَّة الَّتي وصلت جُدَّة وسواكن والسُّويس، فكان سببُ دخول العثمانيِّين لبلادنا عام ١٥١٦م دعوةَ أجدادنا لهم لحماية البلاد ضد الخطر البرتغالي، وفعلاً تتبَّع العثمانيُّون الأساطيل البرتغاليَّة حتَّى سواحل الهند، وهناك كانت معركة دِيُو البحريَّة.

والَّذي أريد قوله: الدَّولة العثمانيَّة شيء، والاتِّحاديُّون الدُّونمة الطُّورانيُّون شيء آخر، والدُّونمة أَسَّسها سبتاي زيفي سنة ١٦٤٨م، وهي حركة يهوديَّة.

لقد انتهت الدَّولة العثمانيَّة بعزل السُّلطان عبد الحميد الثَّاني عام ١٩٠٩م، وخطَّط اليهود الماسونيُّون لأبواقهم لتشويه تاريخ الدَّولة العثمانيَّة من جهة، والتَّهليل للاتِّحاديِّين الدُّونمة من جهة أُخرى، وركَّزوا على تشويه سيرة السُّلطان عبد الحميد، ورسالته لشيخه محمود أبو الشَّامات المحفوظة بزاوية أَبي الشَّامات بدمشق خير دليل، نشرتها مجلَّة العربي في عددها ١٦٩، الصَّادر في كانون الأوَّل (ديسمبر) ١٩٧٢م، في مقالة للمرحوم سعيد الأفغاني، فمُزِّقَت المقالة وحُذِفَت من العدد.

لقد تصدَّى السُّلطان عبد الحميد الثَّاني لمؤامرات اليهود بحزم، ودفع عرشه ثمناً لموقفه المشرِّف من قضيَّة فلسطين بصورة خاصَّة، وقضايا أُمَّته الإسلاميَّة بصورة عامَّة، لقد طرد هرتزل والحاخام موسى ليفي، على الرَّغم من الإغراءات الماليَّة الَّتي قُدِّمت إليه، فعُزِل وأُلِّفت الأكاذيب والافتراءات، حتَّى وُصِفَ بالسُّلطان الأحمر.

وممَّا عجَّل عزله، إعطاء اليابان امتياز التَّنقيب عن البترول العراقي، وتجاهل الطَّلب البريطاني.

٩- أُسطورة أَفران الغاز (الهولوكوست):

هنري روك، فرنسي، قدَّم أُطروحته لنيل الدكتوراه عام ١٩٨١م، أَشرف عليها البروفيسور جاك روجو، أُستاذ الآداب في جامعة السُّوربون، بعد أَن اطَّلع بإِذن رسمي من وزير الدِّفاع على المحفوظات والوثائق اللاَّزمة المحفوظة في إدارة القضاء العسكري بباريس، وأنجز هنري روك أطروحته في نيسان (أبريل) ١٩٨٤م، ووجد البروفيسور جاك روجو صعوبة كبيرة في تشكيل هيئة تحكيم، واضُّطرَّ لنقل ملفِّ الأُطروحة، وفق أكثر الشُّروط نظاميَّة إلى جامعة نانت، وحلَّ البروفيسور جان كلود ريفيير محلَّ جاك روجو، وجرى الدِّفاع عن الأُطروحة وفق القوانين المتَّبعة،

وكانت ردَّة الفعل الوحيدة على الأُطروحة لروبير بوليه في مقال نشره في صحيفة (لُوفيغارو)في ٢٨ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ١٩٨٥م بعنوان: خطوة أُخرى نحو الحقيقة، وفي ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٨٦م، نشرت صحيفة ويشت فرانس مقالاً فيه: لم يثبت وجود غرف نازيَّة للإعدام بالغاز.

تحرَّكت الصَّحافة الصُّهيونيَّة تحرُّكاً كبيراً لتقول: إنَّ أُطروحة هنري روك باطلة، وشكَّكوا في قانونيَّتها، إلاَّ أَنَّهم ولعجزهم عن دحضها تمسَّكوا بالعيوب الشَّكليَّة من نقل مناقشتها من جامعة إلى أُخرى، وتغيُّر المشرف، فتمَّ إلغاء الأُطروحة، ووجد هنري روك نفسه محروماً من الدكتوراه، لقد سُحِبَت منه الدكتوراه، وعلى الرَّغم من احتجاجات قانونيَّة صحيحة قدَّمها هنري روك، فشلت جهوده قُبَالة الجهود الصُّهيونيَّة المركَّزة، فالتَّاريخ الَّذي روَّجه هؤلاء الصَّهاينة، بكلِّ ما فيه من أَساطير، هو التَّاريخ المناسب لابتزاز العالم الغربي.

وهنالك تقرير فنِّي عن غرف الغاز، قدَّمه المهندس الأمريكي فْرِدْ لوشتر، الخبير والمستشار في مجال صنع منشآت الإعدام في السُّجون الأمريكيَّة، ذكر فيه: درجت وسائل الإعلام اليهوديَّة على التَّرويج لما تسمِّيه الهولوكوست، أي عمليَّة الإبادة الجماعيَّة الَّتي تعرض لها اليهود في فترة الحرب العالميَّة الثَّانية على يد النَّازيِّين، وخاصَّة عن طريق المحارق في بولونية، وتلك عمليَّة ابنزاز رخيص، الهولوكوست (المحرقة) ليست مستندة إلى أيِّ نصٍّ تاريخي ثابت.

وفي أَلمانية في ٢٨ تشرين الأوَّل (أكتوبر) عام ١٩٩٣م، استضاف التِّلفاز الألماني المهندس الأمريكي فْرِدْ لوشتر، لحوار معه بصفته خبيراً ومستشاراً في مجال صنع منشآت الإعدام لدى إدارة السُّجون الأمريكيَّة، ولكن جرى إيقاف السَّيِّد لوشتر في استوديوهات التِّلفاز، قبل بدء تسجيل البرنامج بنصف ساعة، وتمَّ نقله بعد ذلك فوراً إلى سجن مدينة مانهايم،

وأُطلق سراحه في ٢ كانون الأوَّل (ديسمبر) ١٩٩٣، بعد أن قضى مدَّة تزيد عن شهر رهن الاعتقال، مع أنَّ جنسية لوشتر أمريكيَّة، ولم يتدخَّل السَّفير الأمريكي في ألمانية.

وهذا يذكِّرنا بقانون فرنسي، صادر عن مجلس الشُّيوخ، الَّذي كان برئاسة يهودي، يمنع الشَّكَ في أفران الغاز، ويَحْظُرُ مناقشة الموضوع على كلِّ فرنسي، وإلاَّ يُتَّهم باللاَّساميَّة، ويسجن، لو كان الأمرُ صحيحاً، لِمَ لا نفكِّر فيه ونناقشه ؟! وهذا ما جرى مع روجيه غارودي، حينما قدَّم كتابه: الأساطير المؤسِّسة للسِّياسة الإسرائيليَّة.

ويطالب اليهود اليوم بخمسة عشر طُنّاً من الذَّهب، من أسنان من أُحرقوا !!

١٠- هيكل سليمان والمسجد الأَقصى:

في أواخر عام ١٩٦٧م، بدأ الحفر بتمويل من الجامعة العبريَّة، برئاسة البروفيسور بنيامين فراد، ومساعده مئير دوف، بطول ٨٠-٤٠٠م، جوانب جدران الحرم الشَّريف، بعمق ١٠-٢٠م، تحت الأقصى، فلم تعثر - حصراً - إلاَّ على آثار إسلاميَّة أُمويَّة ورومانيَّة، ولم يُعثر حتَّى اليوم على أيِّ أثرَ من آثار الهيكل المزعوم.

الباحثة الأمريكيَّة (غريس هالسل) اجتمعت عام ١٩٨٣م، مع عالم الآثار الأمريكي (غورون فرانز)، الَّذي أمضى عامَيْن في أعمال الحفر، وسألته عمَّا عثروا عليه ؟ فقال: لا توجد دلائل على أنَّ الهيكل كان هناك، أو أنَّه لم يكن هناك، وسألت غريس (إيغي يوناه): أين مكان الهيكل على وجه التَّحديد قبل ٢٠٠٠ سنة ؟ فكان جوابه: إنَّني لا أعرف، ولا أحد يعرف، الهدف تدمير المسجد، لقطع مشاعر المسلمين بمقدَّساتهم.

فقالت غريس هالسل: وهذا المجسَّم المزعوم؟!

فأجابها: إنَّه تصوُّرٌ يهودي افتراضي.

وبالمناسبة، أُمُّ النبيِّ سليمان الَّذي يدَّعون أنَّه باني الهيكل، غير يهوديَّة، إنَّها حثِّيَّة، واليهوديَّة لا تثبت حتَّى اليوم إلاَّ من جهة الأُمِّ فقط، فلو كان سليمان موجوداً اليوم، لما تمكَّن من الحصول على الجنسيَّة الإسرائيليَّة، لأنَّ أُمَّه ليست يهوديَّة، حتَّى لو قدَّم طلباً رسمياً إلى حكومة أُولمرت، لأنَّ الحكومة الإسرائيليَّة لا تعدُّه يهودياً حسب التَّعاليم التَّلموديَّة المعمول بها، على الرَّغم من ادِّعائهم أنَّه باني الهيكل الَّذي لم يعثروا تحت الأقصى الشَّريف على حجر واحد منه.

ولو عثروا على أثرٍ بسيطٍ يدل على وجود الهيكل تحت الأقصى، لأقاموا الدُّنيا ولم يقعدوها.

أخطاءٌ تاريخيَّة، أرجو أن نتجاوزها بوعي وتمحيص وعلميَّة، كي لا يقال عنا: إنَّنا الأُمَّة الوحيدة على هذه الأرض، الَّتي تقرأ تاريخها الَّذي كتبه له أعداؤها.

«إنَّ غايةَ التَّاريخِ هي إدراكُ الماضي كما كان، لا كما نتوهَّم أنَّه كان، وكذلك ليس هو تصويرَ الماضي كما يجبُ أن يكون، أو كما نريدُهُ أن يكون».

والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً.



مُصْطَلحاتٌ مُشَوَّهَةٌ

تمهيد

بسم الله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد..

فقد ظهرت مصطلحات في العقود الأَخيرة، ظاهرها يعاكس مضمونها وهو الهدف، وكثر استعمالها دون تمحيص أو بحث عن جذورها، منها: حرِّيَّة الرَّأي، العلمانيَّة، الإرهاب، الاجتهاد والتَّجديد، حقوق الإنسان، المثقَّف.. ومنها: التَّعصُّب والأُصوليَّة، للإجهاز على أيِّ صحوةٍ إسلاميَّة راشدة، فهذا أُصولي، وهذه حركة أُصوليَّة، وراحت وسائل الإعلام تستخدمها بحسن نيَّة أحياناً، وبغيرها أَحياناً أُخرى، دون معرفة دلالاتها المتوخَّاة.

لقد نشأ هذا المصطلح في الغرب للدَّلالة على توجُّه معيَّن عند بعض المسيحيِّين؛ الَّذين يُتَّهمون بالحرفيَّة والتَّزمُّت، والميل إلى القسوة والعنف، وأَحياناً الجريمة، وسُمِّي هؤلاء (المسيحيِّين الأُصوليِّين)، وأَرادوا اليوم أَن يعكسوا الأَمر على الصَّحوة الإسلاميَّة، فسمُّوها (الأُصوليَّة) تنفيراً منها، وإساءة إليها.

مع أنَّ هذا المصطلح إسلاميّاً لا غبار عليه؛ لأنَّ الأُصول تعني الأساس والجذور، ويقصد بها من يكون له أصل ثابت يرجع إليه، ويعوِّل عليه، لذلك قيل: «من ضيَّع الأُصول؛ فقد حُرِمَ الوصول».

فأُصول الدِّين؛ أَي أُصول العقيدة.

وأُصول الفقه؛ أَي أُصول الشَّريعة؛ لأنَّ الأُصول تعني الأَركان.

لذلك، وبهذا المعنى، يكون معظم المسلمين أُصوليِّين.

وهكذا، سنقدِّم بعض هذه المصطلحات المشوَّهة المشوِّهة المستعملة اليوم، مثل: الرَّجعيَّة، والتَّعصُّب، والحرِّيَّة الشَّخصيَّة، والإِرهاب، والكشوف الجغرافيَّة، والدِّيمقراطيَّة، والاجتهاد والتَّجديد، وحقوق الإنسان، والتَّقريب، والعولمة، وحرِّيَّة الرَّأي، والمثقَّف.

آملين التَّصويب؛ انطلاقاً من الحقيقة ليس غير.

وبالله التَّوفيق، فهو من وراء القصد.

دمشق ٢٥ جمادى الأُولى ١٤٢٨ هـ،
١٠ حزيران (يونيو) ٢٠٠٧ م

١- الرَّجعيَّة

يتساءل الإنسان المنصف: من أَطلق اسم الرَّجعيَّة على من يعتزُّ بتراثه وتاريخه ومبادئه؟ ومن أطلق اسم التَّقدُّميَّة على التَّقدُّميِّين؟ وهل مبادئهم التَّقدُّميَّة بعد حين هي رجعيَّة؟ وهل ينبذ كلُّ القديم لقدمه، كالفضيلة والأخلاق والمعارف والثَّقافة والخبرات؟ هل نثور عليها ونسحقها لأنَّها قديمة؟ وتدمير القديم، ما ميزان مَحْوِهِ؟

شريعة حمورابي ١٧٤٩ ق.م فيها ما فيها من المقبول، المادَّة ٢٢٩ فيها: إذا بنى مهندس بيتاً لأحد الأشخاص، ولم يكن بناؤه متيناً، فانهار البيت، وسبَّب قتل من فيه، يُعاقب المهندس بالموت.

فهل هذا القديم الَّذي عمره قرابة أربعة آلاف سنة يجب أن يبدَّل إلى:.. وسبَّب قتل من فيه يكافأ المهندس بجائزة، وبترفيع إن كان موظَّفاً في جهة رسميَّة؟.

وفي الحضارة الفرعونيَّة يقول (بتاح حوتب): إذا كنت رجلاً حكيماً، فكوِّن لنفسك أُسرة، وتقول بردية فرعونيَّة: أَفرغ قلبك للعلم وأحبَّه كما تحبُّ أُمَّك، فلا شيء في العالم يعدل العلم في قيمته.

فهل ننبذ هذه القيم لمرور أكثر من أربعة آلاف سنة على تبنِّيها؟

الدِّين أفيون الشُّعوب، أثبتت الأحداث أنَّه حياة الشُّعوب، ضامن قيمها وأخلاقها، هو الرَّقيب الذَّاتي حينما تغيبُ عين السُّلطة، وأُلوف من يشار إليه بالبنان في اختصاصه تعمَّق إيمانه ورسخ في قلبه وفكره أكثر من خلال بحوثه، فالمصادفة مرفوضة علمياً في الخلق والقوانين والنَّواميس الكونيَّة، (العلم في منظوره الجديد، أغروس - ستانسيو، الفصل الرَّابع: الله، ص ٥٧ - ٧٨).

المبادئ الماديَّة (التَّقدُّميَّة) انهارت باصطدامها بالتَّطبيق والواقع، بعد الأَحلام الورديَّة الأَرضيَّة الَّتي عاشها النَّاس بذلٍّ وفقر وبؤس، بناء كرتوني وصفه من بناه بالعلميَّة، انهار بين عشيَّة وضحاها بهزَّة لطيفة، لأَنَّه يخالف الفطرة البشريَّة، واقع معاش شاهدناه: طبقة جديدة مترفة مرفَّهة، وكادح بائس مسحوق باسم التَّقدُّميَّة والعلميَّة.

ليس كلُّ جديد يؤخذ، ولا كلُّ قديم ينبذ.

وليست كلُّ فضيلة رجعيَّة، وليست كلُّ رذيلة وتفلُّت تقدُّميَّة.

٢- التَّديُّنُ تعصُّبٌ

الأُصوليَّة

مصطلح للمسلمين فقط، فأمريكة الَّتي تدَّعي العلمانيَّة؛ رئيسها بوش الابن يعدُّ إسرائيل دولة يهوديَّة دينيَّة.

واليهودي في جيشه يحمل التَّوراة أمام كلِّ العالم، وفي السِّياسة لا يفاوض يوم السَّبت، فشامير شتم العرب بمؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، وغادر قاعة الاجتماعات دون سماع الرَّدِّ، لأَنَّه يريد الوصول إلى مطار اللُّدّ قبل غروب يوم الجمعة ليَسْبِت.

لقد وجدت (الأُصوليَّة الإنجيليَّة، أَو الصُّهيونيَّة المسيحيَّة)(١) طريقها إلى رؤساء الولايات المتَّحدةالأمريكيَّة، كارتر، وريغان، وبوش، حيث الرُّؤية التَّلموديَّة التَّوراتيَّة، فلا بدَّ للمسيح أن يعود ليحكمَ الأَلفيَّة الثَّانية، ولكنَّه لن يعود إلا بعد معركة نوويَّة لا تبقي ولا تذر، هي معركة هرمجدُّون.

---

(١) الأُصوليَّة الإنجيليَّة أَو الصُّهونيَّة المسيحيَّة والموقف الأمريكي، محمد السَّماك، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط١/ ١٩٩١م.

في عام ١٩٧٦م كارتر يعلن إيمانه بعقيدة (الولادة الثَّانية) كمسيحي، وفي العام نفسه وصل إلى الرِّئاسة فأعلن: إنَّ تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنُّبوءة التَّوراتيَّة.

وفي عام ١٩٨٠م وصل ريغان لرئاسة الولايات المتَّحدة، فكانت انطلاقة جديدة للتَّطرُّف الدِّيني الأمريكي، فتحدَّث بوضوح عن هرمجدُّون نوويَّة قادمة، الَّتي لا تزال تشغل باله، إنَّ جميع النُّبوءات الَّتي يجب أن تتحقَّق قبل هرمجدُّون قد مرَّت، «إنَّنا قد نكون الجيل الَّذي سيشهد هرمجدُّون، إنَّ نهاية العالم قد تكون في متناول يدنا»، (المرجع المذكور في الحاشية السَّابقة: ٩١).

وفي عام ١٩٨٤م ريغان يفصح عن إيمانه بنظريَّة هرمجدُّون ودور إسرائيل في معركة نهاية العالم، واقتراب العودة الثَّانية للمسيح المخلِّص.

ويعتقد أتباع الصُّهيونيَّة المسيحيَّة:

١- اليهود شعب الله المختار، الأُمَّة المفضَّلة على كلِّ الأمم.

٢- ثمَّة ميثاقٌ إلهيٌّ يربط اليهود بالأرض المقدَّسة في فلسطين، ميثاق سرمدي حتَّى قيام السَّاعة.

٣- ربط الإيمان المسيحي بعودة السَّيِّد المسيح بقيام دولة صهيون، أَي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتَّى يظهر المسيح فيهم، (المرجع المذكور ٣٦).

وهناك اعتقاد: إنَّ الله ينعم على أمريكة بالقوَّة والثَّروة بسبب تأييدها لليهود ودعمهم، (النُّبوءة والسِّياسة ٨٧).

إنَّ أوَّل دكتوراه في جامعة هارفرد كانت عام ١٦٤٢م، وكانت بعنوان: العبريَّة هي اللُّغة الأُمّ، وأوَّل كتاب صدر في أمريكة كان سفر المزامير، وأوَّل مجلَّة كانت مجلة (اليهودي).

وفي مطلع ١٩٨٦م بدأت C.B.N. برنامجاً تلفزيونيّاً لمدة نصف ساعة يوميّاً عنوانه: (C.B.N. أخبار اللَّيل)، يقدِّم أخباراً من وجهة نظر مسيحيَّة صهيونيَّة، إلى ٢٧,٣ مليون مشاهد.

في السَّادس من شباط (فبراير) ١٩٨٥م، أَلقى بنجامين ناتانيا - السَّفير الإسرائيلي السَّابق لدى الأُمم المتَّحدة - خطاباً أمام مؤتمر صهيوني مسيحي عُقِدَ في واشنطن، قال فيه: «هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهوديَّة للعودة إلى أَرض إسرائيل، هذا الحلم الَّذي يراودنا منذ أَلفي سنة تفجَّر من خلال المسيحيِّين الصُّهيونيِّين، المسيحيُّون هم الَّذين عملوا على تحويل الأُسطورة الجميلة إلى دولة يهوديَّة»، (الأُصوليَّة الإنجيليَّة ١٢٥).

حينما احتلَّ البريطانيُّون القدس في الحرب العالميَّة الأُولى، ودخلتها قوَّات الجنرال اللَّنبي Allenby في ١٠ كانون الثَّاني (يناير) ١٩١٧م؛ دقَّت أجراس الكنائس في كلِّ أُوربَّة، بما فيها أَلمانية، ابتهاجاً وفرحاً، علماً بأنَّ الحرب في أُوربَّة كانت أساساً بين بريطانية وألمانية.

فالبعد الدِّيني في السِّياسة الأمريكيَّة - والإسرائيليَّة - تجاه الصِّراع العربي الصُّهيوني أوضح من أن يطمس أو يُبعد، أمّا إذا ظهر أثر للإسلام عند مسلم فيتَّهَمُ بالتَّعصُّب، والأُصوليَّة.

٣- الحرِّيَّة الشَّخصيَّة

جنس، مخدِّرات، عنف

الحضارة الغربيَّة متقدِّمة علميّاً وتقنيّاً، متخلِّية عن القيم الضَّابطة، تمثَّلت الحرِّيَّة الشَّخصيَّة عندهم بِ:

- تعاطي المسكرات الَّتي أَوصلت إلى الإدمان، ثمَّ إلى المخدِّرات والتَّعامل مع العصابات (المافيا) وبالتالي إلى الجريمة المنظَّمة.

- حرِّيَّة المرأة انقرضت معها تماماً كلمة (العذريَّة)، فباسم الحرِّيَّة الشَّخصيَّة وصلوا إلى الحرِّيَّة الجنسيَّة، حيث الأمراض الجنسيَّة، ومن ثمَّ الشُّذوذ الجنسي والزَّواج المثلي، فتفكَّكت الأُسرة، وخرب المجتمع، والنَّتيجة: الجريمة المنظَّمة.

- وحرِّيَّة الإعلام تمثَّل بالعنف والجنس الَّذي يوصل إلى الجريمة المنظَّمة، فالفتى الأمريكي - كما يقول علماء النَّفس - إذا بلغ الثَّامنة عشرة يكون قد شاهد ثمانية عشر ألف فيلم إجرامي.

مع الاستخفاف بالرِّباط الزَّوجي، وتنوُّع العلاقات بعيداً عن أيِّ مسؤوليَّة، وثمرة اللِّقاء؛ اللُّقطاء في دور التَّبنِّي، والَّتي يجري فيها العجب، حيث قطع التَّبديل، تجارة بيع أعضاء الأطفال (أطفال للبيع، الجزيرة ٣/ ٣/ ٢٠٠٥م ظهراً)، وربح هذه التِّجارة عام ١٩٨٦م بلغ ٥ مليارات دولار.

وصف وُل ديورانت المجتمع الأمريكي في كتابه (مباهج الفلسفة): إنَّنا أغلقنا كلَّ طريق يؤدِّي إلى الفضيلة والزوَّاج، وفي الوقت ذاته فتحنا كلَّ باب من أبواب الغواية والعلاقات غير الشَّرعيَّة.

الإعلام الغربي مليء بصور النِّساء في ملابسهنَّ الدَّاخليَّة، أو من دونها، ودعاية المنتجات عليها امرأة جميلة فاتنة عارية أو تكاد، لتحقيق فوائد مادِّيَّة حصيلة الفحش ورواجه.

لقد حُجِّمت الحرِّيَّة الشَّخصيَّة بالجنس والانحراف، حتَّى وصلوا إلى نكاح المحارم، والزَّواج المثلي.

خلعت المرأة ثوب العفَّة؛ فانهارت قداستها، ونُظِرَ إليها متعة في جسد، وتحوَّلت إلى أداة مفاتن ومتعة، مع أنَّ مؤسَّسة الزَّواج صمّام أمان، وهي علاقة تعاقديَّة تهدف إلى الإحصان المتبادل.

لذلك كانت حرِّيَّتهم فوضى منظَّمة، وحرِّيَّتنا قواعد منظمة، اللِّقاء المادِّي هدفه حفظ النَّوع البشري، مع تنشئة سليمة تقع على عاتق الأَب والأُمّ معاً.

في تقرير لوزارة الدَّاخليَّة البريطانيَّة، أعدَّته لجنة من المختصِّين عام ١٩٧٥م، عرَّف الزَّواجَ بأنَّه علاقة (مساكنة) بين رجل وامرأة؛ أي إنَّ الزَّواج ليس مؤسَّسة، إنَّما هو مجرَّد علاقة جسديَّة.

نسبة المواليد في بريطانية خارج دائرة الزَّواج أكثر من النِّصف، لا قدسيَّة للزَّواج، وعزوف عنه، (أخبار الجزيرة صباح ١٨/ ٤/ ٢٠٠٦م).

حرِّيَّة شخصيَّة، حلوٌ الكلام عنها، مرٌّ نتاجها، نقلوا المرأة من أُنثى مكرَّمة إلى أُنثى سلعة، من أُنثى قيم، إلى أُنثى جسد، كتلة لحم تتحرَّك، مباءة الفساد، أن غدتِ المرأة جسداً منفلتاً من كلِّ القيم، لإشباع رغبة الرَّجل وشهوته دون أيِّ مسؤوليَّة.

(مارلين مونرو) على الرَّغم من المال والمجد ماتت منتحرة في قمَّة شهرتها العالميَّة، وجاء في وصيَّتها: إنِّي أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أُمّاً، إنَّ سعادة المرأة الحقيقيَّة؛ في الحياة العائليَّة الشَّريفة الطَّاهرة، (المرأة بين الفقه والقانون ٣).

لا توجد حرِّيَّة شخصيَّة مطلقة، فالمسؤوليَّة شرط لترشيدها، إنَّها حرِّيَّة منضبطة بقيم وأخلاق، كي لا تتحوَّل إلى فوضى مؤلمة.

٤- الإِرهاب

مقاومة المحتلّ، ومحاربة المستَغمِر

والدِّفاع عن النَّفس

سنَّ أباطرة الرُّومان تشريعاً ينصُّ على قتل أربع مئة من ذكور الأعداء؛ مقابل كلِّ جنديٍّ رومانيٍّ يُقتل في المواجهات العسكريَّة، أو غير العسكريَّة، وأمريكة اليوم تقتل ألف مسلم قُبالة كلِّ أمريكي يقتل خلال حربها الَّتي تشنُّها على الإرهاب.

في فييتنام كانوا يجبرون المعذَّب على وضع يده على منضدة خشبيَّة، ويغرز مسمار أو أكثر في كلِّ إصبع، عن كلِّ سؤال لا يجيب عنه الفييتنامي الأسير، وألقت أمريكة على فييتنام:

٦,٦ مليون طن من القنابل.

١١,٢ مليون (غالون)[١] من مادة (الوسيط البرتقالي) السَّامَّة، لتميت أوراق الغابات وتسقط، لترى الثَّوار في غاباتهم.

٨ مليون (غالون) من مبيدات المحاصيل.

٤٠٠ طن من قنابل النَّابالم، ومذبحة واحدة (مذبحة ماي واي) ذهب ضحيَّتها ٥٠٠ من النِّساء والأطفال.

(السَّلام العالمي) كلمة حقٍّ يراد بها باطل، قالها هتلر وهو يغزو العالَم: إنَّ ألمانية إنَّما تريد السَّلام؛ لأنَّه مبدأ من مبادئها السِّياسيَّة، وردَّدها ستالين وهو يعدم الملايين: ندعو الشُّعوب إلى التَّمسُّك بالسَّلام،

---

(١) الغالون الأمريكي: ٣,٧٨٥ ليتر، والغالون الإنكليزي: ٤,٥٤ ليتر.

وحرصت أمريكة على السَّلام حينما ألقت قنبلتها الذَّرِّيَّة على هيروشيما في ٦/٨/ ١٩٤٥م، وأُخرى على ناغازاكي في ٧/ ٨/ ١٩٤٥م، دون مبرِّر، فقد كتب وزير الدِّفاع الأمريكي آنذاك (فورستال) في مذكَّراته الَّتي نُشِرت عام ١٩٥١م، إنَّ (ساتو) المتحدِّث الرَّسمي الياباني أقرَّ بتاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٤٥م بهزيمة اليابان، وهو يطلب المفاوضات للسَّلام، فالهدف الحقيقي لاستخدام القنابل الذَّرِّيَّة (إرهاب) الشُّعوب، حرب نفسيَّة توحي بقوَّة أمريكة.

وترفض أمريكة وضع تعريف للإرهاب، ولو عُرِّف لثبت أنَّها تمارسه بامتياز، ولو عرَّفته لضاعت من يدها الذَّريعة والوسيلة الَّتي تستهدف بها الشُّعوب، ولضاعت كلُّ المحاولات دون جدوى كي لا تتَّكئ دولة أو منظَّمة أو جهة على مصطلح يحدِّد الإرهابَ والإرهابي.

وليت أمريكة تطرح على عدد من الباحثين الحياديِّين المخلصين سؤالاً واحداً، وتعطيهم الفرصة المناسبة للإجابة عنه: لِمَ تكرهنا الشُّعوب؟ ويكفي هؤلاء الباحثين ذكر السُّجون السِّرِّيَّة الَّتي افتُضِحَ أمرها، والَّتي يتقزَّز الإنسان من ذكر بعضٍ ممّا جرى ويجري فيها، خيال، فالزَّمان متروك فيها ومُغَيَّب، والرَّصاصة غدت منحة لا يستحقُّها السَّجين، فالموت البطيء هو الهدف.

أعلن ترومان عام ١٩٤٧م حقَّ الولايات المتَّحدة في التَّدخُّل في الشُّؤون الدَّاخليَّة للبلدان الأُخرى.

الدُّول الإرهابيَّة؛ هي الدُّول الَّتي لا تدور في فلك أمريكة.

(والفيتو) الأمريكي في مجلس الأمن مسخَّرٌ ضدّ أيِّ مشروع ينصُّ على فرض عقوبة على إسرائيل، أو إدانة سلوكها، ممّا يجعلها - وهي المتمرِّدة على كلِّ المواثيق والمعاهدات والقوانين والأعراف الدَّوليَّة - فوق أيِّ إدانة أو لوم.

حينما أحرق إسرائيلي المسجدَ الأقصى في آب (أُغسطس) ١٩٦٩م، استعملت أمريكة (الفيتو) ضد إدانة مجلس الأمن لهذه الجريمة المنكرة.

وحينما قتل إسرائيلي بدم بارد ثمانيةً من العمَّال العرب في ضاحية تل أَبيب في أَيَّار (مايو) ١٩٩٠م؛ استعملت أمريكة (الفيتو) ضد إدانة هذه الجريمة.

وحينما وقعت جريمة المسجد الأقصى حيث قُتِل ٢١ مصلِّياً، وجُرِح أكثر من ١٥٠ في اعتداء على المسجد، مارست أمريكة (الفيتو) ضد إدانة هذه الجريمة، فإسرائيل في نظر ذاتها، وفي نظر الصُّهيونيَّة المسيحيَّة مالكة القرار وصانعته في الولايات المتَّحدة، إنَّها فوق العقاب، وفوق الإدانة، وفوق القانون الدَّولي لأنَّها فوق حسابات البشر.

٢٠٠ طفل قتلهم رصاص الاحتلال الصُّهيوني عام ٢٠٠٦م، و ٦٠٠ طفل قتلوا في الانتفاضة الثَّانية، حتَّى الأجنَّة لم تسلم من رصاصهم، جَنينٌ في بطن أُمِّه عمره سبعة أشهر؛ قتل يوم الخميس ١٠/ ٥/ ٢٠٠٧م.

بعد نصر حطِّين في ٤ تموز (يوليو) ١١٨٧م، حُرِّرت القدس الشَّريف، وكان الرُّعب يسيطر على الصَّليبيِّين؛ لأنَّهم يعلمون ما فعله أجدادهم في القدس عام ١٠٩٩م، حيث أبادوا سبعين ألفاً من المسلمين، رجالاً وشيوخاً ونساءً وأطفالاً، وكانوا متأكِّدين من أنَّ صلاح الدِّين سيفعل بهم ما فعلوه بالمسلمين من قبل، ولو فعلها ما لامه أحد، لأنَّها جزاء بالمثل، ولكن سجَّل صلاح الدِّين سماحة الإسلام ورحمته واقعاً، فلم يقتل أحداً، بل سمح للصَّليبيِّين الغزاة بالخروج بفداءٍ يسير، فنجوا بأنفسهم وأولادهم وقد حملوا من المال والمتاع ما يستطيعون حمله، لذلك تكلَّم الأُوربيُّون عن فروسيَّة صلاح الدِّين، حتَّى وَهِمَ الفرنسيُّون أنَّ له أُمّاً فرنسيَّة أَو جدَّة فرنسيَّة، ورأى الإنكليز أنَّها يجب أن تكون إنكليزيَّة.

٥- الكشوفُ الجغرافيَّة

الاسم الملطَّف والحضاري للاستدمار والإبادة، والتَّبشير.

الكشوف الجغرافيَّة: ظاهرة استعماريَّة متعطِّشة للتَّوسُّع والوصول إلى جنوب شرق آسية، وإفريقية، للسَّيطرة على التِّجارة العالميَّة، والتَّوابل خاصَّة، ناهيك عن الذَّهب والفضَّة، وتجارة الرَّقيق.. أُعطيت اسماً (علمياً): الكشوف الجغرافيَّة، وهي في جوهرها استعمار وحشي، نَهِمٌ ابتلع خيرات الشُّعوب وتركها بعد مئات السِّنين من استغلالها تصارع أعداء الإنسانيَّة الثَّلاثة: الفقر والجهل والمرض.

لم يَسْعَ كريستوفر كولومبس، ويعني اسمه باللَّاتينيَّة: حامل المسيح، لتحقيق الشُّهرة والثَّروة لنفسه، أَو التَّوسُّع لصالح ملوك أُوربَّة وأُمرائها فحسب، بل كان الهدف الأوَّل والأهمّ، كما كتبه خطِّيّاً لملك إسبانية وملكتها: فرديناند وإيزابيلا قائلاً: إنَّه يريد أن يكتشف ممالك ومدناً جديدة يضمُّها إلى التَّاج الإسباني، ويهدي شعوبها إلى الدِّين المسيحي، ثمَّ يجنِّدها فيما سمّاه بـ «حرب الحياة أو الموت ضد إمبراطوريَّة محمَّد»[١]، وأضاف: بأنَّ هدفه النِّهائي هو (استعادة) الأراضي المقدَّسة، وخاصَّة القدس ومهد المسيح، وذلك تمهيداً لنزول مملكة الله على جبل صهيون[٢].

كما يؤكِّد مؤرِّخو كتاب (الأُمَّة الأمريكيَّة ٢) أنَّ «كولومبس تصوَّر نفسه رسول الوحي المستقبلي الكتابي الَّذي ينبئ باستعادة القدس وهداية اليهود».

---

(١) من أجل صهيون التُّراث اليهودي - المسيحي في الثَّقافة الأمريكيَّة ٢٥، عن: Bunner p. 23

(٢) المرجع السَّابق، عن: Harley p. 51

أمّا الكشوف البرتغاليَّة، فقد بدأت سنة ١٤١٨م حينما أبحرت السُّفن ناشرة أشرعتها، حاملة إلى شعوب إفريقية جماعة من الرُّهبان، يبشِّرون بالعهد الجديد، ويعودون منها بكنوزها من الذَّهب والعاج والفلفل، ومضى هنري الملَّاح بتنفيذ مشروع مغامراته البحريَّة، لأنَّه كان يأمل أن يجد في ملك الحبشة القسّ يوحنا حليفاً له في مقاتلة المسلمين، مع الوقوف على مدى قوَّة المسلمين في إفريقية، خصوصاً وقد وهب البابا مارتن الخامس (١٤١٧ - ١٤٣١م) التَّاجَ البرتغالي كلَّ الممالك الَّتي يستكشفها، «ثمَّ أمعن البابا في الكرم والسَّخاء، فأحلَّ من الأوزار والخطايا أرواحَ من يلقون في تلك المغامرات من أعوانه وأجناده»[1]، معطياً الكشوف طابع الحروب الصَّليبيَّة الصَّريح.

وقرَّر الملك مانويل الأوَّل (١٤٩٥ - ١٥٢١م) القضاء على سيطرة الدُّول العربيَّة عن طريق احتلال عدن ومضيق هرمز، فسيَّر فاسكو دوغاما سنة ١٤٩٧م، بعد أن قال في وداعه: «هذه المغامرة النَّبيلة، والمنافع الَّتي تبلِّغ رسالة سيِّدنا وإلهنا يسوع إلى أُولئك الَّذين لا يعلمون عنه شيئاً».

وبعد عودة دوغاما بستَّة أشهر؛ أرسل الملك أُسطولاً مكوَّناً من ثلاث عشرة قطعة إلى الهند، بقيادة ألفارز كابرال، عليها ألف وخمس مئة جندي، عدا البحَّارة ومهرة العمَّال، وسبعة عشرة قسِّيساً، وكان على كابرال أن يبدأ بالدَّعوة إلى المسيحيَّة، فإن لم تأتِ الدَّعوة بالنَّتيجة المنشودة «فليحتكم إلى السَّيف»[2].

وفي سنة ١٥٠٦م أرسل الملك مانويل (ألفونسو ألبوكيرك) إلى جنوب شرق آسية، ولما استولى ألبوكيرك على ملقَّا (الملايو)؛ أقام البابا ليو

---

(١) في طلب التَّوابل ١٠٦، سونياي. هاو، مشروع ١٠٠٠ كتاب رقم ٩٨، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٩٥٧م.

(٢) في طلب التَّوابل ٢٠٨.

العاشر (١٥١٣ - ١٥٢١م) بمناسبة هذا الانتصار العظيم، انتصار ملك مسيحي على (الكفَّار) والوثنيِّين قدَّاساً خاصّاً للشُّكر، وأمر بتسيير موكب رسمي اشترك فيه بنفسه[1].

وكان من بين الخطط الَّتي اعتزم ألبوكيرك تنفيذها؛ تحويل نهر النِّيل عن مجراه، كي تُحْرَمَ مصر من خصوبة أرضها؛ لأنَّ كمِّيات الطَّمي الَّتي يحملها النِّيل قادمة من النِّيل الأزرق القادم من الحبشة، والهدف: هلاك مصر، ووعد ألبوكيرك الأحباشَ بصنَّاع مهرة من جزر آزور، لمهارتهم في القيام بمثل هذا العمل، إذ كان عليهم أن يفتحوا ثغرة بين سلسلة التِّلال الصَّغيرة الَّتي تجري بجانب النِّيل داخل الحبشة، فيتَّجه النَّهر إلى المحيط الهندي عبر الصُّومال، ولكن ألبوكيرك توفِّي عام ١٥١٥م دون أن يضع مشروعه موضع التَّنفيذ.

وماجلَّان البرتغالي قُتِل عام ١٥٢١م في عذراء ماليزية (الفيليبِّين)؛ على يد الثَّائر الأحمر (لابولابو) لرفعه الصَّليب فور نزوله من سفينته إلى اليابسة، وأراد فرض عقيدته وسيطرته.

وبعد نصف قرن، أرسلت إسبانية جيوشها واحتلَّت أمان الله (مانيلَّا) عام ١٥٧١، فكانت مشاهد الاحتلال مماثلة لما شهدته غَرْناطة من همجيَّة ووحشيَّة، وحصل ليكاسبي الإسباني إذناً من فيليب الثَّاني باسترقاق المسلمين، مع هدم المساجد، ومنع إعادة بنائها[2].

وفي أواخر القرن التَّاسع عشر؛ هَزَمَت أمريكةُ إسبانيةَ في المياه الفلبِّينيَّة، فاضطرَّت لبيع الفيليبِّين إلى أمريكة عام ١٩٠٠م بمئتي مليون دولار، فصادرت أملاك المسلمين، مع تبنِّي عمليَّة تنصير بالإكراه، فقاوم المسلمون ٣٨ عاماً، حتَّى شنَّ الأمريكيُّون حرباً جرثوميَّة، فمات النَّاس بمئات الأُلوف، وعلى الرَّغم من ذلك أدركت أمريكة عدم جدوى

(١) في طلب التَّوابل ٢٢٢.

(٢) وأعطت للشَّعب المسلم اسم مورو، وهو اسم شعب شمال إفريقية (موروكو)، وهم يعنون بها المسلمين؛ لأنَّ شعب جزر عذراء ماليزية أوَّل حضارة وطئت أرضه هي الحضارة الإسلاميَّة، وأوَّل كتابة عرفها هي الحرف العربي.

محاولاتها، فوقَّعت معاهدة صلح مع المسلمين، تكوَّنت لهم بموجبها دولة ذات حكم ذاتي.

كشوف جغرافيَّة.. أبادت ثمانين مليون هندي أحمر، وقضت على حضارة شعوب الأنكا والمايا والآزتيك، وقتلت واسترقت ملايين البشر في إفريقية، وأبادت شعب الأبورجيين، السُّكَّان الأصليِّين في أُسترالية، وشعب تسمانية..

كشوف جغرافيَّة أمِ استدمار منظَّم، مع تعطُّش ونهم لخيرات الشعوب؟

أما آن أن تعطى اسمها الحقيقي انطلاقاً من أهدافها وفعالها ونتائجها؟

٦- الدِّيمقراطيَّة

على الطَّريقة الأمريكيَّة

لا يُتَحَدَّث عن الدِّيمقراطيَّة ولا يسعى إليها إذا كان الحكم العسكري الانقلابي تبعاً لمصالح أمريكة، مواكباً لتطلُّعاتها، ولا تقبل ديمقراطيَّة الصَّناديق الزُّجاجيَّة الشَّفافة، بل تُحارب وتُسْقَط، لأنَّها لا تروق للمصالح الأمريكيَّة، ولا تتَّفق مع سياستها، ولو شهد لها (كارتر) بالنَّزاهة كما جرى لحماس في الأرض المحتلَّة، وكما شهدت أوربَّة لجبهة الإنقاذ في الجزائر.

ديمقراطيَّة غوانتانامو والسُّجون السِّرِّيَّة في تايلاند وأفغانستان والعراق ورومانية وبلغارية وبولندة، وبعض دول الشَّرق الأوسط.

سجون سرِّيَّة للاعتقال غير القانوني، والتَّعذيب، للتَّهرُّب من كلِّ الضَّوابط والقوانين، ديمقراطيَّته لا تخضع لتشريع أو إنسانيَّة، تمثِّل ذروة العهر الأخلاقي.

وهذه الدِّيمقراطيَّة الأمريكيَّة راعية الدِّيمقراطيَّة الدَّوليَّة في مجلس الأمن وخارجه، فحينما يتناقض القرار الإسرائيلي مع النِّظام الدَّولي، ومع

المواثيق والمعاهدات الدَّوليَّة الأُخرى، فإنَّ القرار الإسرائيلي هو الَّذي يجب أن يحترم، لأنَّه يعكس إرادة الله التَّوراتيَّة، بينما لا يعكس القانون الدَّولي سوى إرادة الإنسان، وحيث تتناقض الإرادات؛ فإنَّ إرادة الله المتمثِّلة بالمصالح الإسرائيليَّة، هي الَّتي يجب أن تُحْتَرم، وأن يخضع لها، ولو احتاجت إلى (الفيتو) يوميّاً ولأكثر من مرَّة.

ومن صور الدِّيمقراطيَّة الَّتي تسعى إليها الشُّعوب، الدِّيمقراطيَّة الَّتي حقَّقتها أمريكة في العراق، فالعالم يشهدها مرَّات - ويشتهيها - كلَّ يوم، فلا مليارات من الدُّولارات سرقت وتسرق إلى اليوم، ولا قتلى بالمئات من المدنيِّين يومياً، ولا قصف لقرى تحتفل بأعراس أو مناسبات سعيدة، ولا تهجير لمليونين من البشر، ولا نزوح لمليونين آخرين داخليّاً[١]..

ومن صور الدِّيمقراطيَّة الَّتي تسعى أمريكة لفرضها على العالم، ديمقراطيَّة أفغانستان، والقنابل الذَّكيَّة، والأُورانيوم المخضب.

ومن الدِّيمقراطيَّة أخيراً، فيتو بوش في ٢/ ٥/ ٢٠٠٧م، بحقِّ قرار الأكثريَّة الدِّيمقراطيَّة في الكونغرس، الَّذي اشترط تمويل الجيش الأمريكي في العراق بعد جدولة الانسحاب.

٧- الاجتهاد والتَّجديد

شعار برَّاق

الاجتهاد لغة: افتعال من الجهد، وهو المشقَّة، أو الجهد وهو الطَّاقة، إنَّه استنفاد الجهد في طلب الشَّيء المرغوب إدراكه.

(١) نتائج الدِّراسة الميدانيَّة الَّتي أجرتها جامعة جونز هوبكنز الأمريكيَّة ونشرت في صيف ٢٠٠٦م تقول: إنَّ ٦٥٥ ألف عراقي ماتوا بسبب الحرب، وكانت الحرب الاقتصاديَّة قد قتلت نصف مليون طفل عراقي دون الخامسة في فترة المقاطعة والحصار، وقُدِّر عدد الجرحى بِـ ٢,٦ مليون، مع خطف ٣٠٠٠ طبيب وقتل ٨٠٠ طبيب في عام واحد.

وفي الاصطلاح: استفراغ الجهد في درك الأحكام الشَّرعيَّة، استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل حكم شرعي، و (استفراغ الوسع) معناه: بذل تمام الطَّاقة، بحيث يحسُّ من نفسه العجز عن المزيد عليه.

ولا اجتهاد في القطعيَّات، فمجال الاجتهاد يشمل المجالات الَّتي لم يأتِ فيها خطاب شرعي بالإثبات أو النَّفي، أي الَّتي لم يرد فيها نصٌّ، إنَّه منهجٌ علميٌّ دقيق يُسمَّى اجتهاداً، له شروطه ومجاله وأدواته وأهله، (الموافقات للشَّاطبي ٤/ ١٠٠).

المجتهد لا يقول في الشَّرع برأيه المجرَّد؛ لأنَّ الاجتهاد هو استخراج مراد الشَّرع، واستنباط الحكم من الأدلَّة الشَّرعيَّة بدليل وبرهان.

والأُمَّة بحاجة ماسَّة إلى علماء أكفاء، يتوافرون على التَّكوين الشَّرعي المتين، والأُفق الثَّقافي الواسع، والواعي بواقع الأُمَّة، تتوافر فيهم شروط الاجتهاد.

أمَّا أن يرفع غير المؤهَّل شعار الاجتهاد أو التَّجديد؛ فالطَّامَّة كبرى، فلكلٍّ علم أهله الَّذين أفنوا حياتهم في تحصيله، فشهد لهم أصحاب الاختصاص، علماً أنَّ الاجتهاد فيما لا نصَّ فيه، والتَّجديد في نفوس المسلمين لا في الإسلام نفسه.

قابلت في مدينة الرِّياض الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي في نيسان (أبريل) ١٩٩٣م بمناسبة مهرجان الجنادريَّة، وبعد ندوة حوار عنوانها: (الهويَّة الثَّقافيَّة للأُمَّة العربيَّة) بينه وبين الأُستاذ أحمد لطفي الخولي، سألت العلَّامة القرضاوي سؤالاً فأجابني، وممَّا قاله: أنا لا أميل إلى الفتوى الفرديَّة، فقلت حينها: هذا دليل الإخلاص، والطَّريق الأسلم إلى الفتوى الأصوب.

وبعدها بسنة أو اثنتين، صادفت في مؤتمر عقد في طرابلس (ليبية)

الأُستاذ الشَّيخ محمد الحبيب بن الخوجة، وبعد تجاذب أطراف الحديث قال لي ما قاله الدكتور القرضاوي: أنا لا أميل إلى الفتوى الفرديَّة، فقلت في حينها: إنَّه الإخلاص الَّذي يحرص على الوصول إلى الحقيقة، حيث استنباط الحكم من الأدلَّة الشَّرعيَّة بدليل وبرهان، ونسمع اليوم: فلان مجتهد، فلان مجدِّد، وهو يخالف بديهيّات في شرع الله.

٨- حقوق الإنسان

لها مكاييلها

كتب ومدارس أمريكيَّة لتعليم فنِّ التَّعذيب، ممَّا ذُكر فيها استخدام زجاجات مكسورة من أعلى، وإجبار السجين على الجلوس عليها، وجاء في تقرير لمنظَّمة هيومان رايتس ووتش أنَّ أُسلوب الولايات المتَّحدة في التَّعذيب يجرِّدها من أيِّ حقٍّ في أن تَعُدَّ نفسها وصيَّة على حقوق الإنسان في دول أُخرى.

وفي سجون إسرائيل يعامل المعتقل مجرَّداً من وصفه إنسان.

فضائح انتهاك أعراض العراقيَّات تناقلتها وسائل الإعلام، ومنهنَّ من اعتدي عليهنَّ أمام أعين أهلها، وبعد الجريمة تقتل الفتاة، ويقتل أهلها.

(ستفن غرين) جندي أمريكي عمره إحدى وعشرون سنة، في ٢١/ ٣/ ٢٠٠٦م، وفي المحموديَّة جنوبي بغداد، اغتصب عراقيَّة بالخامسة عشرة من عمرها، ثمَّ قتلها، وقتل أفراد أُسرتها، عقوبته قد تصل إلى السَّجن شهرين، أو يودع في مصحٍّ عقليٍّ فترة نقاهة واستراحة.

كلُّ هذا وأمريكة راعية حقوق الإنسان في العالم.

* * *

٩- التَّقريب

وماذا عن الشَّتائم والتَّكفير؟

عقل المسلم الحقِّ موصول بمصدر إلهي للمعرفة، إنَّه الوحي، حيث النَّظرة المتناسقة الحقيقيَّة للكون والإنسان والحياة، انجذاب لمن يُوحى إليه صلَّى الله عليه وسلَّم، ففلك المسلم الأوحد الوحي: كتاباً وسنَّةً.

والعقل المعطَّل انجذابه إلى عالم الأشخاص، يفكِّر له غيره، ولا حقَّ له في استفهام أو في حوار المرجعيَّة، حيث العصمة حركة انجذاب شديد لتعطيل العقل ومصادرته، فهي الَّتي تفكِّر له وتخطِّط وتدبِّر.

عُقد مؤتمر في الدَّوحة هدفه حوار المذاهب الإسلاميَّة، وكان تحت عنوان (دور التَّقريب في الوحدة العمليَّة للأُمَّة)، وجاء في بيان الختام في ٢٢ كانون الثَّاني (يناير) ٢٠٠٧م في المادَّة السَّادسة:

«يرفض جميع العلماء المشاركين، ممثِّلي السُّنَّة والشِّيعة والزَّيديَّة والإباضيَّة رفضاً قاطعاً كلَّ تطاول أو إساءة إلى آل بيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وصحابته رضوان الله عليهم جميعاً، وأُمَّهات المؤمنين، ويناشدون أتباع المذاهب والفِرَق الإسلاميَّة احترام مقدَّسات كلِّ طرف، والحفاظ على الاحترام المتبادل في الحوار والنَّشاط الدَّعوي».

وجاء في المادَّة السَّابعة: «دعوة القيادات والمراجع الدِّينيَّة السُّنيَّة والشِّيعيَّة إلى الحفاظ على حدود وضوابط التَّعامل مع الآخر، وعدم السَّماح بالتَّبشير لمذهب التَّشيُّع في بلاد السُّنَّة، أو للتَّسنُّن في بلاد الشِّيعة؛ درءاً للفتنة والشِّقاق بين أبناء الأُمَّة الواحدة».

بيان لا شائبة فيه، وإن كان المسلم يرفض التَّقريب، فالتَّقريب يكون بين طرفَيْن، وما يسعى إليه المسلم الغيور هو وحدة الصَّف، مع وحدة

الكلمة، ونبذ كلِّ ما يفرِّق، ومع ذلك يقبل المسلم التَّقريب خطوةً نحو الوحدة، ولن يتمَّ ذلك وأحد الطَّرفين يكفِّر الآخر، وديدنه اللَّعن والشَّتم، وتقديس أبو لؤلؤة المجوسي ظاهر للعيان في (كاشان)، وعلى جدار مزاره: حضرت أبو لؤلؤة عليه السَّلام!!

وهل يتصوَّر عاقل أن يقيم مجنون مخبول مقاماً بهيّاً أنيقاً لشمر بن ذي الجوشن قاتل سيدنا الحسين؟ لو فعلها لدفنه فيه المسلمون الغيورون على إسلامهم ووحدة كلمتهم.

أهلاً وسهلاً بتقريب صادق بعيد عن اللَّعن والشَّتم.

وسعياً حثيثاً لوحدة الصَّف، ووحدة الكلمة، تحت مظلَّة الإسلام، لا تحت مظلَّة المذهب.

١٠- العَوْلَمَةُ

أَمْرَكَةٌ

العولمة مصطلح معاصر استعمله الباحثون في مجال الاقتصاد، والسِّياسة، والأدب، والثَّقافة، والاجتماع، وتزخر المطبوعات بتعاريف متعدِّدة للعولمة، منها:

هي العمليَّة الَّتي من خلالها تصبح شعوب العالم متَّصلة ببعضها في كلِّ أوجه حياتها، ثقافياً واقتصادياً وسياسيّاً وتقنيّاً وبيئيّاً.

وعُرِّفَت العولمة أيضاً:

هي التَّدخُّل الواضح في أُمور الاقتصاد والسِّياسة والثَّقافة والسُّلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السِّياسيَّة للدُّول ذات السِّيادة، أو الانتماء إلى وطن محدَّد، أو لدولة معيَّنة، دون الحاجة إلى إجراءات حكوميَّة.

والعولمة كما نراها تطبَّق: أمرَكَة، حيث سحقُ قيم الشُّعوب، اختراق

ثقافي، وصياغة جديدة تؤسِّس لهويَّة ثقافيَّة مسيطرة، وهيمنة لنمط حياة بعينها حتّى في طريقة اللِّبس والأكل، دون التَّفكير بالمستوى المادي المعاش لتحسينه.

تسعى الحضارة الغربيَّة دوماً نحو نفي الآخر وابتلاعه، وهي عاجزة عن التَّفاعل مع الشُّعوب والحضارات الأُخرى.

وشتَّان بين العالميَّة، حيث النَّظرة الإنسانيَّة، وبين العولمة حيث الهدف: سحق قيم الشُّعوب، باختراق ثقافي لا يبقي ولا يذر.

* * *

خاتِمَة

مصطلحات مشوَّهة ذكرنا منها عشراً، وغيرها كثير، من مثل:

-الخمر والمسكرات صارت مشروبات روحيَّة، وفي أحد الكتب المدرسيَّة في بعض الدُّول العربيَّة: «يكره شربها»، لا يحرم، بل يكره.

-والرِّبا أرباح وفوائد، والرِّبح والفائدة مباحة.

-وحرِّيَّة الرَّأي أصبحت شتم الأديان، وشتم الآخرين، ولا تستطيع الدَّولة أن تتدخَّل بحرِّيَّة الصَّحافة، أمّا الهولوكوست (أفران الغاز)، فممنوع التَّحدث عنها وإنكارها، أو تعديل أرقام ضحاياها، ولو كانت حقيقة، والأدلَّة متوافرة على وجودها، داحضة لحجَّة من ينكرها، لماذا لا يبحث أمرها؟ فمنع الحديث عنها دليل قاطع على عدم قيام الحجَّة عليها.

أمَّا الصُّور المسيئة لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فحرِّيَّة رأي، وهذا مكيال، ومنع التَّحدُّث عن الهولوكوست، واتِّهام من يتحدَّث عنها باللَّاساميَّة فمكيال آخر لحرِّيَّة الرَّأي، في الحالة الأُولى الصُّور مباحة ما دامت تمسُّ الإسلام وأهله، وفي الحالة الثَّانية الحديثُ ممنوع تحت طائلة السَّجن والغرامة الماليَّة.

-وفلان مثقَّف، يتكلَّم كثيراً، ويقحم نفسه في كلِّ موضوع يطرح، قال أحدهم: هاجم الخوارج دار عثمان بن عفَّان في المدينة المنوَّرة، فقلت له: الخوارج ما تشكَّلت جماعتهم إلَّا بعد صِفِّين، فسكت، وآخر قال: يحدُّ الجزائر مالي والمجر، فقلت له: يا أخي هذه دولة النِّيجر لا المجر

الَّتي هي هنغارية، فقال: رجاءً لا تخطِّئني، فقلت له: ذكَّرتني من كان يدعو ربَّه قائلاً: اللَّهم اجعل الخرطوم عاصمة إسبانية، فسئل لماذا؟ قال: لأنَّني علَّمت ابني هذا، وجاء سؤال في الامتحان: ما عاصمة إسبانية؟ فكتب ابني مجيباً: الخرطوم، كما علَّمته، واستمرَّ بدعائه: اللَّهمَّ اجعل الخرطوم عاصمة إسبانية بفضلك وكرمك كي ينجح ابني.

-بالله نثق IN GOD WE TRUST شعار كتب على دولارهم، ولا تراه في عمل من أعمالهم، فالعلاقة ماديَّة، والسَّعي حثيث لإفساد البيئة وتلويثها، والعمل متواصل لامتلاك سلاح أفتك، يخرِّب أكثر ولو لوَّث الأرض ودمَّرها بإشعاعاته لألوف السِّنين، مع قصفٍ للآمنين المدنيِّين وهم في أفراحهم، ولو وثقوا بالله لردعهم إيمانهم عند فعالهم الخبيثة، ولتبرَّؤوا من كلِّ صور انتهاك حقوق الإنسان، ولما سكتوا عن المخالفين لها جهاراً.

مصطلحات مشوَّهة، فهل نتنبه لها ونصوِّبها في أذهاننا وواقعنا؟ نأمل ذلك.

والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً.



فتح أم استعمار

مقدِّمة

قرأت في أواخر السَّبعينات من القرن الماضي كتاب (أباطيل وأسمار) لمحمود محمد شاكر رحمه الله، الَّذي ردَّ فيه على أَفكار لويس عوض الَّتي قدَّمها في كتبه ودراساته، ومن أَهمِّ ما جاء فيه:

«ويفضِّل - لويس عوض - على كلِّ ما قاله الشُّعراء العرب المصريُّون (الَّذين سمَّاهم المستعربين) منذ الفتح العربي عام ٦٤٠ إلى الفتح الإِنجليزي عام ١٨٨٢ قولَ من قال: ورمش عين الحبيب يفرش على الفدَّان.

وكشف محمود محمد شاكر رحمه الله عن حقيقة آراء لويس عوض وزمرته، كيف كانت، ولِمَ جاءت، وأيَّ عقيدة تحمل، فلويس عوض تلميذ مخلص لكريستوفر سكيف، الجاسوس البريطاني المحترف في وزارة المستعمرات البريطانيَّة، والمبشِّر الثَّقافي الصَّفيق.

وتبنَّى لويس عوض وأمر: «حطِّموا عمودَ الشِّعر»، لقد مات الشِّعر العربي عام ١٩٣٢، مات بموت أَحمد شوقي، مات ميتة الأبد»، (أباطيل وأسمار ١/٩ و١/١٤٣، ط٢/ ١٩٧٢، مطبعة المدني، القاهرة).

لقد اشتم محمود محمد شاكر الرَّائحة الخبيثة الَّتي تفوح من ألفاظه، فكان كتاب (أباطيل وأسمار) بجزأيه.

ويوم الثَّلاثاء ٦/ ٢/ ٢٠٠٧م، وفي برنامج (الاتِّجاه المعاكس) على فضائيَّة الجزيرة، كانَ عراقيَّان يتحاوران، قال أَحدهما لمن يحاوره: تخلَّص العراق من الطَّاغية بفضل الفتح الأمريكي للعراق، فأصابه توبيخ وكلمات انتقاص وشتائم من عراقيٍّ مهاجر إلى أُوربَّة، لاستخدامه عبارة: «الفتح الأمريكي للعراق».

ومنذ سنوات، قال متحمِّس آخر في الفضائيَّة ذاتها، في معرض حديثه عن فتح العرب المسلمين للأندلس: لقد كنَّا نحن الاستعمار آنذاك.

ومع احترامنا لوجهة نظر الآخر، حينما تكون مبنيَّة على علم وحجَّة وبرهان، نقول: هل درس الَّذين قالوا: الفتح الإنجليزي لمصر، والفتح الأمريكي للعراق، وأننا نحن كنّا الاستعمار آنذاك، هل درسوا نتائجَ الفتح وصوره وآثاره، ونتائج الاستعمار وصوره وآثاره، وقارنوا بينهما؟

هل الفتح استعمار؟ والاستعمار فتح؟

إنَّ الفتح يحمل حضارة وقيماً للشُّعوب، والاستعمار يحمل استدماراً لحياة الشُّعوب، الفتح خالدٌ مستمرٌّ بعد زوال القوَّة العسكريَّة، أمَّا الاستعمار فيعيث في الأرض دماراً وخراباً، لذلك ما انحسر الفتح الإسلامي عن بقعة وصلها؛ من كاشغر في تركستان الشَّرقيَّة في الصِّين، إلى حوض النَّيجر في غرب إفريقية، والأندلس بقيت مسلمة حتّى جاءتها محاكم التَّفتيش؛ إمَّا التَّهجير، وإمَّا القتل، وإمَّا الارتداد.

فما الفارق بين الفتح والاستعمار؟

والإجابة عن هذا السُّؤال، موضوع هذا الكتيِّب.

دمشق ٢٢ صفر ١٤٢٨ هـ

١١ آذار (مارس) ٢٠٠٧ م

* * *

فتحٌ أمِ استعمار؟

يمكننا أن نلمسَ الفارق، وندرك بيقين البونَ الشَّاسع بين معنى (الفتح) الحضاري الإنساني، ومعنى (الاستعمار = الاستدمار) الهمجي الوحشي، في النِّقاط الثَّماني التَّالية:

١-**إبادة شعوب**: من نتائج الاستعمار الغربي الَّذي رافق كشوفه الجغرافيَّة، إبادة شعوب عن بكرة أبيها.

ماذا لحق بإفريقية على يد البرتغاليِّين؟

وماذا فعل رعاة البقر بشعب أمريكة الأصلي، الهنود الحمر؟

وماذا فعلت فرنسة بسياسة (الأرض المحروقة) في الجزائر؟

وماذا فعلت بريطانية في أُسترالية؟

وماذا عملت إسبانية والبرتغال في سكَّان أمريكة الوسطى والجنوبيَّة؟

الجواب وبكلِّ بساطة (إبادة)، وانتهاء حضارات الإنكا والمايا والآزتيك، وإبادة كاملة لأكثر من ثمانين مليون إنسان أبادتهم البندقيَّة الأُوربيَّة والمدفع، وكان الطِّفل الرَّضيع يُرضَخُ رأسه، أو يؤخذ من حضن أُمِّه ليطعم للكلاب الجائعة، أمام ناظِرَيْها[١].

(١) فتح أمريكة، غرفيتان تودوروف، ترجمة بشير السِّباعي، دار سيناء، وفي الكتاب رسومات توضِّح هذه الأفعال الوحشيَّة.

لذلك قامت عام ١٩٩٢م، بمناسبة مرور خمس مئة عام على اكتشاف أمريكة، مظاهراتٌ ضدّ البابا الزّاحل، مع تحطيم تماثيل كولومبس في أمريكة الجنوبيّة.

وهذا ما حدث في أُسترالية بمناسبة مرور مئتي عام على اكتشافها، حيث تمَّ فيها إبادة شعب تسمانية، وشعب الأبورجيِّن.

وفي الجمهوريَّات الإسلاميَّة في الاتِّحاد السُّوفييتي المتفكِّك، أُبيد عشرون مليون مسلم، وستالين وحده أباد أحد عشر مليون مسلم بإشراف اليهودي ميخائيل سوسلوف الَّذي أصبح المُنَظِّر العقائدي للاتِّحاد السُّوفييتي.

فداغستان مثلاً: في عام ١٩١٧ م كان عدد سكَّانها ثمانية ملايين نسمة، وفي عام ١٩٧٧م أصبح عدد سكَّانها ١,٦٢٧,٠٠٠ نسمة فقط، بسبب الإبادة والتَّهجير.

وما حدث ويحدث في أفغانستان والعراق تتناقله الفضائيَّات يوميّاً، ونذكِّر بالمجنَّدة الأمريكيَّة إنغلاند ليندي وما فعلته في سجن أبي غُرَيْب، والفضائح الَّتي بثتها محطَّة CBS في شهر نيسان ٢٠٠٤م خير شاهد، وهذا ما نُشِرَ، وما لم يُنْشَر أدهى وأمرُّ.

حدِّث عن السَّاديَّة ولا حرج، وعن الخلفيَّة الثَّقافيَّة والسُّلوكيّة الَّتي رسمتها ثقافتهم وتربيتهم!

وفي المقابل، من خصائص حضارتنا الإسلاميَّة الَّتي قادت الفتح ورسمت صوره وآثاره، أنَّها لا تحكم بالإعدام على الشُّعوب والثَّقافات الأُخرى، وأنَّ الحوار كان معهم هو البديل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل: ١٦/ ١٢٥].

نظرة إنسانية يمتلكها الإسلام الَّذي لا يلغي الآخر، فبينما يقبل المسلمون بينهم وجود أديان مغايرة لدينهم، ويرفضون إكراه أحدٍ على ترك ملَّته، فإنَّنا نرى الآخرين يتبرَّمون من الدِّيانات الأُخرى، ويرسمون سياستهم الظَّاهرة والباطنة لإبادة الآخرين.

النَّاس سواسية في الإسلام، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تكرَّرت ٢٤٠ مرَّة في القرآن الكريم، واستعملت كلمة (النَّاس) في القرآن الكريم بمعنى الجنس البشري عموماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٤٣]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢/ ١٨٩]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٤٠].

كلمة (النَّاس) ترسِّخ معنى الإنسانيَّة، ووحدة الجنس البشري: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٧/ ١٥٨].

وإنسانيَّة الإسلام ورحمته يثبتهما:

عدم إبادة أيِّ شعب أو أُمَّة أثناء فتوحاته.

ووجود غير المسلم معزَّزاً مكرَّماً، محافظاً على دور عبادته في المجتمعات الإسلاميَّة، دليل آخر على إنسانيَّة الإسلام.

يقول فانْسَان مونتيه، أستاذ اللُّغة العربيَّة والتَّاريخ الإسلامي بجامعة باريس: «اخترت الإسلام لأنَّه دين الفطرة، اخترته ديناً أَلقى به وجهَ ربِّي، ومن أَسباب إسلامي تسامح الإسلام تُجاه أبناء الأديان الأُخرى».

والمستشرق الألماني أُولرش هيرمان يقول: «الَّذي لفت نظري أثناء دراستي لهذه الفترة - فترة الفتوح الإسلاميَّة في العصور الوسطى - هو درجة التَّسامح الَّتي تمتَّع بها المسلمون».

٢- العنصريَّة: الثَّمرة الثَّانية من ثمرات الاستعمار هي العنصريَّة، ومن

يقول: إنَّها انتهت، نقول له: العنصريَّة أنواع، التَّمييز العنصري بين الأبيض والأسود في أَمريكة وأُوربَّة وجنوبي إفريقية، تحاول القوانين اليوم إلغاءه.

كنائس للبيض، وأُخرى للسُّود.

وسائل نقل للبيض، ووسائل نقل أخرى للسُّود.

مدارس للبيض، ومدارس غيرها للسُّود.

أماكن سياحيَّة للبيض، وأماكن سياحيَّة أُخرى بعيدة للسُّود.

ومن العنصريَّة اليوم المكاييل المتعدِّدة في السِّياسة الدَّوليَّة، وموضوع حقوق الإنسان، إنَّها للأبيض، للغربي(١)، فإن مات أو قُتِلَ واحد منهم نعقوا يا للمصيبة ولو كان هو المعتدي، وتموت شعوب مسلمة، ومجلس الأمن ينظر (أَصمَّ أبكَمَ) إلى ما جرى في البوسنة والهرسك وكوسوفو، وإلى ما يجري في فلسطين وكشمير والعراق وأفغانستان والشِّيشان.

أمَّا في الإسلام: فلا فضل لعربي على أَعجمي، ولا لأبيض على أسود إلاَّ بالتَّقوى، والتَّقوى هي العدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٥/٨].

والخَلْقُ كلُّهم عيال الله، وأَحبُّهم إلى الله أَنفعهم لعياله.

ولقد رفع الإسلام بلالَ الحبشي فوق الكعبة ليعلن: الله أكبر.

وجعل سلمانَ من آل البيت.

---

(١) عرَّف صموئيل هنتنغتون في كتابه (صراع الحضارات) الغرب قائلاً إنَّه: أُوربة الغربيَّة، والولايات المتَّحدة، وكندا، وأُسترالية، ونيوزيلاندة فقط.

وأعلن عمر رضي الله عنه حقوق الإنسان عمليّاً حينما نفَّذ على أرض الواقع قولته الخالدة: «متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أُمَّهاتهم أَحراراً».

وفي الحجِّ يجتمع الأَبيض والأَسود والأَصفر والأَحمر على اختلاف ألسنتهم في قمَّة التَّساوي.

لقد وقف النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم لجنازة غير مسلم، فقيل له: إنَّه غير مسلم، فقال: «أَوَلَيْسَ نفساً»، أَو ليس إنساناً، [البخاري ، باب الجنائز].

٣- الفقر في البلاد الَّتي اسْتُعْمِرَت: في الهند، ومصر، وإِفريقية، وجنوب شرقي آسية، وأَمريكة اللاَّتينيَّة، مع انتشار المجاعات.

أَثناء الاستعمار البريطاني لمصر، كانت مدَّة العمل ١٢ - ١٥ ساعة في اليوم، وكان الأَجر ١٠ بنسات للبالغ، و ٦ بنسات للحدث.

وقال المؤرِّخون دون خلاف: إنَّ الاستنزاف يسوق الهند إلى درك الخراب سَوْقاً، المجاعات تعدَّدت وتكرَّرت، وحتَّى اليوم يلد الملايين، ويعيشون، ويموتون على رصيف ضيِّق.

الموت جوعاً في البلاد المستعمَرَة أَمر طبيعي، ولا نجد أُوربيّاً واحداً مسَّه الجوع.

واليوم، اضطرابات في المكسيك، وفي أُسترالية، قام بها بقايا السكان الأَصليِّين، لمعاناتهم من الفقر.

والجزائر الَّتي كانت تصدِّر القمح لأُوربة، وفرنسة خاصَّة قبل عام ١٨٣٠م، عمَّتها مجاعات بعد استعمارها، وكم مات من الجزائريِّين جوعاً، وأكداس المؤن في الكنائس لم تقدَّم لواحد من الجزائريِّين، لأَنَّهم أَبَوْا التَّنصير.

وصار المثل الشَّعبي المتَّبع في إندونيسية أثناء الاستعمار الهولندي لها: «تنصَّر من أجل حفنة أرز»، أي لا إيماناً بالمسيحية.

وفي البلاد الَّتي فتحها المسلمون كان الرَّفاه للجميع، لقد رافقت الفتوحات نهضة زراعيَّة اقتصاديَّة، عمَّت البلاد الَّتي فُتِحَت دون استثناء.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى كلِّ ولاته: انظر إلى من قِبَلَك من الأَرض فأعطها بالمزارعة على النِّصف، وإلاَّ فعلى الثُّلث، حتَّى تبلغ العُشر، فإن لم يزرعها أحدٌ فامنحها، وإلاَّ فأنفق عليها من مال المسلمين، ولا تُبِيرَنَّ قبلك أرضاً.

وأقام العبَّاسيُّون ديواناً خاصّاً للقنوات وأعمال الرَّيِّ والزِّراعة، عُرِفَ بديوان الماء، بلغ عدد المشتغلين فيه عدَّة آلاف، مع تخفيض الخَراج - الرُّسوم الزِّراعيَّة - على الفلاَّحين بين آونة وأُخرى تشجيعاً لهم، وزيادة في دخلهم ورفاهيَّتهم، ناهيك عن تجفيف المستنقعات، منعاً للأَمراض، وزيادة في مساحة الرُّقعة الزِّراعيَّة.

وتدلُّ الآثار الباقية في الأَندلس اليوم على التَّقدُّم الزِّراعي، فقنوات الرِّيِّ المتقنة خير شاهد.

٤- **الجهل**: الاستعمار الغربي أينما وصل أغلق المدارس، مع سياسة محكمة لتجهيل النَّاس، ومحاربة أيِّ مَعِينٍ علميٍّ، فتركت بريطانية مصرَ ونسبة الأُمِّيَّة فيها ٩٨٪، وكذلك في الهند.

إغلاق الجامعات في حوض النَّيجر، وأهمُّها في تُونْبُكْت، وفي وثيقة استقلال مالي مع فرنسة ١٩٦٠م، اشترطت فرنسة عدم إعادة فتح جامعة تونبُكت، وعدم التَّدريس بالعربيَّة.

فأينما وصل الاستعمار، حلَّ معه التَّجهيل المقصود للبلاد كلِّها.

وفي الفتوحات الإسلاميَّة، فتحت عشرات الجامعات، وبنيت مئات

المدارس، وانتشرت أُلوف الكتاتيب لنشر العلم في كلِّ أرجاء العالم الإسلامي، لأنَّه: «ليس منِّي إلاَّ عالم أو متعلِّم».

فمن جامعات الأندلس تخرَّج الباب سلفستر الثاني[١]، الَّذي أتقن اللُّغة العربيَّة، لغة العلم في عصره، فترجم كتباً عربيَّة كثيرة إلى اللاَّتينيَّة.

نهضة علميَّة مبدعة، أوجدها العرب الفاتحون، حتَّى إنَّ أشهر العلماء في كلِّ ميادين العلوم والمعرفة كانوا من سكَّان البلاد المفتوحة، مثل: ابن سينا، والرّازي، والبخاري، والبيروني، والخوارزمي، والطَّبري.

الإسلام دين العلم، فهل من بقعة وصلها في فتوحاته لم ينتشر فيها التَّعليم، مع نهضة في مجالات العلوم كلِّها؟ يكفينا أنَّ شوارع كاملة اسمها: (شارع المدارس)[٢]، إنَّها مدارس تخصُّصيَّة، فالحيُّ كلُّه تكفيه مدرسة واحدة عامَّة لأبنائه.

٥- المرض: أمراض كثيرة استوطنت البلاد المستَعْمَرَة، كالبلهارسيا في مصر، لعدم توافر مشاريع الشُّرب.

وريف البلاد المستَعْمَرَة كان يخلو من خدمات طبِّيَّة، ونسبة وفيّات الأطفال المرتفعة شيء معروف مشتهر.

المستوصفات والخدمات الطبِّيَّة إن وُجِدَت، كان لها أغراض تبشيريَّة، أبسطها إعطاء المريض أقراصاً من (النَّشاء) لا من المركَّبات الدَّوائيَّة، يأخذها المريض فلا تجديه نفعاً، ويزداد مرضه، ويكرَّر إعطاء أقراص (النَّشاء)، ولا شفاء، حتَّى يقال للمريض: اطلب الشِّفاء من يسوع المخلِّص، عندها يُعطى الدَّواء المناسب، فيُشفى[٣].

---

(١) Sylvestre الثَّاني، بابا رومة من عام ٩٩٩ م، إلى ١٠٠٣م.

(٢) كالشَّارع الممتد من حيِّ العفيف إلى حيِّ الشَّيخ محي الدِّين بدمشق.

(٣) شُرح ذلك بالتَّفصيل في كتاب: التَّبشير والاستعمار، للدكتور مصطفى الخالدي، والدكتور عمر فروخ رحمهما الله.

أمَّا إغراق، أو إحراق، أو إتلاف أُلوف أُلوف الأطنان من المواد الغذائيَّة لإبقاء الأسعار مرتفعة تحقِّق الأرباح الخياليَّة، فأَمر متَّبع حتَّى يومنا هذا.

إنَّ أعداء البشريَّة ثلاثة هي: الفقر، والجهل، والمرض، وأينما حلَّ الاستعمار انتشرت انتشار النَّار بالهشيم.

وفي فتوح الإسلام انتشرت المستشفيات (البيمارستانات) في كلِّ أرجاء البلاد الَّتي فُتِحَت، وبعضها تخصُّصي، كمشافي المجذومين، كي لا يختلطوا بغيرهم (حَجْر صحِّي)، وللأمراض العصبيَّة مشافيها الخاصَّة.

بيمارستان النُّوري بدمشق، لم تُطفأ ناره ٢٧٣ سنة، وهو لكلِّ النَّاس مسلمهم وغير مسلمهم، ولابن السَّبيل أيضاً، أُوقفت عليه مناطق برأسها، كالرُّحَيْبَة والقُطَيفة شمالي دمشق، يذكر ابن شاهين حادثة طريفة لمتمارض أراد تناول الطَّعام من البيمارستان بعد أَن شمَّ رائحة أطايبه، فاستُضيف ثلاثة أيَّام، ثمَّ قيل له: الضَّيف ثلاثة أيَّام، اخرج سالماً غانماً، لقد عرفناك متمارِضاً منذ السَّاعة الأُولى.

وعرف المسلمون المستشفيات المتنقِّلة، وأَقاموا محطَّات الإسعاف قرب المساجد والأسواق، وعرضت المستشرقة الأَلمانيَّة زيغريد هونكه في كتابها: شمس العرب تسطع على الغرب، في باب (الأيدي الشَّافية) ما بلغه المسلمون من رُقي في مشافيهم، تحت عنوان: مستشفيات مثاليَّة وأَطبّاء لم يَرَ العالم لهم مثيلاً[1]، ومما ذكرته: وتقيم المشافي الإسلاميَّة مع كلِّ مشفى مكتبة، ومدرسة عالية للطِّب والأدوية، والصَّيدليَّات، فمن اختراع المسلمين: التَّقطير، والتَّرشيح، والبلورة، وتغليف الحبوب بما لا يؤذي الذَّوق واللِّسان، وعرفوا المرقِّد والتَّخدير في العمليَّات.

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ٢٢٧، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة - بيروت، ط ٨، ١٩٩٣م.

وما زالت كلمات عربيَّة كثيرة في مجال الطِّبِّ تستعمل في أُوربة.

٦- **الرقيق**: أكثر من عشرين مليون زنجي إفريقي حملوا إلى أمريكة وحدها، لقد روَّج الغرب لتجارة الرَّقيق خطفاً وقنصاً بأعداد كبيرة جدّاً، وتاريخ النِّخاسة الأوربي مُشِين جدّاً، وفي دائرة المعارف البريطانيَّة ٢/ ٨٨٩ وَصْفٌ للقَنْص البشري للاستعباد، حيث كان يُقتل ثمانية كي يُلْقى القبض على رقيق واحد.

وما يشحن إلى أُوربة يموت منه ١٢٪ لاختلاف البيئة والمناخ، ويموت قسم آخر في العمل في المستعمَرَات، فجامايكة البريطانيَّة دخلها عام ١٨٢٠م ٨٠٠,٠٠٠ رقيق، بقي منهم في تلك السَّنة ٣٤٠,٠٠٠ رقيق فقط.

وكانت الملكة أليزابيت الأُولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣م) شريكة جون هوكنز أكبر نخَّاس في التَّاريخ، ورفعته الملكة إلى مرتبة النُّبلاء إعجاباً ببطولته، ومن العجائب أنَّ السَّفينة الَّتي كانت تنقل الرَّقيق اسمها (يسوع)!!

أمَّا الإسلام فقد شرع العتق، ولم يشرِّع الرِّقَّ، لقد ألغاه بخطىً ثابتة مدروسة، ولم يبق منه إلاَّ أسير الحرب معاملةً بالمثل.

ضيَّق الإسلام موارد الرِّقِّ ومداخله، وأفسح مصارفه ومخارجه، ويمكن القول: إنَّه سدَّ منابع الرِّقِّ، ووسَّع منافِذَ العتق.

لقد عدَّ الإسلام الرِّقَّ عارضاً، وجده واقعاً مشروعاً، فشرَّع العتق، فالمكاتبة واجبة - عند الإمام أحمد - متى دعا العبد سيِّده إليها.

والحنفيَّة تجبر المكاتِبَ على الأداء حرصاً على تحريره، وإذا لم يكن معه مال وهو قادر على الكسب، فالمالكيَّة تجبره على الكسب.

ومعاملة الرقيق في الإسلام لا تتَّصل بالعقل والفكر، فهو يعتنق الدِّين الَّذي يرضيه.

٧- محاكم التَّفتيش: شُكِّلت محاكم التَّفتيش بمرسوم بابوي في تشرين الثَّاني (نوفمبر) ١٤٧٨م، أصدره البابا سيكستُس الرَّابع (١٤٧١ - ١٤٨٤م)، لتنصير المسلمين بأشدِّ وسائل العنف، كالأسياخ المحمّاة، وسحق العظام، ورفع المرأة من ثدييها حتى تموت، أو تركها عُرْيانة على قبر تربط إليه بلا طعام حتَّى الموت[١].

محاكم التَّفتيش وصمة عار في جبين أُوربّة على مرِّ التَّاريخ، ففي أمريكة أُحْرِقَ من رفض التَّنصير عند الكشوف الجغرافيَّة، وأقام الحاكم الإسباني (ليكاسي) محاكم التَّفتيش في الفيليبين - الَّتي كان اسمها عذراء ماليزية - وتتبَّع المسلمين لتنصيرهم، وفي عام ١٥٩٥م استُرِقَّ المسلمون لأنَّهم مسلمون، وهُدِمت مساجدهم.

وبعد الاستعمار الإسباني، وفي عام ١٨٩٩م استعمار جديد على يد الأمريكيين للفيليبين، ذهب ضحيته ١٨٠٠٠ قتيل فيليبيني في أرض المعركة، و٢٠٠,٠٠٠ (أي ٢٠% من السكان) ماتوا من الجوع والمرض، وبسبب إحراق الجنود الأمريكيين للقرى والمحاصيل والماشية بقصد تمزيق الاقتصاد، وإخضاع المقاومة من خلال قطع مؤن التغذية.

التَّسامح سمة الإسلام الخالدة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٦]، فهو لا يحكم بالإعدام على الشَّرائع الأُخرى، والحوار هو البديل، وإقراره بتعدُّد العقائد في مجتمع المسلمين بمشيئة الله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨﴾ [هود: ١١/١١٨].

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٦] حجَّة على كلِّ متعصِّب متزمِّت لا يؤمن بحرِّيَّة اختيار العقيدة.

تسامح وإِخاء وأُخوَّة، وحساب الخَلْق على الله.

---

(١) محاكم التَّفتيش، سليمان مظهر.

وشهادة غوستاف لوبون معروفة: «فالحقُّ أنَّ الأُمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم»[١].

٨- **ابتزاز المواد الأوَّلِيَّة:** عمليَّة نهب لخيرات الشُّعوب المستعمَرَة، والتَّركيز على بقائها زراعيَّة، والتَّأكيد على أن تبقى مستهلكة للمنتجات المصنَّعة في البلاد المستَعْمِرَة.

فمعظم دول العالم الَّتي استقلَّت بعد استعمار، في أَمريكة اللاَّتينيَّة وإفريقية وآسية، ترزخ تحت عبء ديون تصل إلى عشرات المليارات من الدُّولارات لكلٍّ منها، والدّيون تزداد على الرَّغم من دفع المليارات سنوياً خدمات وفوائد مستحقَّة.

وهذا يذكِّر بغاندي الَّذي كان يحمل مغزلاً لنسج ثوبه بنفسه، وكانت ترافقه شاة ليشرب لبنها إشارة لمقاطعته البضائع المصنَّعة في بريطانية، الَّتي كانت تستعمر الهند.

ويذكِّر أيضاً بالسُّفن الأُوربيَّة الَّتي كانت تحمل الذَّهب والفضَّة من أَمريكة اللاَّتينيَّة إلى دول القارة الأُوربيَّة المستَعْمِرَة، في سنيِّ (الكشوف الجغرافيَّة).

«أنتم بلدان زراعيَّة» مقولة استعماريَّة مضلِّلة، رافقها عرقلة لكلِّ مشروع صناعي وطني، كي يبقى العالم الثَّالث عالماً مستورداً لمواد مصنَّعة مرتفعة الثَّمن، علماً أَنَّ معظم موادِّها الأَوَّليَّة تُجلَبُ إليهم من دول العالم الثَّالث.

أَمَّا في الإسلام، فتصرف الزَّكاة مثلاً على النَّاس حيث جُبيت، ولا يجوز نقلها إلاَّ في حال استغناء النَّاس في مكان جبايتها، وتعود الضَّرائب

---

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص ٧٢٠، ط٣ / ١٧٩٧م دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ترجمة عادل زعيتر.

مشاريع وخيرات، فلا ابتزاز ولا نهب، وكلمة عمر رضي الله عنه ستبقى خالدة: «هذا من فقراء أهل الكتاب»، لقد منح الفقير المسلم ومنح الفقير غير المسلم من بيت مال المسلمين.

لم تفتقر منطقة فُتحت، والعكس هو الصَّحيح، لقد ازدهرت الأندلس في زراعتها وصناعتها، وتقدَّمت علمياً ورعاية صحِّيَّة، كما قال ستانلي بول - الرَّحالة الإنكليزي - : «لم تنعم الأندلس طوال تاريخها بحكم رحيم عادل، كما نعمت به في أيَّام الفاتحين العرب»، لقد نشطت الزِّراعة وازدهرت، وجعل المسلمون من جبال الأندلس مدرَّجات صالحة للزِّراعة، وجعلوا مياه الثُّلوج مستودعات ضخمة للرَّيِّ، وأدخلوا أوَّل شجرة نخيل إلى أوربّة، كما أدخلوا زراعة الأرز والموز والقطن وقصب السُّكَّر والفستق الحلبي.

وكذلك في ما وراء النَّهر، لقد كان الإقليم الممتدّ بين بخارى وسمرقند يُعَدُّ في القرن العاشر الميلادي أيَّام الحكم العبَّاسي إحدى الجنَّات الأرضيَّة الأربع.

وازدهرت خراسان، وازدهر حوض النَّيجر كلُّه، مع الأمن والطُّمأنينة في الحياة العامَّة.

* * *

خاتمة

أيُّ وسام تضعه البشريَّة على صدرها:

سَمَاجَةُ الاستعمار أَم سَماحَةُ الإسلام؟

السَّماجة لغة تعني القبح، يقال: ما أسمجَ فعلَهُ، أَي: ما أقبحه، والسَّمْجُ والسَّميجُ: اللَّبن الدَّسم الخبيث الطَّعم.

والاستعمار سمج بفعاله وصوره وآثاره.

والسَّماحة لغة تعني الجود والعطاء والكرم والسَّخاء مع الصَّفح والعفو والإحسان، يقابله التَّعنُّت والتَّعصُّب والتَّطرُّف والغُلوُّ.

والإسلام سمح بفعاله وصوره وآثاره.

- الاستعمار (استدمار): إبادة شعوب.

والإسلام: أُخوَّة إنسانيَّة.

- الاستعمار: عنصريَّة بقوالب وأشكال متعدِّدة.

والإسلام: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٣].

- الاستعمار: فقر أينما حلَّ.

والإسلام: الرَّفاه للجميع.

- الاستعمار: جهل نشره حيثما حلَّ.

والإسلام: «ليس منّي إلاّ عالم أو متعلّم».

- الاستعمار: مرض يستغل من أجل التّبشير.

والإسلام: بيمارستانات تخصُّصيَّة.

- الاستعمار: رقّ وقنص همجي.

والإسلام: شرع العتق ووسَّع مصارفه.

- الاستعمار: محاكم التّفتيش.

والإسلام: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

- الاستعمار: ابتزاز المواد الأوَّليَّة.

والإسلام: الخيرات تبقى في مواطنها.

فأيُّ وسام تضعه البشريَّة على صدرها: سماجة الاستعمار، أَم سماحة الإسلام؟

الاستعمار شيء، والفتح شيء آخر يخالفه كلّيّاً.

الاستعمار قبح زائل.

والإسلام فتح حضاري خالد، والتّاريخ والواقع خير شاهد.

الاستعمار احتلال بلا قيم رادعة، همُّه خيرات الشُّعوب.

والإسلام فتوح مقيَّدة بقيم ربَّانيَّة، لتبليغ رسالة، فشتان بين استعمار وفتح.

وهذا ما جعل الأمير تشارلز ولي عهد بريطانية يقول في محاضرته (الإسلام والغرب)، الّتي أَلقاها في مركز أُكسفورد للدِّراسات الإسلاميَّة يوم الأَربعاء السَّابع والعشرين من شهر تشرين الأوَّل (أكتوبر) عام أَلف وتسع مئة وثلاثة وتسعين:

«لقد أصبحت الحضارة الغربيَّة مولعة بالكسب واستغلاله على نحو متزايد، بما يتنافى مع مسؤولياتنا البيئيَّة، إنَّ هذا الشُّعور الهامّ بالوحدانيَّة والوصاية على الطَّابع القدسي والرُّوحي للعالم من حولنا شيء مهم يمكن أن نتعلَّمه من جديد من الإسلام».

وخير مايختتم به (فتح أم استعمار)، لإقامة الحجة على سماحة الإسلام في فتوحه وانتشاره (العهدة العمرية):

لَمَّا حاصر أَبو عبيدة بن الجرَّاح بيت المقدس، طلب منه أَهله المصالحة، وأَن يكون المتولِّي للعقد عمر بن الخطَّاب، فخرج عمر رضي الله عنه إلى الشَّام، وقد استخلف عليّاً بن أَبي طالب على المدينة المنوَّرة، وكانت (العهدة العمريَّة)، ونصُّها:

«بسم الله الرحمن الرَّحيم

هذا ما أَعطى عبد الله عمر أَمير المؤمنين أَهل إيلياء [بيت المقدس] من الأَمان.

أَعطاهم أَماناً لأَنفسهم وأَموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملَّتها، أَنَّه لا تُسْكن كنائسهم ولا تُهْدَم، ولا ينتقص منها ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيءٍ من أَموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارَّ أَحد منهم..

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمَّة رسوله، وذمَّة الخلفاء وذمَّة المؤمنين.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرَّحمن بن عوف، ومعاوية بن أَبي سفيان، وكُتِبَ وحضر سنة خمس عشرة».

(الطَّبري ٣/ ٦٠٩، اليعقوبي ٢/ ١٦٧، الخَراج ٨٠)

وعلى منوال (العهدة العمريَّة) وقَّع أَبو عبيدة بن الجرَّاح معاهدة مع

أَهل دمشق: «على أن تُتْرَك كنائسهم وبِيَعُهم»، ووقَّع عمرو بن العاص معاهدة مع أهل مصر: «هذا ما أَعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان، على أَنفسهم ومِلَّتهم وكنائسهم وصُلُبهم وبَرِّهم وبحرهم..».

هذا، ولَمَّا حان وقت الصَّلاة، لم يقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يصلِّي داخل الكنيسة، حفاظاً عليها، وضماناً لبقائها، ولكي لا يُقال: هنا صلَّى عمر، وسنجعل مكان صلاته مسجداً، فخرج رضي الله عنه ليصلِّي بجوارها، حيث بُنِيَ مسجد عمر، الَّذي تعالت مئذنته وسمقت عالية بجوار برج الكنيسة.

والحمد لله رب العالمين



أيها المدعي أين الدليل؟

مُقَدِّمَةٌ

قرأتُ في صحيفة يوم الأربعاء ٨ ذي القعدة ١٤٢٧هـ، الموافق ٢٩/١١/٢٠٠٦م، الخبرَ الآتي:

«ذاكرة التَّاريخ: ميراث قدره ٢٤٠ زوجة فقط، يذكر لنا التَّاريخ أنَّ السُّلطان مراد الرابع، وهو أحد سلاطين تركية، عندما اعتلى العرش ورث عن سلفه عدداً من الزَّوجات، وهذا العدد كان قدره ٢٤٠ زوجة فقط لا غير، ولكنه بات مهموماً في كيفية تدبير أُمورهن، وأَخيراً قرر التخلص منهن، فكان يضع كل زوجة في كيس مُحْكَم، ثمَّ يلقيها في أعماق البوسفور، ولم يبق لديه إلاَّ زوجة واحدة هي أَجملهن».

فتساءلت بعد قراءة هذا الخبر: هل يُعْقَل أنَّ مئتين وأربعين زوجة كنَّ عند عثمان الثَّاني[1]، الذي خلفه مراد الرَّابع؟ الذي أدار إمبراطورية ممتدة من البحر الأسود والمجر ومُلدافيا شمالاً، إلى الحجاز واليمن جنوباً، ومن شواطئ بحر قزوين والخليج العربي شرقاً إلى تونس والجزائر غرباً.

وبعد العودة إلى عدد من المصادر؛ تبين أنَّ مراد الرَّابع جلس على

---

(١) في كتاب (الدُّول الإسلاميَّة) لستانلي لين بول ٤٨٧: عثمان الثَّاني سنة ١٠٢٧هـ/١٦١٨م، ثمَّ مصطفى الأوَّل (للمرَّة الثَّانية) سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م، ثمَّ مراد الرَّابع سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م حتى سنة ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م. ويمكن النَّظر في (معجم الأنساب والأُسرات الحاكمة في التَّاريخ الإسلامي) لزامباور ٢٣٩.

عرش الخلافة في إسطنبول يوم الأحد ١٤ ذي القعدة سنة ١٠٣٢هـ، بالغاً من العمر قرابة اثنتي عشرة سنة فقط، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة، وكان عالي الهمَّة، تمكَّن سنة ١٠٤٢هـ من إطفاء الفتن في دولته، وحارب الصفويين، وتمكَّن سنة ١٠٤٨هـ من دخول بغداد.

توفِّي شاباً ووصف بالشَّجاعة والهيبة، وعلو الهمَّة، والغيرة والبطولة، كان مشابهاً للسُّلطان سليم الأول في العزم والحزم، ولم أعثر فيما لدي من مصادر عن تاريخ الدولة العثمانية على الخبر المنشور.

لست محامياً عن الدولة العثمانية، ولم أُكلَّف الدِّفاعَ عنها أمام ما يُوجَّه إليها من اتهامات، ولكني أنشد الحقيقة، ثم العزْوَ والتوثيق، لذا... كتبت إلى مدير التحرير رسالة، أُرسلت بالبريد الإلكتروني، تاريخها: ٢/ ١٢/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٠/ ١/ ٢٠٠٧م، نصُّها:

«الأستاذ الفاضل مدير التحرير الأكرم

تحية طيبة وبعد

فكلَّ عام وأنتم وأمتنا بخير.

اطَّلعت على عدد صحيفتكم الغرَّاء يوم الأربعاء ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٦م، وبما أني أُستاذ تاريخ أهتمُّ بالتوثيق والعزو إلى المصدر، فإني أرجو من سيادتكم أن توثق لي الكاتبة معدَّة الخبر [فلانة، سمَّيتها] النص المرفق لتقديمه لطلابي كما عودتهم معزوّاً إلى مصدره أُصولاً.

مع جزيل الشُّكر وفائق التَّقدير

وهذه صورة الخبر كما نُشِر في [اسم الصَّحيفة]».

ثمَّ صورة الخبر كما جاء في الصَّحيفة، مع اسمي الصَّريح وتوقيعي وعنواني، ولم يصلني ردٌّ بعد انتظار أكثر من عشرة أيَّام، فثنَّيت برسالة ثانية بتاريخ ٣/ ١/ ١٤٢٨هـ الموافق ٢٢/ ١/ ٢٠٠٧م، نصُّها:

«الأُستاذ الفاضل مدير التَّحرير الأَكرم

تحيَّة طيِّبة وبعد

فكنت قد أَرسلت لسيادتكم على الفاكس بتاريخ ١٠/ ١/ ٢٠٠٧ كتاباً أَرجوكم فيه أَن توثِّق السَّيِّدة [فلانة] النَّصَّ الَّذي أَورَدَتْه في عدد يوم الأَربعاء ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٦، تحت عنوان: ذاكرة التَّاريخ، ميراث قدره ٢٤٠ زوجة فقط، لتقديمه لطلابي الجامعيِّين موثَّقاً، معزوّاً إِلى مصدره، ولم أتلقَّ جواباً.

فهل عدم الجواب جواب؟

المعلومة الَّتي تُقدَّم أَمانة أَنتم أَهل لتقديمها للنَّاس، أَمَّا أَن يُقَدَّم الخبر دون توثيق فأَمر - أَنا على يقين - أَنَّكم لا تقبلونه.

وتقبَّلوا فائق التَّقدير والاحترام». ثمَّ الاسم الصَّريح والتَّوقيع والعنوان.

وعلى إِثْرِ ذلك، قرَّرت كتابة هذا الكُتيِّب في سلسلة مع الحدث، لا للتَّشهير والفَضيحة العلميَّة فحسب، بل لأَقول لمن يقدِّم للنَّاس معلومة، أَو مقالة، أَو بحثاً..: وثِّقوا، اعزوا الخبر لمصدره بأَمانة وأُصولاً[1].

فالادِّعاء سهل، والخبر الصَّحفي لمجرَّد الإِثارة هيِّن، وفرض رأيٍ دون توثيق أو دليل أمر غير مستساغ علمياً، خاصة ونحن في عصر المعلومات والمنهجية وتوثيق النُّصوص، وفي أُصول التَّأليف وتقديم المعلومة قاعدة نَصُّها:

---

(١) إن كان العزو إلى كتاب، يذكر اسم المؤلِّف فعنوان الكتاب، فالجزء والصفحة مفصولاً بينهما بمائل، فاسم المحقِّق أو المترجم إن وُجِد، فالطبعة: ناشرها ومكانها وتاريخها، (دليل دار الفكر لأعمال التقويم والتدقيق والنشر، ط ٢٠٠٧م).

إذا كنت ناقلاً فالصِّحَّة، وإن كنتَ مدَّعياً فالدليل

وأسفاً على ما وجدت من زيف أقول: كَثُر الادِّعاء دون صِحَّة، ومن ثمَّ دون دقَّة، لذلك سأُقدِّم أمثلة من كتب ومقالات، هي:

١- حياة محمد ﷺ لمحمد حسين هيكل.

٢- هارون الرشيد وألف ليلة وليلة.

٣- صلاح الدِّين الأيوبي (بين العباسيِّين والفاطميِّين والصَّليبيِّين).

٤- عبد الحميد والبوسفور.

٥- فيليب حِتِّي وكتابه: (تاريخ العرب المطوَّل).

٦- كارل بروكلمان وكتابه: (تاريخ الشُّعوب الإسلامية).

٧- مصادر مياه الينابيع في العالم.

٨- خالص جلبي ومحمد الفاتح والقسطنطينيَّة.

أرجو أن تلقى همستي هذه أُذُناً واعية، وألاَّ تكون صرخةً في واد، وبالله التَّوفيق، فهو من وراء القصد.

دمشق ٨ ربيع الأول ١٤٢٨هـ
الموافق ٢٦ آذار (مارس) ٢٠٠٧م

* * *

(حَيَاةُ محمَّدٍ) ﷺ

قدَّم محمد حسين هيكل كتاباً عنوانه: (حياة محمد)، وممَّا جاء فيه صفحة ٧٦: «إنَّ محمداً عليه السَّلام في رحلته الأُولى إلى الشَّام قد لقي أحبار النَّصارى، ووقف على النَّصرانيَّة، وسمع من الكتب المقدَّسة، وسمع منهم بعض أخبار الغيب التي تنبّأ بها القرآن، فتحققت نبوءته».

وفي صفحة ٨٣: «إنَّه عليه السَّلام قد اتَّصل في رحلته الثانية إلى الشَّام بالنَّصرانيَّة، والتقى بأحبار ورهبان، وجادلهم وجادلوه، وحادثهم وحادثوه».

ما المصدر؟ أين التَّوثيق؟

وإن كنتَ مدَّعياً فالدَّليل.

أقوال مستشرقين ومبشِّرين دون إسناد.

في الرِّحلة الأولى كان عمره ﷺ تِسْع سَنوات، وفي قول اثنتيْ عَشرة سنة.

وفي الرِّحلة الثَّانية كان بيع وشراء لأيَّام معدودات، في تجارة لخديجة رضي الله عنها.

إنَّهم يريدون القول: إن الرِّسالة الإسلاميَّة اقتباس من تعاليم النَّصرانيَّة واليهوديَّة، ومثل قولهم هذا، كمثل قول أحدهم اليوم: سافر فلان إلى فرنسة، فمكث في مطار شارل ديغول في باريس أُسبوعاً أو أُسبوعَيْن، ثمَّ عاد يدَّعي أنَّه نال دكتوراه دولة في القانون من جامعة السُّوربون، فهل يصدِّقه إنسان؟ وهل تُقْبَل درجته العلميَّة لتعيينه أُستاذاً في الجامعة؟ إنَّ حَبْلَ الكذب قصير، وواهن وإن طال.

هارون الرَّشيد

هل حقّاً بغداد الرَّشيد هي بغداد ألف ليلة وليلة، بما فيها من ملذَّات وخمور ونساء وفجور؟ حتَّى إنَّ مجلة (روز اليوسف) القاهرية صارت تصوِّر الرشيد في كلِّ عدد من أعدادها في خمسينات القرن الماضي، بجسم ضخم منتفخ، حوله الجواري فاتنات عاريات!!

وقدَّمت إحدى دور النشر كتيباً عنوانه: (نوادر أبي نواس وما كان بينه وبين الخليفة هارون الرشيد)، جاءت فيه قصص خياليَّة، ونوادر وأخبار، يأبى المؤرِّخ الثَّبت أن يلصقها بإنسان عادي بعيد عن دينه، فكيف بخليفة مسلم، كان يحجُّ عاماً ويغزو عاماً.

إشارات بذيئة حفل بها الكتيِّب، تصريحاً حيناً، وتلميحاً حيناً آخر، تدلُّ على ذوق واضعيه الوضيع، لأنَّ مجلس الرشيد، وفق مصادرنا المعتمدة؛ يسمو عن هذه السَّقطات، فهو أقرب إلى الفقه والدين والحديث الشريف وأخبار العرب.

ومن يَعُد إلى سيرة سيد ملوك بني العبَّاس يجدها تعاكس ما في مخيلة غالبيَّة النَّاس، وذلك على الرغم من أنَّ الرَّشيد أجلُّ ملوك الدُّنيا في عصره، بلغ بخلافة المسلمين ما لم يبلغه أحد قبله ولا بعده، من سعة الآفاق، وهيبة السُّلطان، وصونِ الحدود والثغور.

عرفه الشَّرق من الصِّين، وعرفه الغرب حتَّى فرنسة، فترنَّم بسيرته وبعظمة دولته وبنظامها ورفاهيتها، وتقدُّم علمها وحضارتها، حتى من لم يقرأ التاريخ، ولم يهتم به.

إنَّه الرَّشيد، الَّذي كان يصلِّي الفرائض والنَّافلة، ويحجُّ مرات ومرات، ويخرج إلى الدِّيار المقدَّسة ماشياً في بعض المرَّات، وإذا نادم فإنّه ينادم على المباح.

لقد كان يناظر العلماء ويحضر مناظراتهم بعقل كبير حكيم، ويقرض الشِّعر ويرويه، أُستاذه قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وقاضيه محمد بن الحسن الشَّيباني، يستمع لمالك بن أنس، والأصمعي، والكسائي.. وفي دولته جابر بن حيَّان والخوارزمي والكندي.. الذين تركوا أعظم الأثر في الحضارة الإنسانيَّة.

قال أبو المعمر ابن طباطبا يحيى بن محمد[١] (-٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م): «وكانت دولة الرَّشيد من أحسن الدُّول، وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً، وأوسعها رقعة مملكة، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقرَّاء والقضاة والكتَّاب، ما اجتمع على باب الرَّشيد، وكان يصل كلَّ يوم واحداً منهم أجزل صلة، ويرفعه إلى أعلى درجة، وكان فاضلاً راوية للأخبار والآثار والأشعار، صحيح الذَّوق والتَّمييز، مهيباً عند الخاصة والعامَّة».

وقال عنه أيضاً: «إنَّه من أفاضل الخلفاء ونصحائهم وعلمائهم وكرمائهم»[٢].

شوَّه سيرةَ الرشيد عن قصد أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني)، وهو وضَّاع كذوب في علم (الجرح والتعديل)، قال عنه شمس الدِّين الذَّهبي في (ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال ٣/ ١٢٣ و١٢٤): إنَّ الأصفهاني في كتابه الأغاني؛ كان يأتي بالأعاجيب بِ(حدَّثنا)، و(أخبرنا).

وابن طباطبا كان يروي عن أبي محمد بن الحسن بن النُّوبختي: كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب النَّاس، رحم الله الشَّاعر وليد الأعظمي[٣]

---

(١) من فضلاء الشِّيعة، من أهل بغداد، انتهت إليه معرفة أنساب الطالبيِّين في وقته، (الأعلام ٨/ ١٦٤).

(٢) الفخري في الآداب السلطانيَّة ١٧٥.

(٣) وليد الأعظمي (١٣٤٩-١٤٢٥هـ/ ١٩٣٠-٢٠٠٤م): شاعر عراقي، ولد وتوفِّي ببغداد، (مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٤١، ص٢٧).

الذي قدَّم كتابه: (السَّيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني)، الذي جمع فيه أطرافاً من سقط الأصفهاني ومعايبه ومخازيه، وهو الذي أساء لتاريخنا الأموي والعباسي، ولآل البيت الأطهار بأخبار لا أصل لها، تسيء إليهم، وتطعن بسيرتهم، وتشوِّه سلوكهم.

فإذا حذفنا (الأغاني)، وهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ يعتمد، لكذب صاحبه، نجد أن شخصية الرشيد رسمها أبو يوسف القاضي، وعبد الله بن المبارك، والفضيل بن عياض، والإمام مالك بن أنس.

صلاح الدِّين الأيوبي

ودون منهج أكاديمي علمي يميِّز بين المصدر وبين المرجع الحديث الذي يحمل رأيَ مؤلِّف معاصر، قدَّم أحدهم بدافع من مذهبيته كتاباً عن صلاح الدين الأيوبي (بين العبَّاسيِّين والفاطميِّين والصَّليبيِّين)، هدفه: إظهار صلاح الدِّين، الرَّمز في وحدة الأُمَّة والدِّفاع عنها ضد الطَّامع الغاصب، وتقديم سيرته معكوسة، وصورته ملطَّخة بسواد خيال المؤلِّف. وملخص الكتاب:

١- صلاح الدين غير ملتزم بالإسلام، فهو سكِّير عربيد.

٢- إنَّه عميل للصَّليبيِّين، متعاون معهم، أي يتَّهمه بالخيانة العظمى بعمالته للمستعمرين.

٣- معركة حطِّين، معركة ثانويَّة هامشيَّة، لا قيمة لها في ميزان المعارك الحاسمة الفاصلة، إنَّها أشبه ما تكون بغارة - مناوشة - بين قبيلتين تنازعتا على كلأ، أو مصدر ماء.

ولم نردَّ في حينه على هذا المؤلِّف الجاهل في أُصول البحث، المفتري على صلاح الدِّين، لأنَّه لا يرقى إلى مستوى المؤرِّخين، وطريقة

عرضه دالة على أنَّه غير متخصِّص فيما أوقف نفسه له، ولا باع له في هذا الميدان، وعمله جليٌّ أنه تَسَقَّط لنصوص معينة لمعاصرين أحياء في أيامنا هذه، كان يفتِّش عنها، مشيحاً بوجهه عن المصادر الأصليَّة التي عاصرت صلاح الدين والجيل الذي جاء من بعده مباشرة، كابن شداد، وأبي شامة المقدسي، وابن الأثير.. فهي المصارد المعتمدة (علميّاً)، والتي لا ينبغي للمؤرِّخ الجاد، والمنصف الموضوعي؛ أن يحيد عنها ابتداءً، وإن لم ترُق لمذهبه وأوهامه وحقده.

ولم نرد عليه، لأن الدكتور شاكر مصطفى رحمه الله؛ قد كفانا بأسطرٍ الرَّدَّ على هذا المنحرف المغرض، الذي لا يقدِّم كلامه في ميزان التَّاريخ الموثَّق شيئاً ولا يؤخِّر، وممَّا ذكره المرحوم تحت عنوان: (التَّاريخ لا تكتبه الأحقاد): وهذا يدلُّ على أنَّ لكلِّ عظيم أعداء، وذلك أحد أسرار العظمة، وصاحب الكتاب يؤرخ ويؤول على ما يشتهي، دونما تعمُّق في التاريخ، حيث - كما يظهر - ليس لديه اطِّلاع كافٍ، ولاحظٌّ من نظرٍ فكري.

إنَّ صاحب الكتاب انطلق فيه وقدَّمه انطلاقاً من حقد قديم، وليس من الحقائق التَّاريخيَّة، فالتَّاريخ يكتبه المنطق، ولا تكتبه الأحقاد، لقد سحق صلاح الدين في انتصاراته الجيش الصَّليبي نهائياً بكلِّ فصائله التي تجمَّعت من أنطاكية إلى القدس، فلم يبقَ لهم سيف يرفع، وأرسل فِرَق جيشه في كلِّ الاتِّجاهات، يحصد نتيجة ذلك النَّصر السَّامق، ثمَّ اتَّجه إلى القدس وفتحها بنفسه، وهو على بابها، فهل ينكر له مؤلِّف ذلك؟!

وأنكر الدكتور شاكر مصطفى ما أورده المؤلِّف في كتابه عن تخوُّف صلاح الدين من أن يصبح مجرَّد والٍ لدى الخليفة العباسي، قائلاً:

إنَّ هذا حديث مضحك، لأنَّ الخليفة النَّاصر لدين الله بن المستضيء

بأمر الله لم يكن يملك سوى جيش الفتوَّة، أمَّا مملكة صلاح الدِّين؛ فكانت تضمُّ ما بين ليبية ومصر، إلى اليمن والحجاز والشَّام والجزيرة، فمن الذي عليه أن يخاف من الآخر؟ إنَّ لسوء التَّأويل سريرة تجعل الأبيض أسود، والمَلاَك شيطاناً.

لقد أنهى صلاح الدِّين الدَّولة الفاطميَّة في مصر، وقتل المتآمرين عليه وعلى الدَّولة، حين قتل عمَّار اليماني الذي أراد إعادة الفاطميِّين، وأزال فروعهم في اليمن، وحاصر نشاطهم في حلب التي كانت مركزهم الأهمَّ، وظلَّ الفاطميُّون وأشياعهم يناصبونه العداء إلى اليوم.

إنّه لأمر مؤسف، فقد ذهب التعصبُّ بمؤلِّف الكتاب وأضاعه، وتمنَّى الدكتور شاكر مصطفى يرحمه الله أن يُشفى من حقده على عملاق من رموز النِّضال في السَّاحة الإسلاميَّة، مضى على وفاته أكثر من ثماني مئة سنة[(١)].

على كلِّ حال، فصلاح الدين الأيوبي نسر كبير، ولا يضيره أن تُنْسَل بضع ريشات من جناحَيْه، ولا نملك إلاّ الأسف مرَّة أُخرى أن يغلب الحقدُ المتأخر جداً على أمجاد الأُمّة، فيحاوِلَ هدم رموزها الكبار، قاتل الله هوى النُّفوس ما أظلمه لنفسه وللآخرين.

إنّ جملة واحدة تُظْهِر حقد المؤلِّف، وكيف أنَّه شكل رأيه تعاطفاً وحزناً وأسفاً على سقوط الدولة الفاطميّة: «ثمَّ شهد زوال دولتهم، وما جناه الطُّغاة من تعفية آثار الفاطميِّين»، وليت المؤلِّف تكلَّم، أو أشار إلى تحالف من يأسف على زوالهم مع الصَّليبيِّين مراراً إن أراد الحقيقة، فكيان

---

(١) توفِّي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م بدمشق، وكان - رحمه الله - رقيق النَّفس والقلب، على شدَّة بطولته، رجل سياسة وحرب، بعيد النظر، متواضعاً مع جنده وأمراء جيشه، لا يستطيع المتقرِّب منه إلا أن يحسَّ بحبٍّ له ممزوج بالهيبة، اطَّلع على جانب حسن من الحديث والفقه والأدب ولاسيما أنساب العرب ووقائعهم، ولم يدّخر لنفسه مالاً ولا عقاراً (الأعلام ٨/ ٢٢٠).

الفاطميين في مصر تهلل وتصدّع في آخر سنوات حكمهم، وتفكّك، فلم يحتج إلى أكثر من هزّة بسيطة لينهار، وهذه سُنَّة الحياة، والتاريخ لا تكتبه الأحقاد، ولا يضير صلاح الدين هذه الصرخة التي ضاعت - كغيرها من مثيلاتها - في وادٍ.

وهذا المؤلِّف يشارك الجنرال غورو في حقده على صلاح الدين، فهنيئاً له، لقد وقف غورو أمام قبر صلاح الدين ليقول حرفياً بعد أن رَكَلَ الضريح برجله: «يا صلاح الدِّين، أنت قلت لنا في إبَّان حروبك الصَّليبيَّة: إنَّكم خرجتم من الشَّرق، ولن تعودوا إليه، وها إنَّنا عدنا، فانهض لترانا ههنا، لقد ظَفِرنا باحتلال سورية»[1].

عبد الحميد والبوسفور

كنت أقوم بمقابلات في أوائل السَّبعينات من القرن الماضي، مع عدد ممَّن عاصر الثَّورة السُّورية الكبرى، وعاصر قائدها الرُّوحي الشَّيخ بدر الدِّين الحسني[2]، وممَّن قابلتهم وأدرك قيمة عملي، مؤرِّخ موظَّف في إحدى الوزارات، ففتح قلبه، وقدَّم بسخاء ما عنده من معلومات ووثائق، قدَّمتها في كتابي: (الإسلام، وحركات التَّحرر العربيَّة).

وعلى الرَّغم من فارق السِّن بينه وبيني، فإنّه قد جمعتنا صداقة عِلْم وتاريخ، وممَّا أعطانيه؛ الوزارات التي تشكلت بسورية من الوزارة الأُولى التي شكلَّها علي رضا الرِّكابي، بتكليف من الأمير فيصل بن الحسين، بتاريخ ٣٠/٩/١٩١٨م، حتى آخر وزارة عاشها في السَّبعينات.

---

(١) حطّين ٧١، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار الفكر - دمشق.

(٢) الشيخ بدر الدين محمد بن يوسف الحسني: (١٢٦٧-١٣٥٤هـ/ ١٨٥١-١٩٣٥م)، محدِّث الشَّام في عصره، يذكر الأعلام ١٥٨/٧: «كان الشَّيخ يطوف المدن السُّورية.. حاثّاً على الجهاد. وحاضاً عليه، يقابل الثَّائرين، ويغذِّيهم برأيه، وينصح لهم بالخطط الحكيمة، فكان أباً روحيّاً للثَّورة [السُّورية الكبرى] والثَّائرين المجاهدين، وتوفِّي بدمشق».

قال لي يوماً - عليه رحمةُ الله -: نحن الذين كنا (نفبرك) أي نخترع الأكاذيب حول الدولة العثمانية، ومنها إغراق السُّلطان (الأحمر) عبد الحميد للعلماء والمخترعين في مضيق البوسفور، بعد وضعهم في كيس مع كرتي حديد. تبلُغُ كلٌّ واحدة منهما أكثر من عشرين كيلوغراماً، والعجيب - وهو الذي يقول رحمه الله - أنَّ الناس لم تسأل عن اسم واحد فقط منهم، أليس له أُسرة؟ ومن أيِّ بلدة هو؟ وانطلى ذلك على الناس، علماً أن الدولة العثمانية شيء، والاتحاد والترقي (يهود الدُّونمة) شيء آخر.

فأين الوعي والمطالبة بالتَّوثيق والدَّليل؟

فيليب حِتِّي وكتابه (تاريخ العرب المطوَّل)

يقول فيليب حتِّي في كتابه (تاريخ العرب المطوَّل ١٤٨): إن الأحابيش جالية حبشيَّة.

مع أنَّ الأحابيش عرب انضمَّوا إلى قريش وليس منها، و(حُبْشِي) جبل بأسفل مكَّة[1]، به سُمِّي أحابيش قريش، وتحالفوا بالله إنَّا ليد على غيرنا، ما سجا ليلٌ، ووضح نهار، وما أرسى حُبْشي مكانه، فسمُّوا أحابيش قريش باسم الجبل، (اللِّسان: حبش، ومعجم البلدان ٢/ ٢١٤).

وفي صفحة ٣٧٢: أرسل نقفور كتاباً مهيناً للرشيد.

والحقيقة التَّاريخيَّة تقول: أَرسل الرَّشيد جواباً مهيناً لنقفور، نصُّه: «من هارون الرَّشيد أمير المؤمنين، إلى نقفور كلب الرُّوم، قد قرأتُ كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه»، (البداية والنِّهاية ١٠/ ١٩٣، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٣، تاريخ الخلفاء ٢٨٨، تاريخ الموصل ٣٠٩، الكامل في التاريخ ٥/ ١١٨).

---

(١) بينه وبين مكة ستة أميال، (معجم البلدان ٢/ ٢١٤).

وفي صفحة ٥٩٦ تكلَّم حِتِّي عن إحراق عبد الرَّحمن الغافقي الباسيليكا (الكنيسة) القائمة خارج أسوار بواتييه.

وهذا كذب صوابه في المصادر الأجنبية اللاتينية، التي تشير بوضوح إلى أنّ الذين خرَّبوا الكنائس والأديرة هم قبائل الوندال، فجاء مؤرِّخو الكنيسة، وقالوا: إنَّ المراد بهذه الألفاظ هم المسلمون، والفرنجة بقيادة شارل مارتل هم الذين نهبوا الكنائس، واستولوا على كنوزها، وخرَّبوها فيما بعد بواتييه، (فجر الأندلس ٢٥٨).

وقال في كتابه المذكور صفحة ٢ عن العرب المسلمين: إنَّهم لم يبدعوا حضارة، بل «قاموا مقام الوسيط»، بين الحضارة اليونانيَّة وبين النَّهضة الأوربيَّة الحديثة.

وهذا ظلم للحقيقة العلميَّة، لأنَّ المسلمين ترجموا، ثمَّ درسوا واستوعبوا، ثمَّ صوَّبوا وصحَّحوا، ثمَّ أضافوا وأبدعوا، وإبداعاتهم جمعت جُلَّها كتب بالعربية، وكتبٌ أوربية بلغات مختلفة[1]، فليس المسلمون (سعاة بريد)، حملوا الحضارة اليونانيَّة وحافظوا عليها، ثمَّ جاء الغربيُّون فأخذوها وكأنَّها بضاعتهم رُدَّت إليهم.

وقال حِتِّي في الصفحة ٤٥٢ عن الفلسفة العربيّة: «في الجوهر، فلسفة يونانيَّة، متأثِّرة بنظريَّات الشُّعوب التي غلبوها، وببعض المؤثرات الشَّرقيَّة».

لا غرابة، لقد قدَّم فيليب حتِّي ما قدَّم جاعلاً من مصادره المعتمدة: ألف ليلة وليلة، والأغاني، ومختصر تاريخ الدُّول لابن العبري..!!

---

(١) مثل كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب)، للمستشرقة الألمانيَّة زيغريد هونكه، وعنوان الكتاب بالألمانيَّة: شمس الله تسطع على الغرب.

كارل بروكلمان وكتابه (تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة)

في الصفحة ٧١ من كتاب كارل بروكلمان (تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة) يقول: «وليس من الميسور أن نقرِّر على وجه الدِّقَّة ما إذا كان النبيُّ قد استشعر أنَّه مدعوٌّ لمثل هذه الرِّسالة العالمية»، فالإسلام للعرب فقط (ص١٠٧).

مع أن سورة ص (مكّيَّة) ٣٨/ ٨٧ و٨٨ نصَّت بجلاء: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾، وفي سورة الأعراف ٧/ ١٥٨ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وبلال أوَّل ثمار الحبشة، وصهيب أوَّل ثمار الرُّوم، وسلمان أوَّل ثمار الفرس، وتنبّأ ﷺ، وهو في أشدِّ ساعات الحرج والخطر عند الهجرة، بأنَّ سراقة بن مالك سيلبس سِوَارَي كسرى ونطاقه، (ابن هشام ٢/ ٩٦، البداية والنِّهاية ٣/ ١٨٥، عيون الأثر ١/ ١٨٢، الكامل في التّاريخ ٢/ ٧٤..).

ويعلِّق الدكتور عمر فروخ رحمه الله في هامش الصفحة ٦٩، على ما يقدِّمه بروكلمان قائلاً: معلومات بروكلمان ضعيفة من ناحية الفقه والعبادات، وهذا غير مستغرب، فالرَّجل لغوي في الدَّرجة الأُولى.

وفي صفحة ٧٨: «يتحتَّم على المسلم أن يعلن غير المسلمين بالعداوة، حيث وجدهم، لأنّ محاربة غير المسلمين واجب ديني»، ولو صحَّ قوله لما وجدنا غير المسلم في المجتمعات الإسلاميّة، ويكفيه أنَّ الجهاد إنما شرع لرفع الظلم وتحقيق ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أوّلاً وآخراً: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٢٢/ ٣٩-٤٠].

لذلك قال الفقهاء: تجب نُصْرَةُ غير المسلم المظلوم، حتَّى يُرْفَع الظُّلم عنه.

وفي سورة البقرة ٢/ ١٩٠: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ٢/ ١٩٠].

ووصف بروكلمان صفحة ٤٥٣ المجاهد خير الدين بربروسًا بقوله: (قرصان يوناني)، وفي صفحة ٦٢٠: وأعماله أعمال قرصنة.

أوّلاً: خير الدين من الأناضول، ولم يكن يونانيّاً في يوم من الأيّام[1]، وبطولاته كانت ضد هجمات الإسبان على شواطئ الشّمال الإفريقي.

كان أميراً للبحر المتوسِّط، حاول شارل الخامس ملك إسبانية استمالته على أن يعترف به صاحب السُّلطان على شمال إفريقية كلِّها، فأبى، وممّا يذكر أنَّ خطط هذا البحار المسلم العبقري، ومناوراته البحرية، استخدمها الأميرالات الإنجليز واقتبسوها، مثل: رودني، وجرفس، ونيسنن، وولسون.

ولن أتكلم هنا عن جرجي زيدان، الذي جعل من تاريخنا الإسلامي أساطير عشق وغرام خياليّة، لشخصيات وهميّة، فقد كفيته الخطاب في كتاب: (جرجي زيدان في الميزان) ط١/ ١٩٨٢، دار الفكر - دمشق.

مَصَادِرُ مياهِ الينابيعِ في العَالَمِ:

في مفكّرة حائط، وخلف ورقة يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة ١٤١٩هـ، الموافق ٥ آذار (مارس) ١٩٩٩م، قُدِّمت المعلومة الآتية، تحت عنوان:

(مصادر مياه الينابيع في العالم):

«هل تعلم عزيزي القارئ، أنّ كأس الماء الذي تشَربُهُ مصدره من القُطْبِ الجنوبيِّ والشماليّ؛ قد أتى به الله تعالى إليكَ من أقاصي الدُّنيا

(١) دائرة المعارف الإسلاميَّة ٩/ ٦٤، وموسوعة القرن العشرين ٣/ ٧٩٨.

نقياً بارداً، عن طريق مصارف وفوهاتٍ عُظمى في قاع المحيط المتجمِّد الشمالي والجنوبي، عبرَ مسالك ضمن الأرض لتصل لكلِّ قريةٍ وبلد.

وتعتبر منطقة القطبين ذات الهطول الثَّلجي المتواصل طوال العام؛ بمثابة خزَّاناتٍ ومستودعاتٍ لمياه شُرْبنا، قد كرَّمنا الله تعالى بها».

وأسفل هذه المعلومة التي لم تأخذ بعين الاعتبار الحقائق العلميَّة، ولم تكترث بها، وضع اسم سبقه لقب: (العلامة)، ومع قناعتي بصلاح هذا (العّلامة) وتقواه، فإنِّي أجزم أنّ القول منحول ومخترع، ولم يكن يتحدَّث بمثل هذه الأُمور، ولو أخلص من أحبَّه، لما افترى عليه هذه المعلومة التي ينقضها العلم.

«قال فلان» فإن قالها؛ فهل هي حجَّة في هذا القول إن لم يوثِّقه؟ وهيهات له أن يوثِّقه بدليل لخطئه، وأبسط القول: العلم يرفض هذا، ولا صحة للمصارف والفوَّهات العُظمى في قاع المحيطين، ولو صحَّت لما تأثرت البلدان بشحِّ المطر عليها، لأنَّ المياه آتية من القطبين بمصارف خاصَّة!! ولما كانت ضرروةٌ لصلاة الاستسقاء؛ التي يطلب بها المسلمون من الله سبحانه وتعالى أن يغيثهم ويمطرهم بماء غدق، ويرفع عنهم الجدب بسبب قلة المياه.

خالص جلبي

شبَّه الدكتور الجرَّاح خالص جلبي في مقال له في صحيفة (الحياة)، عدد الثلاثاء ٢٧/٨/٢٠٠١م، محمَّد الثاني (الفاتح) بشارون، وتكلم عن النتائج المدمِّرة على العالم الإسلامي من وراء هذا الفتح المبين للقسطنطينيَّة.

ولو عاد الدكتور جلبي إلى كتاب (الدعوة إلى الإسلام) للسِّير توماس

آرنولد[١] - مثلاً - صفحة ١٧٠ وما بعدها، لوجد: «ومن أُولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني بعد سقوط القسطنطينية وإعادة إقرار النظام فيها، أن يضمن ولاء المسيحيين؛ بأن أعلن نفسه حامي الكنيسة الإغريقيّة، فحرّم اضطهاد المسيحيِّين تحريماً قاطعاً، ومنح البطريق الجديد مرسوماً يضمن له ولأتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حقَّ التَّمتُّع بالامتيازات القديمة، والموارد والهبات التي كانوا يتمتَّعون بها في العهد السَّابق، وقد تسلَّم (جنَّاديوس) أوّل بطريق بعد الفتح العثماني من يد السُّلطان نفسه عصا الأُسقفيّة التي كانت رمز هذا المنصب...».

وفي صفحة ١٧١: «ومن ثمَّ أُذيع منشور يكفل للأُرثوذكس حقَّ استخدام الكنائس»، ومنحهم حقَّ الاحتفال بطقوسهم الدِّينية تبعاً لعاداتهم القوميّة.

حتّى المؤرِّخ البيزنطي Phrantzes الذي كتب قصة سقوط القسطنطينيَّة تحدّث بإعجاب عن تسامح المسلمين العثمانيِّين، وكتب مارتن كروسيوس بهذه الرُّوح نفسها، ومما قاله: ومن الغريب أنّنا لم نسمع مطلقاً أنَّ شيئاً من الجرائم أو المظالم قد وقع من قِبَلِ المسلمين الأتراك، على البقيَّة الباقية في هذه المدينة الكبرى (القسطنطينية)، فالعدالة ممنوحة لكلِّ فرد.

فأيُّ نتائج مدمِّرة على العالم الإسلامي من وراء هذا الفتح المبين؟ وهل يشبَّه محمد الفاتح بشارون؟

مراجع الدكتور جلبي إعلاميَّة، غايتها الإثارة - إن وثَّق - وليس المعرفة الرَّصينة والمعمَّقة، فلا معالجة علميَّة، بل معالجة سطحية، المراجع فضائيَّة أمريكيّة من هنا، ومجلة (ديرشبيكل) الألمانيَّة من هناك، وكأنَّها كتابه المقدس، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها،

---

(١) نشر مكتبة النهضة المصرية، ط٣/ ١٩٧٠م.

تنطق بالحقائق، وتقدمُ البراهين، فالقول ما قالته حَزَام، مع العلم أنَّ بينها وبين الحقائق التاريخية الموثَّوقة خَرْطَ القَتَادِ.

وبعد هذه الأخطاء التَّاريخيَّة التي أتيتُ على ذكرها موثَّقة، فإن للتَّأليف أُصولاً وقواعدَ، جمعها العلامة شمس الدين البابلي، وهي:

ذكر محمَّد أمين بن فضل الله المحبِّي (-١١١١هـ/١٦٩٩م) في كتابه: (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤/ ١١)، أنَّ أبا عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن علاء الدِّين البابلي[1] (-١٠٧٧هـ/١٦٦٦م) كان يقول: لا يؤلِّف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التَّأليف في غيرها، وهي:

١- إمّا أن يؤلِّف في شيء يخترعه، [إبداع].

٢- أو شيء ناقص يتمِّمه، [إتمام].

٣- أو شيء مُسْتَغْلَق يشرحه، [شرح].

٤- أو طويل يختصره دون أن يخلَّ بمعانيه، [اختصار].

٥- أو شيء مختلِطٍ يرتِّبه، [ترتيب].

٦- أو شيء أخطأ فيه مصنِّفه يبيِّنه، [تبيين].

٧- أو شيء مفرَّقٍ يجمعه، [جمع].

لقد أحسن البابلي حينما جعل التأليف: إبداعَ جديدٍ، أو إتمامَ نقصٍ. أو شرحَ مستغْلَقٍ، أو اختصاراً دون إخلال، أو ترتيبَ مختلطٍ، أو تبيين خطأ، أو جَمْعَ مفرَّقٍ، ولكن يتوِّج ذلك كله:

واعلم إن كنتَ ناقلاً فالصِّحَّة، وإن كنتَ مُدَّعياً فالدَّليل.

---

(١) مؤرِّخ، باحث، ثبت، ولد بدمشق، حموي الأصل، ولي القضاء في القاهرة، وعاد إلى دمشق، فتوفي فيها (الأعلام ٦/ ٤١).

خاتمة

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾

[الأنعام: ٦/ ١٥٢]

دخلتُ قصراً ملكيّاً، فلفت نظري في قاعة الاستقبال الكبرى لوحتان أنيقتان، حملتِ الأولى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٤٩/ ٦].

وتضمَّنت الثَّانية عبارة حكيمة: «آفَةُ الأخْبارِ رُواتُها»، فحدَّثت نفسي: ما أحرانا أن ننتبه إلى مضمون هذه الآية الكريمة، وإلى فعل الأمر: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾، وكيف أنَّ حكمة اللَّوحة الثَّانية: «آفَةُ الأخبَارِ رُوَاتُها» تفسير رائع، وتوضيح لمضمون الآية الكريمة.

تاريخنا الإسلامي ذاكرتنا، فمن يقصِدْ إليه بسوءٍ وافتراءٍ ودَسٍّ؛ فعليه إشارة استفهام كبيرة من أُذنيه إلى أسفل قدَميْه، حيث الإسراف في التَّعميم، ولعن الدولة الأُموية التي حقَّقت انتشار الإسلام وفتوحه الخالدة، والانتقاص من الدولة العباسيَّة؛ قمَّة الحضارة الإنسانيَّة التَّليدة، والافتراء على الدَّولة العثمانيَّة التي صدَّت الخطر البرتغالي والإسباني عن بلادنا العربيَّة.

يشوِّه تاريخنا (مؤرِّخون) أصحاب هوى، وتعصُّب مذهبي مقيت، وكتبُ أدب لا ترتقي إلى الحقيقة، حيث آفة الكذب، بعيداً عن التَّدقيق

والسَّند، وعالج التاريخ الإسلامي هذه الآفة - آفة الكذب - فطالب بالمصدر والتَّوثيق، (من أين لك هذا؟)، وعُرِفت أُمَّتنا بخاصِّيةٍ ما عُرِفت عند غيرها، عِلْمُ الرِّجال (علم الجرح والتعديل) للوصول إلى الدِّقَّة والصَّواب، فالمطالبة بمصدر الخبر لتوثيقه، ومعرفة صدق رواته أساس في تدوين التَّاريخ.

جاء في كتاب (العواصم من القواصم)[1] النَّصُّ الآتي لعلاج آفة الأخبار: «هذه الكتب المصنوعة، والأخبار المبالغ فيها، أو المكذوبة، شُحِنَت بها أسفار الأخبار، وكتب الأدب، ولتمييز الحقِّ فيها من الباطل طريقان:

أحدهما: طريق أهل الحديث وهو ألاَّ يقبلوا إلاَّ الأخبار المسندة إلى أشخاص بأسمائهم، ثمَّ يستعرضون أحوال هؤلاء الأشخاص، فيقبلون من صادقهم، ويضربون وجه الكذَّاب بكذبه.

والطريق الثَّاني: طريق علماء التَّاريخ، وهو أن يعرضوا كلَّ خبر على سجايا من يُخْبِر عنه، ويقارنوه بسيرته، وهل هو ممَّا يُنْتَظَرُ وقوعه ممَّن نُسِبَ إليه، ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أمْ لا، وتمحيص تاريخنا يحتاج إلى هاتين الطَّريقتين معاً، يقوم بهما علماء راسخون فيهما.

فهل نسأل بعد اليوم ونتبيَّن مصدر الخبر وتوثيقه، قبل أن نقبله وننشره؟ منطلقين من مبدأ (الأمانة العلميَّة)، والبعد عن الأخبار الكاذبة.

لقد ذمَّ الله سمَّاعي الكذب وقرنهم بآكلي المال الحرام: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن

(١) العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، صفحة ١٣٩، حققه وعلَّق عليه محبُّ الدِّين الخطيب، نشر: لجنة الشباب المسلم، القاهرة، ١٣٧١هـ.

تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥/ ٤٢].

وجعل افتراءَهُ منافياً للإيمان: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النحل: ١٦/ ١٠٥].

ووبال الكذب على صاحبه أولاً وآخراً: ﴿ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ [غافر: ٤٠/ ٢٨].

والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً.



الإسلام واللجنة الدولية للصليب الأحمر

تمهيد

(اللَّجنة الدَّوليَّة للصَّليب الأحمر) في جنيف تستمد مهمَّتها من اتِّفاقيّات جنيف لعام ١٩٤٩، وبروتوكولَيْها الإضافيَّيْن لعام ١٩٧٧م، وتعمل اللَّجنة الدَّوليَّة من أجل التَّطبيق الأمين لأحكام القانون الدَّولي الإنساني المطبَّق في المنازعات المسلَّحة، تضَّطلع بالمهام الّتي تقع على عاتقها بمقتضى هذا القانون.

تشكِّل اللَّجنة الدَّوليَّة للصَّليب الأحمر والهلال الأحمر عناصر الحركة الدَّوليَّة للصَّليب الأحمر والهلال الأحمر، واللَّجنة الدَّوليَّة - وهي مؤسَّسة إنسانيَّة مستقلَّة - هي الجهاز المؤسِّس للصَّليب الأحمر، وهي بوصفها وسيطاً محايداً في المنازعات أو الاضطرابات المسلَّحة تعمل بمبادرة منها، أو على أساس اتِّفاقيّات جنيف، من أجل حماية ومساعدة ضحايا الحروب الدَّوليَّة والأهليَّة والاضطرابات والتَّوتُّرات، وبذلك تقدِّم إسهامها في تحقيق السِّلم في العالم[1].

هذه اللَّجنة الدَّوليَّة للصَّليب الأحمر أصدرت عام ١٩٩٣م كتاباً أنيقاً

(١) عنوانها: International Committee of the Red Cross 19, AVENUE DE LA PAIX, 1202 GENEVA =
هاتف ٧٣٤٦٠٠١ (١٢٢)، تلكس: ٤١٤٢٢٦ CCR - CH.

بخمس لغات، هي اللُّغات المعتمدة في الأمم المتَّحدة، ومنها اللُّغة العربيَّة، عنوانه: Chronicles of Islamic - Arab History، (سجل أو وقائع التَّاريخ العربي الإسلامي).

جاء في مقدِّمة هذا الكتاب: بإطلالة واعية على التُّراث العربي الإسلامي العريق، يتبيَّن لنا مدى حرصه على تأكيد تقاليد الفروسيَّة، حيث أضفى عليها صبغته الإنسانيَّة، وحثَّ على التَّقيُّد بها، من حيث الاحترام المتبادل والإنصاف في الهجوم والدِّفاع، بالإضافة إلى احترام حقوق المقاتلين والرِّفق بالضَّحايا ومعاملتهم معاملة إنسانيَّة، وهو في ذلك يتَّفق مع نصوص وروح القانون الدَّولي الإنساني، الَّذي يحتِّم حماية حقوق المقاتلين، وضحايا النِّزاعات المسلَّحة، ويقيِّد من وسائل استعمال القوَّة، بقصر استعمالها ضد المقاتلين أثناء المعارك الحربيَّة، وحظر استعمالها ضدّ المدنيِّين أو الجرحى من المقاتلين الَّذين حيَّدتهم إصاباتهم فأصبحوا غير مشاركين في القتال فعلاً.

إنَّ النَّظرة المتأنِّية لتبيِّن بجلاء ووضوح مدى حرص شريعة الإسلام السّمحة، وحرص قادة جيوش المسلمين على احترام إنسانيَّة الخصم، سواء كان هذا الخصم مقاتلاً أو أسيراً أو مدنيّاً أعزل، ممّا يؤكِّد أنَّ هذه الشَّريعة كانت إحدى الموارد الَّتي نهل منها القانون الدَّولي الإنساني في قواعده ومبادئه السَّاميَّة.

ويقول الكتاب: وستجد أيُّها القارئ الكريم في الصَّفحات التَّالية بعض النُّصوص التُّراثيَّة، استقيناها شواهد من التُّراث العربي الإسلامي، وأثبتنا ما يتَّفق معها من نصوص القانون الدَّولي الإنساني المعاصر.

* * *

القانون الدّولي الإنساني

وينتقل الكتاب إلى تعريف ماهيَّة القانون الدَّولي الإنساني، ومما قاله: حيث يمكن تعريفه بأنَّه: «مجموعة من القواعد القانونيَّة الّتي تحدّد حقوق ضحايا النِّزاعات المسلَّحة، وتفرض قيوداً على المقاتلين في وسائل استخدام القوَّة العسكريَّة، وقَصْرها على المقاتلين دون غيرهم، وضحايا النِّزاعات المسلَّحة هم القتلى والجرحى والمرضى والأسرى في المعارك البريَّة والبحريَّة والجويَّة. إضافةً إلى المحميِّين في الأراضي المحتلَّة».

ويعتمد مصدراً له على:

- اتِّفاقيَّات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م.

- البروتوكولَيْن (الملحقَيْن) الإضافيَّيْن لاتِّفاقيَّات جنيف، والصَّادرَيْن عام ١٩٧٧م.

- مبادئ القانون الدَّولي كما استقرَّ بها العرف ومبادئ الإنسانيَّة، والضَّمير العام، بالإضافة إلى القواعد الإنسانيَّة المستمدَّة من أيِّ اتِّفاق دوليّ.

ومن يراجع التُّراث الإسلامي - كما يقرِّر كتاب اللَّجنة الدَّوليَّة للصَّليب الأحمر - يجده قد اتَّفق مع المعاهدات المعاصرة الَّتي قيَّدت استخدام القوَّة في النِّزاعات المسلَّحة، ولقد اتَّسمت الحرب في الإسلام بالرَّحمة والفضيلة، فلنقرأ قول رسول الله ﷺ، وهو يقول لمن تولَّى إمارة الجند:

«انطلقوا باسم الله، وعلى بركة رسوله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلُّوا (أي لا تخونوا) وأصلحوا وأحسنوا، إنَّ الله يحب المحسنين».

ويكمل هذا القول أوَّل الخلفاء الرَّاشدين أبو بكر الصِّدِّيق، حيث يقول [وهو يودِّع جيش أُسامة بن زيد]:

«يا أيُّها النَّاس، قفوا أُوصيكم بعشر فاحفظوها عنِّي: لا تخونوا، ولا تُغِلُّوا، ولا تغدروا ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرُّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصَّوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطَّعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسَّيف خفقاً، اندفعوا باسم الله»[1].

ثمَّ يضيف ليزيد بن أبي سفيان قائلاً: «لا تقاتل مجروحاً فإنَّ بعضه ليس معه».

ولا يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل يأتي الفقه الإسلامي مفرِّعاً على هذه الأحكام فروعاً، من ذلك ما ذهب إليه الإمامان مالك والأوزاعي من أنه: «لا يجوز بحال من الأحوال قتل النِّساء والصِّبيان من الأعداء، ولو تترَّس بهم أهل الحرب»، أي حتّى ولو وضعوهم أمامهم دريئة للقتل، وترساً يحميهم منه.

هذا وقد أتى القانون الدولي الإنساني بتنظيم دقيق لاستعمال القوَّة العسكريَّة حيث قَصَرَ استعمالها على الأفراد العسكريِّين، وعلى الأعيان العسكريَّة، بصورة تتَّفق مع ما سبق وعرضناه من قَبْل بالنِّسبة لحديث رسول الله ﷺ لأمراء الجند.

وتغليباً للطَّبع الإنساني فقد جاءت تسمية القانون الَّذي يحكم النِّزاعات

---

(١) ضُبِطَ النَّص كما في الطَّبري ٣/٢٢٦، والكامل في التَّاريخ ٢/٢٢٧.

المسلَّحة «بالقانون الدَّولي الإنساني»، حيث الحماية الّتي يكفلها ويسعى لضمانها لبعض الطَّوائف والأشخاص، وهي الّتي أكَّد عليها دوماً التُّراث العربي الإسلامي..

وإذا كان القانون الدَّولي الإنساني قد أتى بمنظومة من القواعد والمبادئ الّتي تهدف إلى حماية ضحايا النِّزاعات المسلَّحة، بحيث تكفل لهم الرِّعاية والعناية الكافية، إضافة إلى توفير الاحترام والحماية لهم في حالة وفاتهم أو فقدهم فضلاً عن حماية السُّكان المدنيِّين والأعيان المدنيّة، والّتي حرص على تأكيدها في أغلب نصوصه، فإنَّ ذلك مرجعه أنَّ ما تضمنه من قواعد، ليست سوى ترسيخ لقيم ومبادئ متأصِّلة في التُّراث الإنساني العالمي، وإذا صيغت في العصور الحديثة في نصوص اتِّفاقيات دوليَّة، فلأنَّ المجتمع الدَّولي في حاجة ماسَّة إليها الآن، وخاصّة أنَّ الممارسات الدَّامية الّتي تصاحب أغلب المواجهات المسلَّحة تتَّسم بالقسوة والوحشيَّة، وهذه القواعد مستقرّة في الفقه الإسلامي الّذي أرسى قواعد المعاملة الإنسانيّة للعدو الّذي لا يستطيع قتالاً، وميَّز بين المقاتلين وغير المقاتلين، وضمن حصانة المبعوثين والرُّسل وحظر الخيانة في الحرب، وفيما يلي أمثلة عن كيفيَّة معاملة المسلمين للجرحى والمرضى والأسرى:

بالنِّسبة إلى حقوق الجرحى والمرضى فقد أوجب الإسلام حسن معاملة الجرحى والمرضى، وحرَّم مقاتلتهم أو قتلهم أو المُثْلَة بهم، ولقد جاءت تصرُّفات صلاح الدِّين الأيوبي في الحرب الصَّليبيَّة خير دليل على ذلك، حيث قام بنفسه بعلاج قائد الصَّليبيِّين ريتشارد قلب الأسد.

أمَّا بالنِّسبة إلى معاملة المسلمين لأسرى الحرب، فقد ورد بالقرآن الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٧٦/٨-٩]، وقال الرَّسول

ﷺ: «استوصوا بالأسرى خيراً»[١]، وحثَّ المسلمين على حُسْن معاملتهم منذ أكثر من ألف سنة، حيث كان الأسرى يقتلون ويعذَّبون، وتُقْطعَ أطرافهم، ثمَّ يستعبد بعضهم.

ويتابع كتاب (اللَّجنة الدَّوليَّة للصَّليب الأحمر، من جنيف) مقرِّراً: تلك في عجالة بعض أحكام الشَّريعة الإسلاميَّة عن حقوق المقاتلين وضحايا النِّزاعات المسلَّحة في خلفيَّة عربيَّة، بقدر ما يسمح به المجال، وكتب الفقه تزخر بكثيرٍ من الكتابات تحت مصنَّف السِّيَر، أو المغازي، حيث أضاف الفقهاء التَّفريعات تكملة للأُصول، وواصلوا الأحكام فنسخ اجتهادهم نظريَّة متكاملة في القانون الدَّولي الإنساني المعاصر، سبقت به الشَّريعة الإسلاميَّة المجتمع الدَّولي بأكثر من ألف عام، بل ولا تزال تسبق بما يطالب به الفقهاء المعاصرون، بمزيد من الحماية لضحايا النِّزاعات المسلَّحة.

وإذا كان لنا من قولة في ختام هذا الحديث، فهو أنَّ الحرب وإن كانت ضرورة تقدَّر بقدرها، إلا أنَّها وكما يقول ابن خلدون: «فإنَّ الحرب لم تزل واقعة في الخليقة، منذ بدأها الله».

وإذا كان من أهمِّ قواعد المنطق لاحترام قاعدة قانونيَّة هو معرفتها، فقد ألزمت قواعد القانون الدَّولي الإنساني المعاصر، وعلى رأسها اتفاقيَّات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م، الدُّول الأطراف فيها[٢] بالعمل على نشر المعرفة بهذه الأحكام.

---

(١) قالها ﷺ بحقِّ أسرى بدر، قال أبو عزيز بن عمير بن هاشم، وكان من أسرى بدر، قال عن آسريه: كانوا إذا قدَّموا غَداءهم وعشاءهم خصُّوني بالخبز، وأكلوا التَّمر لوصيَّة رسول الله ﷺ إياهم بنا، فأستحي، فأردّها على أحدهم فيردُّها عليَّ ما يمسُّها. (الطَّبري ٣/ ٤٠).

(٢) صدَّقت اتِّفاقيَّات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م أغلب دول العالم، حيث بلغ عددها ١٨١ دولة حتَّى الآن، وصدَّق على البروتوكول الأوَّل لعام ١٩٧٧م (١٢٦) دولة حتَّى الآن، وصدَّق على البروكوتول الثَّاني لعام ١٩٧٧م (١١٧) دولة حتَّى الآن، أي حتَّى عام ١٩٩٣م، سنة طبع الكتاب.

وبهذا العرض الموجز، اتَّضح لنا أنَّ قواعد القانون الدَّولي الإنساني لا تخرج عن عباءة الإسلام بأيِّ حال، بل إنَّ كثيراً من قواعده تجد مصادرها في هذا الدِّين الحنيف، وعلى ذلك فإنَّه من السَّهل على الإنسان إذا ما عرف أنَّ قواعد القانون الوضعي تفرض عليه احترام قواعد معاملة ضحايا النِّزاعات المسلَّحة، وأنَّ الأمر فوق كونه قاعدة وضعيَّة، فهو قاعدة إنسانيَّة، استقرَّت وترسَّخت في الوجدان الإنساني تخاطب فيه إنسانيته، فيحرص على احترامها وصون أحكامها.

مثالان اثنان فقط:

وتابع الكتاب الأنيق الملوَّن مسيرته، فاستعرض في اثنتي عشرة صفحة نماذج وأمثلة، حيث قدَّم في كلِّ صفحة من هذه الصَّفحات - مع صورة تراثيَّة ملوَّنة - النَّصَّ الإسلامي، وما اقتبسه القانون الدَّولي الإنساني منه، ونكتفي بتقديم مثالَيْن اثنين فقط، منها:

١- حمل عتبة بن عامر الجهني إلى الخليفة أبي بكر الصِّدِّيق رأس أحد القتلى من المشركين، فغضب أبو بكر لذلك، وكتب إلى قوَّاده: «لا يُحْمَلُ إليَّ رأسٌ، وإلاَّ بغيتم - أي جاوزتم الحدَّ للتَّشفِّي - ولكن يكفيني الكتاب والخبر»، [شرح كتاب (السِّيَر الكبير) لمحمد بن الحسن الشَّيباني].

وقُبَالة هذا النَّصِّ، وعلى الصَّفحة ذاتها: أشارت اتِّفاقيَّة جنيف لعام ١٩٤٩ المتعلِّقة بتحسين حال الجرحى والمرضى من أفراد القوَّات المسلَّحة في الميدان، إلى تنظيم دفن الموتى، واحترام جثَّتهم، وإجراء الدَّفن وفقاً للطُّقوس الدِّينيَّة حسبما تسمح الظُّروف، (المادَّة ١٧٥).

كما نظَّمت المواد ١٨ وما بعدها من الاتِّفاقيَّة الثَّانية، بشأن تحسين حالة الجرحى والمرضى والغرقى بالقوَّات المسلَّحة في البحار،

الإجراءات الواجب اتِّباعها للبحث عن جثث الغرقى، وأُسلوب دفنهم حسب الطُّقوس والأعراف الدِّينيَّة، كما ألزمت المادَّة ٣٤ من البروتوكول الأوَّل باحترام رفات الأشخاص الَّذين يتوفَّون بسبب الاحتلال، أو في أثناء الاعتقال، أو بسبب العمليَّات الحربيَّة.

٢- «النَّفس الإنسانيَّة أشرف النُّفوس في هذا العالم، والبدن الإنساني أشرف الأجسام في هذا العالم»(١)، [الإمام فخر الدِّين الرَّازي في تفسيره للقرآن الكريم، الموسوم (بمفاتيح الغيب)].

وعلى الصَّفحة ذاتها: تنصُّ المادَّة الثَّالثة، وهي مادَّة مشتركة في اتِّفاقيَّات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩، على أنَّه يحظِّر على أطراف النِّزاعات المسلَّحة غير الدَّوليَّة: إعمال العنف ضد الحياة والشَّخص والاعتداء على الكرامة الشَّخصيَّة، وعلى الأخصِّ التَّحقير والمعاملة المزرية، وتنصُّ المادَّة ١٤ من اتِّفاقيَّة جنيف الثَّالثة بشأن معاملة أسرى الحرب على أنَّ «لأسرى الحرب في جميع الأحوال حقٌّ احترام أشخاصهم وشرفهم».

المفارقة بين العقيدة والتَّوصيات

إنَّ آداب الجهاد الَّتي سُجِّلَت في وصيَّة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه لجيش أُسامة رُبِطَتْ بعقيدة، ومن ثَمَّ برقيب لا يغيب، هو الله سبحانه وتعالى، فلا خيار للمسلم في تطبيقها أو تجاوزها حسب الظُّروف، لأنها فريضة في عقيدته ملأت كيانه.

بينما اتِّفاقيَّات جنيف الأربع، والبروتوكولان الملحقان الإضافيّان لعام ١٩٧٧م، توصيات، يخرقها القويُّ في كلِّ حروبه، فهي في الواقع مغيَّبة

(١) يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠]، وفي [المائدة ٥/ ٣٢]: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

تماماً، وحروب عصرنا خير شاهد في استعمال الأسلحة المحظورة دوليّاً، من فييتنام إلى أفغانستان، إلى العراق، إلى فلسطين..

وشتَّان بين تعاليم عقيدة تملي على أتباعها دستوراً إنسانيّاً يلتزمون به رجاء ثواب الله، وخشية من عقابه، وبين توصيات يَخْرقها القويُّ في كُلِّ حروبه، دون خوف من رقيب، أو وازع من ضمير، على الرَّغم من توقيعه عليها من جهة، وادِّعائه الإنسانيَّة، ونشر الدِّيمقراطيَّة، وحرِّيَّة الشُّعوب من جهة أُخرى!

هذا.. والحرب في الإسلام لرفع الظُّلم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٢٢/٣٩]، مع أمرٍ من الله ألا نعتدي: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ٢/١٩٠]، مع الاعتراف بالآخر، ولا فَرْض لعقيدة بإكراه، والحوار - بالَّتي هي أحسن - هو البديل.

والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً.



حوار الفاتيكان والإسلام

تمهيد

منذ عام ١٩٩١م وأَنا أُقدِّم لطلابي في كلِّيَّة الشَّريعة (جامعة دمشق) وثيقة هامَّة، نشرتها صحيفة (العالم الإِسلامي) بعددها ذي الرَّقم ١٢٢٩، الصَّادر في ١ ربيع الأَوَّل ١٤١٢هـ، الموافق ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٩١م، غطَّت مساحة الصَّفحة الخامسة كلَّها، تحت عنوان: (حوار).

أخبار ومعلومات الصَّفحة المذكورة؛ لقاء أَجراه الأُستاذ فيصل السَّماك، مع الدكتور محمد معروف الدَّواليبي، المولود في حلب ١٩٠٩م، وهو حقوقي متشرِّع، أُستاذ القانون الرُّوماني بكلِّيَّة الحقوق من جامعة دمشق، تولَّى وزارة الدِّفاع في مطلع نيسان ١٩٥٠م، وشكَّل الوزارة في ٢٨ تشرين الثَّاني ١٩٥١م، وفي ٢٨ أَيلول ١٩٦١م، غادر إلى السُّعوديَّة مستشاراً للملك فيصل منذ عام ١٩٦٥م، وبقي فيها حتَّى وفاته في ٢٦ كانون الثَّاني ٢٠٠٤م.

كان الدكتور الدَّواليبي من ضمن وفد المملكة العربيَّة السُّعوديَّة في لقاءات الحوار بين الإِسلام والمسيحيَّة، الَّتي عُقِدَت في عاصمة الكثلكة (الفاتيكان) عام ١٩٦٥م، وقدَّم في لقائه مع الأُستاذ فيصل السَّماك إجاباتٍ عن أسئلة هامَّة:

- من الَّذي طلع بفكرة هذه اللِّقاءات؟

- من كان البادئ بها؟ وكيف تمَّت؟

- ما قصَّة سفر إشعيا الصَّحيح؛ الَّذي اكتُشِفَ في مغاور قَمْران، شمال غرب البحر الميت[١]؟

- ما دور اليهود في تعطيل الحوار الإسلامي - المسيحي؟

- وكيف مات البابا بولس السَّادس فجأة، ودُفِنَ بلا تقرير طبِّي، ولا مراسم تشييع؟

- وكيف مات بعد أُسبوع واحد فقط، الكردنال بيمونوللي، وزير الدَّولة الفاتيكاني للشُّؤون الإسلاميَّة - المسيحيَّة، وطُمِسَت ظروف وفاته أيضاً؟

وفي كلِّ عام دراسي، حتَّى هذا العام ٢٠٠٦م، يطلب الطُّلاب أخذ صفحة الصَّحيفة المذكورة لتصويرها على أربع صفحات، ثمَّ لصقها بعناية لتكتمل مساحة صفحة الصَّحيفة.

ومع التَّأكيد في كلِّ أعوام التَّدريس على الاعتراف بالآخر، وبدل العنف والفظاظة والغلظة حواره بالَّتي هي أحسن، للوصول إلى الحقيقة ونحن نعيش قمم التَّسامح والمودَّة والاقتناع بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٥/٤٨].

ولأهمِّيَّة هذه الوثيقة، نقدِّم أهمَّ ما تضمَّنت، خصوصاً أنَّ مخطوطات مغاور قَمْران تُرْجِمَت وقُدِّمت ودُرِسَت بدقَّة، ولكن كثيرين يتجاهلونها؛

---

(١) شرق القدس، جنوب أريحا.

حتَّى قالت هيئة الإذاعة البريطانيَّة بعد ذكر مضمونها الهام، على لسان أَحد الَّذين يهمُّهم هذا المضمون: إِنَّها (مَمْسَحَةٌ) أَوَّلاً وآخراً، ولن نعيرها اهتماماً، نضعها على باب الدَّار لمسح أَحذيتنا بها.

مع أَنَّ البابا بولس السَّادس الَّذي تولَّى البابويَّة عام ١٩٦٣م، أَعطاها أَهمِّيَّة كبرى، وقدَّم قرارات تاريخيَّة استناداً إليها، فمات مسموماً عام ١٩٧٨م، وهو: جيُوفانِّي باتِيستَامونيتني، وُلِدَ في كونشيزيو قرب بريشيا (في سهل البُو، شرقي ميلانو، شمال إِيطالية) سنة ١٨٩٧م، سكرتير دولة الفاتيكان ١٩٤٤م، رئيس أَساقفة ميلانو ١٩٥٤م، بابا في ٢١ حزيران ١٩٦٣م، واصل المجتمع الفاتيكاني الثَّاني وختمه ١٩٦٣ - ١٩٦٥م، زار الأَراضي المقدَّسة ١٩٦٤م، وأَنحاء عديدة في العالم في محاولات لتوطيد العدالة والسَّلام.

دمشق: ٦ جمادى الأُولى ١٤٢٧هـ،
٢ حزيران (يونيو) ٢٠٠٦م

* * *

اكتشاف سفر إشعيا

يقول الدكتور محمد معروف الدَّواليبي: بدأت قصَّة (الحوار الإسلامي - المسيحي) عام ١٩٥٨م، حينما اكْتَشَف راعي غنم في مغاور قمران المخطوطات الَّتي من أهمِّها سفر إشعيا الصَّحيح بكامله، بينما المنشور في التَّوراة هو جزء منه.

وبعد دراسته، اجتمع الفاتيكان لمدَّة أربع سنوات، من ١٩٦١م إلى ١٩٦٥م، وأكَّد أنَّ لهذا السِّفر تأثيراً جديداً على قواعد ومفاهيم المسيحيَّة بالنِّسبة للإسلام، فأصدروا كتيِّباً دعوا فيه إلى الحوار ما بين المسيحيَّة والإسلام، ويثنون على الإسلام كدين، ويأسفون لما سبق من خلاف بين الدِّيانتَيْن، ويطلبون نسيان الماضي، وأن يدخل المسيحي في حوار مع المسلم، لا ليعلِّمه ويتظاهر بالعلوِّ، وإنَّما ليتعلَّم كيف يُنقِّي عقيدته المسيحيَّة من عقيدة التَّثليث.

وثيقة هامَّة

بعد ذلك؛ صدرت عن الفاتيكان وثيقة هامَّة، كانت بمنزلة اعتراف رسمي مسيحي بالدِّين الإسلامي، ولأوَّل مرَّة، جاء فيها: «إنَّ كلّ من آمن بعد اليوم بالله خالق السَّماوات والأرض، وربِّ إبراهيم وموسى، فهو ناجٍ عند الله وداخل في سلامه، وفي مقدِّمتهم: المسلمون».

وبعد صدور هذه الوثيقة، صادف أن كنَّا في موسم الحجِّ مع المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٩٦٥م، حينما وجَّه الفاتيكان عن طريق إذاعته، نداءً بالتَّهنئة بالحجِّ وقضاء مناسكه إلى الفيصل وإلى الحجَّاج، فردَّ الفيصل بالإذاعة على الإذاعة مُحيِّياً هذه الرُّوح الجديدة، ولم يلبث الفاتيكان أن سعى إلى الدُّخول في حوار، والنَّاس بين مصدِّق ومكذِّب،

حتَّى وصلت الدَّعوة إليناً للدُّخول في حوار معهم وزيارتهم، وذلك للتَّعاون فيما يتعلَّق بحقوق الإنسان، وكنّا أيضاً في كلِّ مكان مستغربين هذه الرُّوح الجديدة، ولمَّا دعاني المرحوم الملك فيصل ليسألني رأيي في الدَّعوة الَّتي وجَّهها الفاتيكان إلى علماء المملكة ليزوروه من أجل حوار وتعاون لا يُقْصَدُ منه البحث في أُصول الدِّين، وإنَّما التَّعاون على ما يأمر به الدِّين بحقوق الإنسان، ألححتُ على قبول الدَّعوة، فذهبت بالفعل إلى الفاتيكان، وكان معي سفير المملكة في رومة، واجتمعنا بالكاردينال بيمونوللي وزير الدَّولة في حكومة الفاتيكان فيما يتعلَّق بالعلاقات ما بين الإسلام والمسيحيَّة، فعرفت أنَّ الدَّعوة صحيحة وطيِّبة، وأنَّهم يريدون التَّعاون، ونسيان الماضي.

وكانت إذاعة الفاتيكان تركِّز في نشراتها على الاجتماعات الَّتي كنَّا نعقدها، وعلى أنَّنا اتَّفقنا على مبدأ الحوار.

السَّفير الإسرائيلي يتدخَّل

وبعد ثمان وأربعين ساعة من مغادرتي الفاتيكان، طلب السَّفير الإسرائيلي في رومة مقابلة الكاردينال بيمونوللي، مع أنَّه لم يكن بين إسرائيل والفاتيكان تمثيل دبلوماسي، وإنَّما كان طلبه الزِّيارة باسم حكومة إسرائيل، وقال السَّفير الإسرائيلي للكاردينال: نطلب منكم وقف أيِّ حوار بين الفاتيكان وبين المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، فرفض الكاردينال طلب السَّفير.

وفي اليوم التَّالي عاد السَّفير وكرَّر الطَّلب، ورُفِضَ طلبه، وهكذا على مدى خمسة أيَّام متوالية.

أكثر من ذلك؛ فقد بعث البابا بولس السَّادس برسالة إجلال واحترام للملك فيصل راوياً له ماذا جرى بين السَّفير الإسرائيلي في رومة

والكاردينال بيمونوللي من إصرار على عدم تحقيق لقاء الحوار بين الإسلام والمسيحيَّة.

ثورة داخل الفاتيكان

يومها أعلنوا أَنَّنا قمنا بثورة داخل الفاتيكان، لماذا؟ لأنَّه ليس من التَّقاليد البابويَّة أن يبدأ البابا الكتابة لأيِّ رئيس دولة، فقد جرت العادة منذ القديم، أَن يتولَّى البابا الإِجابة عن رسائل رؤساء الدُّول، لا أَن يكون هو البادئ بكتابة الرَّسائل.

بدء الحوار

وقبل أن يبدأ الحوار بين علماء المملكة وبين الفاتيكان، صدر عن (مجمع الفاتيكان الثَّاني) كُتيِّب يقع في نحو ١٥٠ صفحة، تحت عنوان: (توجيهات للمسيحيِّين من أَجل الحوار بينهم وبين المسلمين)، فقد أُمِروا بنسيان الماضي، وذُكِّروا بأَنَّ المسلمين ناجون عند الله، عملاً بما اتَّخذته أَعلى سلطة في الفاتيكان.

في هذه الأَجواء بدأَت اجتماعات الحوار الإِسلامي المسيحي في الفاتيكان، ثمَّ ما لبث أَن دعانا مجلس الوحدة الأُوربيَّة، بناء على قرار مجمع الفاتيكان الثَّاني، في استراسبورغ، ولبَّينا الدَّعوة أَيضاً الَّتي وجَّهها إِلينا مجلس الكنائس العالمي في جنيف، وأَيضاً إِلى وزارة العدل الفرنسيَّة، ثمَّ إِلى جمعيَّة الصَّداقة السُّعوديَّة - الفرنسيَّة.

وكانت كلُّ تلك اللِّقاءات تتمُّ وفقاً لتلك الرُّوح الَّتي أَعلنها الفاتيكان، والَّتي كان لها الدَّويُّ والتَّأثير العظيمان، فقد كانت المرَّة الأُولى في التَّاريخ الَّتي يخرج فيها وفد من المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، بناء على دعوة الغرب المسيحي، للقاء البابا ومجلس الكنائس العالمي البروتستانتي الَّذي يُقابل الكنيسة الكاثوليكيَّة.

وقف التّنصير

بعد إنهاء اللّقاءات الّتي حصلت بين علماء المملكة وبين كبار مسؤولي الفاتيكان، وفي يوم مغادرتنا عاصمة الكثلكة، وقف الكاردينال بيمونوللي مخاطباً العلماء المسلمين بقوله: لقد قرَّرنا هذا اليوم وقف التَّنصير الكاثوليكي في العالم الإسلامي، ونحن نطلب منكم أن تعودوا إلينا (بالبشارة)، ذلك أنَّ السَّيِّد المسيح حينما ودَّع نبَّأهم أنَّه ستأتي من بعده (بشارة)، أي نبيٌّ يخبرهم بالحقائق، وقد جاء في سفر إشعيا ما يلي:

«بعد المسيح، يأتي نبيٌّ عربيٌّ من بلاد (فاران) - بلاد إسماعيل، وفاران باللُّغة الآراميَّة هي بلاد الحجاز - وعلى اليهود أن يتَّبعوه، وعلامته أنَّه إن نجا من القتل، فإنَّه النَّبيُّ المنتظر، لأنَّه يفلت من السَّيف المسلول على رقبته، ويعود إليها بعد ذلك بعشرة آلاف قدِّيس».

انطباق على الواقع

وهذه تنطبق تماماً على الواقع، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة ٢/١٤٦، والأنعام ٦/٢٠]، فأعطى مكانه: بلاد إسماعيل (أي مكَّة المكرَّمة) وأعطى صفته: «يهرب من السَّيف المسلول على رقبته»، وذلك حينما هاجر ليلة المؤامرة الّتي حيكت لقتله ﷺ، «ويعود بعشرة آلاف قدِّيس»، وقد عادﷺ إلى مكَّة المكرَّمة بعشرة آلاف مؤمن.

فهذه النُّصوص واضحة كالشَّمس في رابعة النَّهار، ولذلك نَعُدُّ أَنَّ ما صدر عن البابا بولس السَّادس كان خطوة طيِّبة وجديدة.

وفاة البابا، والكاردينال

ولكن مع الأسف، فإنَّ هذا البابا لم يلبث أن توفِّي في ظروف لا

ندريها، كما توفّي من بعده بقليل الكاردينال بيمونوللي، الَّذي كان صلة الوصل بيننا وبين الفاتيكان، وبوفاتهما توقَّف الحوار بين الإسلام والمسيحيَّة.

اليهود، اليهود

إنَّ موت البابا بولس السَّادس الفجائي، ومن بعده بقليل الكاردينال بيمونوللي الَّذي كان صاحب فكرة الحوار بين المسيحيَّة والإسلام كان من تدبير اليهود، الأب (مبارك) اللُّبناني الأصل، والمعروف بمشاعره الطَّيبة، وهو من كبار رجال الكنيسة والأُستاذ في الجامعة الكاثوليكيَّة في باريس، نشر مقالاً في إحدى المجلاَّت اللُّبنانيَّة في السَّنة ذاتها الَّتي لبَّينا فيها دعوة الفاتيكان إلى الحوار، يحذِّر فيها من تأثير الصُّهيونيَّة على الفاتيكان، ويؤكِّد بأنَّ (عناصر) داخل الفاتيكان تردُّه عن سياسته الجديدة يومذاك.

لماذا لا يبشِّرون بين اليهود

ويقول الدكتور الدَّواليبي: لقد قلت صراحة للكاردينال بيمونوللي في جلسة خاصَّة في أثناء الحوار: إنَّني أحمل شهادة دبلوم في الحقوق الكنسيَّة، فدُهش وقال: إنَّ شهادة الحقوق الكنسيَّة لا تُعطى إلاَّ لمسيحي، فكيف حصلت عليها؟ فأجبته: إنَّني نلتها من جامعة باريس كدبلوم اختصاص، لا من الجامعة الكاثوليكيَّة، وإنَّني في أثناء قراءتي للإنجيل والتَّوراة و (الكتاب المقدَّس) بشكل متعمِّق، لم أستطع أن أفهم بعض النُّصوص الَّتي جاءت في الإنجيل، وهي عميقة الإشكال عندي، ولم أجد حتَّى الآن من أطرح عليه هذا السُّؤال، لأنَّه سؤال عميق، ويجب أن يكون المسؤول الَّذي سيتولَّى الإجابة عنه يتمتَّع بأعلى سلطة في الكنيسة، وهذه هي المرَّة الأُولى الَّتي ألتقي فيها الرَّجل الثَّاني في الفاتيكان، فهل تسمح لي أن أطرح سؤالي:

قال: تفضَّل.

قلت: لِمَن أُرسل المسيح؟

قال: يا دكتور، تقول إنَّك تحمل شهادة في (الحقوق الكنسيَّة)، وأوَّل شروط الحصول على هذه الشَّهادة أن يكون حاملها متعمِّقاً بدراسة الإنجيل، فكيف تسأل مثل هذا السُّؤال، وفي الإنجيل الجواب الصريح والواضح الَّذي يقفز في العيون؟

قلت: قول المسيح: «إنَّما أُرسلت لخراف بني إسرائيل الضَّالَّة»، إشكالي هو هذا، وهي تعني أنَّ مهمَّة السَّيِّد المسيح كانت محصورة بالتَّبشير بين اليهود، فما معنى أنَّكم ترسلون المنصِّرين إلى المسلمين، ولا ترسلون مُنَصِّراً واحداً إلى اليهود؟

وأضفتُ - والكلام للدكتور الدَّواليبي - : إنَّ اليهود يتَّهمون السَّيِّد المسيح بأنَّه ابن زنى، وإنَّ السَّيدة العذراء زانية، ويؤكِّدون ذلك، وإنَّهم بالنِّسبة للمُعْتَقَد، يؤكِّدون بأنَّه لا ولادة من غير زواج! إلاَّ الإسلام، طهَّرها ودافع عن المسيح، وإنَّها عذراء، وبمعجزة ولدت، وإنَّ المسيح ابن صحيح وليس ابن زنى، فكيف يقول المسيح: «إنَّما أُرسلت لخراف بني إسرائيل الضَّالة»، أي لليهود، فكان يجب أن يُرْسَل المُنَصِّرون إلى اليهود، وليس إلى المسلمين.

ردَّ الكاردينال بيمونوللي: غداً سوف أُجيبك.

وفي اليوم التَّالي أُعلن قرار مجمع الفاتيكان الثَّاني، أنَّ الفاتيكان قرَّر وقف التنصير المسيحي الكاثوليكي في العالم الإسلامي، وكان ذلك في يوم وداعنا لهم، وعودتنا إلى الرِّياض.

وأمر البابا الكنائس كلَّها ألا تتكلَّم على الإسلام إلاَّ من مصادره المعتمدة عند المسلمين أنفسهم.

وبعد

فهذا مجمل ما ذكره الدكتور الدَّواليبي في مقابلته، ولتمام الفائدة نذكر أنَّ الوفد الَّذي كان برئاسة أمين رابطة العالم الإسلامي آنذاك الشَّيخ محمد علي الحركان، ضمَّ أيضاً مع الدكتور الدَّواليبي، الدُّكتور منير العجلاني، ومحمد المبارك، ومصطفى الزَّرقا.

وبعد مقابلة الوفد للبابا بولس السَّادس، نصحهم ألا يغادروا مقرَّ البابويَّة، لوجود مظاهرة يساريَّة (شيوعيَّة) حاشدة وعنيفة في شوارع رومة، فقالوا له: لقد حانت صلاة المغرب، فقال البابا لهم: ألا يُصلَّى هنا؟! فصلُّوا في مكتب البابا، والبابا ينظر إليهم، والدكتور مازن المبارك في محفوظاته صورة للوفد وهو يصلِّي، والبابا ظاهر فيها.

ومما يذكر أيضاً، أنَّ هذا الوفد، قدَّم خمس ندوات حملت كلُّها عنوان: (حول الشَّريعة الإسلاميَّة وحقوق الإنسان في الإسلام)، اختلف مضمونها حسب المحاضر، أحد أعضاء الوفد، طبعتها بالعربيَّة الأمانة العامَّة لرابطة العالم الإسلامي بمكَّة المكرَّمة، وكانت حسب تسلسلها الزَّمني:

١- في باريس في ٧ شوَّال ١٣٩٤هـ/ ٢٣ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ١٩٧٤م.

٢- في الفاتيكان في ٩ شوَّال ١٣٩٤هـ/ ٢٥ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ١٩٧٤م.

٣- في مجلس الكنائس العالمي في جنيف في ١٣ شوَّال ١٣٩٤هـ/ ٢٩ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ١٩٧٤م.

٤- في باريس - ثانية - في ١٧ شوَّال ١٣٩٤هـ/ ٢ تشرين الثَّاني (نوفمبر) ١٩٧٤م.

٥- في المجلس الأوربِّي في استراسبورغ في ١٩ شوَّال ١٣٩٤هـ/ ٤ تشرين الثَّاني (نوفمبر) ١٩٧٤م.

وبوفاة البابا بولس السَّادس عام ١٩٧٨م، طُوِيت صفحة الحوار هذه.

لماذا سقط العالم الإسلامي؟

تمهيد

بسم الله، والحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد..

فقد أَرسلَتْ إليَّ (أُريد للإنتاج الإعلامي) سؤالاً منذ بدايات عام ٢٠٠٦م، نصُّه: ما أَسباب سقوط العالَم الإسلامي في رأيك؟ لنشر الإجابة في موقعها على الإنترنت WWW. Islam 2 up. Com، ولازدحام العمل، وضيق الوقت تأخَّرت عن كتابة الإجابة، فاتَّصل بي أكثر من مسؤول في الموقع المذكور، وقال لي آخرهم: لقد أجاب عدد كبير عن السُّؤال المطروح، ونريد أن نسمع رأيك.

ومع عطلة الصَّيف وانقطاع الطُّلاب، قدَّمت للموقع إجابتي مختصرة، ونُشِرَت في اليوم الَّذي أرسلتها فيه، وقرأت على عدد من الزُّملاء والأَصدقاء إجابتي عن السُّؤال المقدَّم، فرأَوْا أن أتوسَّع في الإجابة، وأَن أجعل ما كتبتُ جزءاً من سلسلة: (مع الحدث).

استحسنتُ رأيهم واستصوبته، ووعدتهم خيراً، وحينما أَذن الله بساعات فراغ، كان هذا الكتيِّب، الَّذي بدأت بكتابته في اليومَيْن الأَخيرين من شهر رمضان المبارك ١٤٢٧هـ، وبيَّضت مُسَوَّدته أيَّام عيد الفطر السَّعيد، الَّذي أَسأل الله عزَّ وجلَّ أن يعيده على أُمَّتنا بالخير

واليُمْن، وقد اهتدت إلى طريق النُّهوض والارتقاء نحو حضارة إنسانيَّة متكاملة، كانت قد تمكَّنت من زمام قيادها في يوم من الأَيَّام، حينما تصدَّرت دمشق وبغداد وقرطبة موكب التَّقدُّم العلمي في كلِّ قنواته، مع انضباط بقيم ربَّانيَّة.

والحمد لله ربِّ العالمين، أَوَّلاً وآخراً، فهو من وراء القصد.

دمشق الشَّام في: ٣ شوَّال ١٤٢٧ هـ،
٢٥ تشرين الأَوَّل (أُكتوبر) ٢٠٠٦ م.

* * *

أَسباب سقوط العالَم الإسلامي

أسباب سقوط العالَم الإسلامي، وليس أسباب سقوط الإسلام، لأنَّ الإسلام تكفَّل بحفظِهِ الَّذي أنزله، فالأزمة أزمة مسلمين، لا أزمة إسلام.

الأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّة ﴿ٱقْرَأْ﴾، ولعظمة هذه الكلمة وعلوِّ شأنها قرنها الله باسمه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ٩٦/ ١]، وأقسم سبحانه بأدواتها: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ٦٨/ ١]، فـ ﴿ٱقْرَأْ﴾ تعني علم، وتعني حضارة منطلقها ﴿ٱقْرَأْ﴾، ولَمَّا فهمت هذه الأُمَّة المراد من ﴿ٱقْرَأْ﴾، تمكَّنت في القرن الهجري الأوَّل من إتمام فتوحاتها، وفي القرن الثَّاني الهجري بلغت الأُمَّة أوج مجدها الحضاري أيَّام الرَّشيد والمأمون، وأبدعت الأُمَّة بعد أن ترجمت ودرست وصوَّبت، والإبداع كان في العلوم كلِّها دون استثناء، أبدعت في الصِّناعات، وفي الطِّب والكيمياء، والفيزياء، والفلك، والرِّياضيات..

لقد ترجم ابن أبي أُصيبعة في كتابه: (عيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء) لموفق الدِّين عبد اللَّطيف البغدادي، الطَّبيب الفذّ، الَّذي صحَّح أخطاء جالينوس بنظرة علميَّة سليمة، فكسر هالة التَّقديس الَّتي أُحيط بها أطبّاء اليونان، وقال: «الحِسُّ أَصدق منه» - أي من جالينوس - التشريح يكذِّب ما قالوه: «القول يقصر على العيان، الحِسُّ أَقوى دليلاً من السَّمع»، «القياس السَّاذج في صناعة الطِّبِّ مطروح، وهو موقوف على التَّجربة، فإن صحَّحته قُبِل، وإلاَّ رُدَّ وطُرِح»[1].

عبد اللَّطيف البغدادي له أَيضاً مع براعته بالطِّبِّ كتاب في غريب

---

(١) عبد اللَّطيف البغدادي: ٧٤.

الحديث، وكتب في النَّحو والتَّفسير، وفي الحساب الهندي، والمعادن والكيمياء، وفتاوى، وله كتب بالطِّبِّ!

وابن النَّفيس الدِّمشقي (- ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) مكتشف الدَّورة الدَّمويَّة الصُّغرى، طبيب، فقيه، محدِّث كتب في السِّيرة، عالم بالأصول والعربيَّة، أعلم أهل عصره بالطِّب، له كتب بالطِّب، وله: المختصر في علم أُصول الحديث، والرِّسالة الكامليَّة في السِّيرة النَّبويَّة، إنَّه من كبار فقهاء الشَّافعيَّة، شرح كتاب التَّنبيه للشِّيرازي، وهو من الكتب المعتمدة في الفقه الشَّافعي[١].

والدَّميري، محمد بن موسى (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) باحث، أديب، صاحب كتاب (حياة الحيوان)، من فقهاءِ الشَّافعيَّة، له (الدِّيباجة) في شرح كتاب ابن ماجه في الحديث، و (النَّجم الوهَّاج) في شرح منهاج النَّووي، و (أُرجوزة) في الفقه[٢].

جلال الدِّين السُّيوطي (- ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، الإمام الحافظ المؤرِّخ الأديب، له نحو ٦٠٠ مصنَّف، منها: تاريخ الخلفاء، وتفسير الجلالَيْن، وحسن المحاضرة في أَخبار مصر والقاهرة، والدُّر المنثور في التَّفسير بالمأثور[٣].. له مشاركة في الطِّبّ.

محمد بن رشد (- ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) أوَّل من كتب عن كلف الشَّمس، وشاهده بعد رصده، وأوَّل من عَرَفَ بالحساب الفلكي وقت مرور عطارد على قرص الشَّمس، طبيب، فلكي، رياضي، فيلسوف، فقيه[٤].

أبو العبَّاس النَّباتي، أحمد بن محمد بن مفرج الأُموي الأندلسي الإِشبيلي (- ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، واحد عصره في عِلمَيْن انفرد بهما:

---

(١) الأعلام ٤/ ٢٧٠.

(٢) الأعلام ٧/ ١١٨.

(٣) الأعلام ٣/ ٣٠١.

(٤) موسوعة الأوائل والمبدعين ٤/ ٧٥٦.

الحديث الشَّريف، والنَّبات، رحل إلى المشرق فزار مصر والشَّام والعراق والحجاز يأخذ عن شيوخها الحديث، ومن منابتها الأعشاب، حتَّى برع في الأوَّل حفظاً ونقداً وعلماً بتواريخ المحدِّثين وأنسابهم ووفياتهم وتعديلهم وتجريحهم، وبرع في الثَّاني مشاهدة وتحقيقاً، من كتبه في الحديث الشَّريف وما يتعلَّق به: (المُعْلِم بزوائد البخاري على مسلم)، و (نظم الدَّاري فيما تفرَّد به مسلم عن البخاري)، وله: (الرِّحلة المشرقيَّة)، و (تركيب الأدوية)، وله كتاب في التَّفسير في عشرة مجلَّدات[١].

أبو يونس الموصلِّي، كمال الدِّين موسى بن يونس (- ٩٣٥هـ/ ١٢٤١م)، فلكي، رياضي، موسيقي، طبيب، له: (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات) في تفسير القرآن الكريم[٢].

لقد كانت الأمَّة ترى أنَّ العلوم جميعاً كلٌّ لا يتجزَّأ، بما فيها الصِّناعات العسكريَّة، ومثال ذلك كتاب: (الأنيق في المناجنيق)[٣] لابن أَرَنْبُغا الزَّرَدْكَاش[٤] (- ٨٦٧هـ/ ١٤٢٦م)، وهو من أهمِّ المؤلَّفات الحربيَّة والعسكريَّة، وخير شاهد على ما كان للمسلمين من فضل في مجال علم الحروب وآلاتها واستخدام الأسلحة الثقيلة بأنواعها، وإنَّه لدليل قاطع على أنَّ المسلمين ما فرَّطوا في العلوم من شيء، وأسهموا في كلِّ مجال، وأبدعوا وابتكروا في كلِّ علم.

---

(١) موسوعة الأوائل والمبدعين ٤/ ٧٨٣.

(٢) المرجع السَّابق ٤/ ٧٨٦.

(٣) حقَّقه د. إحسان الهندي، ونشره معهد التُّراث العلمي العربي (جامعة حلب)، بالتَّعاون مع معهد المخطوطات العربيَّة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

والمنجنيق كلمة فارسية، وتجمع بالعربيَّة على مجانيق ومناجيق ومنجنيقات، وهي في عنوان الكتاب (المناجنيق).

(٤) الزَّرَدْكاش: صنّف من العسكر في العصر المملوكي، اتَّصل عملهم بصناعة الأسلحة وصيانتها.

جمود بعد ازدهار

وبعد هذه الفترة الذَّهبيَّة، جمدت الأُمَّة حينما قسَّمت العلوم إلى علوم شرعيَّة يُهْتَمُّ بها، وعلوم دنيويَّة (كونيَّة) أُهملت، ونسيتْ أن ﴿اقْرَأْ﴾ طلبت العلوم كلَّها، وأنَّ العلوم الدُّنيويَّة (الكونيَّة) فرض كفاية، وحُكْمُ فرض الكفاية: إذا قام به قسم من الأُمَّة، سقط الوجوب عن الآخرين، وإلاَّ أَثمت الأُمَّة كلُّها، وقال العلماء: فرض الكفاية أفضل من فرض العين، من حيث إنَّ فاعله يسدُّ مسدَّ الأُمَّة، ويُسْقِط الحرج عن الأُمَّة، وفرض العين قاصر عليه، (المجموع شرح المهذب ١/ ٢٦ لإمام الحرمَيْن).

وقالوا: واعلم أَنَّ للقائم بفرض الكفاية خيريَّةً على القائم بفرض العين، لأَنَّه أَسقط الحرج عن الأُمَّة..

﴿اقْرَأْ﴾ تعني حضارة متكاملة، دنيا وآخرة، فالحياة دين، والدِّين حياة لا انفصام بينهما.

أَهملنا أُمورنا الحياتيَّة، وبات التَّركيز على أُمور الآخرة، مع تكرار جمود واختلاف، فما هي إلاَّ فترات متلاحقة سريعة، حتّى تأَخَّرت العلوم، وتفوَّق أَعداء الأُمَّة عسكريّاً حتَّى اليوم، فراحوا يملون مصالحهم علينا، مع مراقبة دقيقة لكلِّ نهضة علميَّة لإجهاضها في مهدها، لقد بدأَت مصر نهضتها مع نهضة اليابان، ونجحت نهضة اليابان، وأُجهضت نهضة مصر.

وكلُّ بلد إسلامي اليوم تحارب نهضته العلميَّة، ويُغْتال العلماء، مثل:

حسن كامل الصَّباح: الَّذي وُلِد في النَّبطيَّة (جنوب لبنان) عام ١٨٩٤م، وبرع في الرِّياضيَّات والطَّبيعيَّات، هاجر إلى أَمريكة، وعمل في شركة

(جنرال إلكتريك) بنيويورك، وسجَّل هناك أكثر من سبعين اختراعاً، وسُمِّي لأجلها (أديسون العرب)[١]، منها: جهاز للتَّلفزة يستخدم الكهارب المنعكسة بفعل النُّور، وجهاز للتَّلفزة يستخدم النُّور ضابطاً للتَّيَّار الكهربائي.. واستعمل الأشعَّة الشَّمسيَّة في الإنارة وتوليد الطَّاقة، واخترع أجهزة لتحلية مياه البحر.

مات في حادث سيَّارة غامض حينما أراد الرُّجوع إلى بلده نهائياً، سنة ١٩٣٥م.

مصطفى مشرفة: (مصري)، أحد أهمِّ عشرة علماء في الفيزياء بالعالم، مات في أمريكة مسموماً سنة ١٩٥٠م.

سميرة موسى: (مصريَّة)، اكتشفت طريقة لتفجير ذرَّات المعادن الرَّخيصة كالنُّحاس، واستخلاص طاقة نوويَّة منها، ماتت في حادث سيَّارة غامض بكاليفورنية سنة ١٩٥٣م.

سمير حبيب: (مصري)، من علماء الذَّرَّة، مات في ظروف غامضة عام ١٩٦٧م بأمريكة، قبل عودته بيوم واحد إلى وطنه.

أمَين لطفي مسعود: (مصري)، عالم مخترع، مات في حادث سيَّارة غامض بشيكاغو سنة ١٩٨٦م، حينما رغب في العودة النِّهائيَّة إلى بلده.

سعيد السَّيِّد بدير: (مصري)، لُقِّب بأنشتاين مصر، وهو ثالث ثلاثة من علماء الفضاء من حيث الأهميَّة في العالم، رفض العمل بوكالة الفضاء الأمريكيَّة (ناسا)، فقُتِلَ فوراً سنة ١٩٨٩م.

وفي العراق اليوم بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م، مئات العلماء بمختلف الاختصاصات يُقتَلون، لا لشيء إلاَّ لأنَّهم علماء متميِّزون في

(١) الأعلام ٢/٢١١.

اختصاصاتهم، ممَّا سبَّب فرار عدد كبير منهم خارج العراق خوفاً من الاغتيال، وطلباً للسَّلامة.

ناهيك عن هجرة العقول واستيطانها في الغرب، حيث الرِّعاية والعناية والإغراءات.

حاجاتنا المصنَّعة مستوردة، والعائدات الضَّخمة تنفق على كماليَّات، مع تغييب خطَّة نهضة صناعيَّة تحقِّق الاكتفاء الذَّاتي، وتلغي البطالة الَّتي تتفاقم نسبتها يوماً بعد يوم.

الموادُّ الأوَّليَّة (الفلزّات)، والإنتاج الزِّراعي يباع بأبخس الأثمان، ليُعاد إلينا مصنَّعاً بأسعار باهظة.

ولا يمكن لهذه الأُمَّة النُّهوض إلاَّ برعاية علميَّة شاملة، ترى أنَّ العلوم كلَّها فروض كفاية، انطلاقاً من ﴿اَقْرَأْ﴾، فالخلل في فهم المراد من ﴿اَقْرَأْ﴾، فإن استقام الفهم، نهضت الأُمَّة من جديد، وعُوفيت من آلامها.

صرخةٌ في واد

منذ مطلع القرن العشرين

ذكر عالم فاضل في كتاب له عنوانه: (مباحث في علوم القرآن): إذا كنَّا نبحث عن النُّكات البلاغيَّة في القرآن رجعنا إلى الزَّمخشري، وإذا التمسنا المباحث الكلاميَّة رجعنا إلى الرَّازي، وإذا أردنا إعراب القرآن فعلينا بالبحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي، ففيه كثير من المباحث النَّحويَّة والمسائل المتعلِّقة بالقراءات.. وقد أُلِّفت تفاسير لبعض العلماء المعاصرين فيها محاولات تجديد، وأقلُّها نصيباً من النَّجاح - بلا ريب - (الجواهر في تفسير القرآن) لطنطاوي جوهري، فإنَّ في تفسيره كلَّ شيء ما عدا التَّفسير، (انتهى).

الشَّيخ طنطاوي جوهري[1] فسَّر القرآن الكريم، ولم يُعِرِ النُّكات البلاغيَّة، ولا المباحث الكلاميَّة، ولا الإعراب والقراءات كبير أهميَّة، صحيح هذا، لكنه فسَّر الآيات العلميَّة تفسيراً وضع له الصُّور والأشكال والمقاطع والتَّوضيحات الدَّقيقة، مثال ذلك: في تفسير سورة النَّبأ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ [النبأ: ٧٨/ ١٢-١٣] ، وضع رسماً يوضِّح الطَّيف الشَّمسي، وجهازَ مبدِّد الضَّوء (الموشور)، ليبيِّن بديع خلق الله في الضَّوء وأشعَّة الشَّمس، ولما فسَّر: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ [النبأ: ٧٨/ ١٤-١٦]، وضع صوراً لشجرة، ولأقسامها، وللورقة وبراعمها، وشرح بنية ساقها، وفسَّر لماذا تتَّجه الأغصان إلى أعلى، والجذر إلى أسفل، وصوراً لأنواع الورق والزَّهر والثَّمر..

المفسِّر لم يعرب، ولم يبحث عن الصُّور البلاغيَّة، والمسائل المتعلِّقة بالقراءات.. لكنَّه قدَّم عظمة الله متجلِّية في بديع مخلوقاته، بأُسلوب عالم واثق من علمه، ووضَّح ذلك بالصُّور، فوجد صاحب (مباحث في علوم القرآن) كلَّ شيء ما عدا التَّفسير!

لا أُدافع عن الشَّيخ طنطاوي جوهري دفاعاً مطلقاً، فعلى تفسيره ملاحظة واضحة، كثرة سرده الأقاصيص، وتوسُّعه جداً بها، ولكن لا يعاب عليه بأيِّ شكل تطرُّقه المتكرِّر الواسع للعلوم العصريّة الشَّارحة، كي يوضِّح بشكلٍ جليٍّ بديع صنع الله تعالى في خَلْقه، ودقَّة صنعه، مع دعوة صريحة قويَّة مُلِحَّة للأخذ بأسباب العلوم العصريَّة، فأيُّ غريب في هذا؟

وكان الشَّيخ طنطاوي جوهري يعلم مواقف العلماء الجامدين التَّقليديِّين

---

(١) طنطاوي جوهري: [١٢٨٧ - ١٣٥٨هـ/ ١٨٧٠ - ١٩٤٠م] عالم له اشتغال بالتَّفسير والعلوم الحديثة، ولد بمصر، وتعلَّم في الأزهر، وتضلَّع من الإنكليزيَّة، ألقى محاضرات في الجامعات المصريَّة، وناصر الحركة الوطنيَّة.

منه، فقال في الجزء التاسع من تفسيره، صفحة ١٨٦: أنت أَيُّها الشّيخ حفظت القرآن من صغرك بلا تدبُّر، قرأ الشَّيخ العلوم العربيَّة ونهايتها البلاغة، وهي نحو من اثني عشر علماً، وأَفهمه شيوخه أَنك بهذه العلوم تعرف سرَّ القرآن، والدَّليل على ذلك أنِّي حين سألتك أَيُّها الشَّيخ أَجبتني بإسناد الضَّمائر، وذلك خاصٌّ بعلم المعاني، وهذا هو الَّذي أَوقف عقول أُمَّة الإسلام، عاشت في القرون الأَخيرة في جوٍّ من الألفاظ، فحجبت عنها الأَسرار، ووقفت الأُمَّة في مربضها، وتقدَّم غيرها من الأُمم، فدرسوا هذه الكائنات والمسلمون في سبات.

حفظوا القرآن واكتفوا منه بالتِّلاوة أَو العبادة أَو التَّبرُّك أَو السَّماع أَو التَّغنِّي به، ولم ينزل القرآن ليقتصر على هذا، إِنَّه نزل لإطلاق العقل، والشُّيوخ الَّذين حفظوا القرآن لفظاً، كلَّما خلت أُمَّة اتَّبعتها أُخرى، والعقول واقفة، والنُّفوس نائمة، والأَعداء حولكم مستبشرون فرحون.

ومن صور الفهم السَّليم لطنطاوي جوهري، ومن توقُّعاته الَّتي حذَّر منها وتنبَّأ بها، ونعيش نتائجها اليوم، من الحرب الأُولى ١٩٤٨م، إلى الحرب السَّادسة ٢٠٠٦م، قوله تغمَّده الله برحمته في الجزء الأَوَّل (ص ١٨)، الطَّبعة الثَّانية شوَّال ١٣٥٠هـ، طبعة البابي الحلبي: وإنِّي أَدعو أُمم الإسلام، أَن يمعنوا النَّظر فيما أَقول: إِنَّ الدِّيانات لا تتعرَّض لعلوم الكائنات، والإسلام يدعو إليها ويأمر بها، وهذه خاصَّة به، لا يشاركه فيها دين من الأَديان، ليُعَلِّم كلَّ عالِم أَو ملك أُمَّته جميع العلوم، باعتبار أَنَّها من الإسلام، فإذا أَبى المسلمونَ ما ذكرناه، فإنِّي أُنذرهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، وقد بدت بوادرها من الطَّيَّارات القاذفات على القرى، والشُّيوخ والصِّبيان، فمن تكاسل من المسلمين عن هذه العلوم، فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه.

وحثَّ على قراءة علوم الآفاق الَّتي أَرشد القرآن إليها.

إنَّ علوم الخَلْق غذاء، وعلوم الشَّريعة (الأحكام الفقهيَّة) الَّتي صرفوا فيها أعمارهم دواء، وكيف يعيش الإنسان إلاَّ بالغذاء؟ وهو إذا تعاطى الدَّواء وحده هلك، بل الغذاء هو الدَّائم الطَّلب، أمَّا الدَّواء فإنَّما يكون عند انحراف الصِّحَّة، فيا أيُّها المسلمون، اطلبوا الغذاء وعلوم الدَّواء، أي العلوم الكونيَّة والعلوم الشَّرعيَّة، وجميعها يطلبها القرآن، وقد اعتنى بعلوم الغذاء أشد من عنايته بالدَّواء.

وهكذا، حذَّر الرَّجل من كسل المسلمين وإعراضهم عن العلوم كلِّها، وحذَّر من نيران صاعقة بدت بوادرها في زمانه قبل أكثر من ثمانين سنة، خصوصاً من الطَّائرات القاذفة، فلم يجد أُذناً تعي بعد أن تسمع، فكان ما لقيه العرب في حروبهم الحديثة كلِّها من طيران عدوِّهم، حتَّى آخرها حرب جنوب لبنان ٢٠٠٦م.

بديع الزَّمان سعيد النُّورسي[١]:

صاحب رسائل النُّور الَّتي حافظت على عقيدة الشَّعب التُّركي المسلم بعلمه وحكمته، درس التَّاريخ والجغرافية والرِّياضيَّات والجيولوجية والفيزياء والكيمياء والفلك والفلسفة وأمثالها من العلوم[٢].

طلب من السُّلطان عبد الحميد الثَّاني أن يجعل قصر يلدز، ذلك النَّجم المنخسف، جامعة للعلوم، ليرتفع إلى الأعالي كالثُّريا[٣].

---

(١) سعيد بن ميرزا (بديع الزَّمان) ولد سنة ١٨٧٦م في قرية نُورس من أعمال ولاية بتليس، شرقي تركية، وتوفِّي في أورفة في ١٨/ ٩/ ١٩٦٠م بعد حياة حافلة بالعلم والجهاد والأسر والسِّجن والنَّفي، نقلت الحكومة العلمانيَّة التركيَّة بعد قتل عدنان مندريس رفاته إلى جهة غير معلومة حتى يومنا هذا.

(٢) كلِّيَّات رسائل النُّور (٩) سيرة ذاتيَّة، بديع الزَّمان النُّورسي ٦٢، ترجمة إحسان قاسم الصَّافي، الطَّبعة الأُولى ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م، دارسوزلر للنَّشر، إسطنبول.

(٣) المرجع السَّابق ٧٩.

وحثَّ على الأخذ بالتَّجربة اليابانيَّة في نهضتها العلميَّة، «ينبغي لنا الاقتداء باليابانيِّين في المدنيَّة»[(١)].

ووضع طريقة خاصَّة به في التَّدريس، تختلف عن الطُّرق المتَّبعة آنذاك في المدارس الدِّينيَّة، استخلصها من العلوم الحديثة الَّتي استوعبها، ومن ممارسته تدريس الطُّلاب.. وترتكز طريقته على إعطاء الحقائق الدِّينيَّة ممتزجة بالعلوم الحديثة، بأُسلوب قريب لمدارك أبناء هذا العصر وإثباتها بأَوضح أُسلوب، وعرضها بما يلائم تفكيرهم[(٢)].

حتَّى في الأُمور السِّياسيَّة، جاهد بنفسه، وأَسره الرُّوس، ثمَّ عاد لجهاده، فرأى الأَرمن يذبحون أَطفال المسلمين، وعاملهم عامَّة المسلمين بالمثل، وما أن جُمع أُلوف من أطفال الأَرمن في المنطقة الَّتي كانت تحت إمرة بديع الزَّمان حتَّى أمر الجنود: لا تتعرَّضوا لهؤلاء الأَطفال بشيء، ثمَّ أطلق سراحهم جميعاً دون أن يمسَّ أَحدهم بسوء، فعادوا إلى عوائلهم الَّتي كانت خلف الخطوط الرُّوسيَّة، هذا السُّلوك كان درساً قيِّماً وعبرة للأَرمن، ممَّا دفعهم إلى الإعجاب بأَخلاق المسلمين.

وعلى إثر هذه الحادثة الَّتي أملاها فهم الإسلام السَّليم بعقيدة وسلوك بديع الزَّمان سعيد النُّورسي، تخلَّت ميليشيات الأَرمن عن عادتهم في ذبح أَطفال أَهالي القرى الَّتي احتلَّتها القوات الرُّوسيَّة، حيث قالوا: إنَّ ملاَّ سعيد لم يذبح أَطفالنا، بل سلَّمهم إلينا، فنحن كذلك نفعل بأَطفال

---

(١) المرجع السَّابق ٨٦، وسبب إعجاب بديع الزَّمان بتجربة اليابان ونهضتها العلميَّة: أنَّ اليابانيِّين حافظوا على تقاليدهم القوميَّة الَّتي هي قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنيَّة من أوربَّة. وحيث إنَّ عاداتنا العربيَّة ناشئة من الإسلام، وتزدهر به، فالضَّرورة تقتضي الاعتصام به.

(٢) المرجع السَّابق ٦٣.

المسلمين مثله، فتعاهدوا علي ذلك، أي إنَّ بديع الزَّمان أَصبح سبباً في إنقاذ الآلاف من الأَطفال الأَبرياء من كلا الجانبَيْن[١].

وحينما سُئِل بديع الزَّمان النُّورسي عن سبب تأَخُّر العالم الإسلامي أَجاب:

١- عدم مراعاة أَحكام الشريعة الغرّاء.

٢- تصرُّفات بعض المداهنين تصرُّفاً عفوياً.

٣- التَّعصُّب المقيت في غير محلّه سواء لدى عالِمٍ جاهلٍ، أَو جاهل عالِم!

٤- تقليد مساوئ المدنيَّة الأُوربيَّة تقليداً ببغائيّاً - بسوء حظِّنا أَو سوء اختيارنا - ممَّا ولَّد تركنا لمحاسن المدنيَّة الَّتي تستحصل بمشكلات ومصاعب[٢].

«عدم مراعاة أَحكام الشَّريعة الغرّاء» رأي سليم صحيح، لكنَّه يحتاج إلى شرح وتبيان وتفصيل، في أَوَّلها الأَخذ بكلِّ علم نافع يحتاج المسلمون إليه في دنياهم، لصحَّة أَبدانهم، وتنمية اقتصادهم وعمرانهم، وتمكينهم من التَّفوُّق العسكري على عدوِّهم، ونحو ذلك من الأَغراض، فإنَّه فرض كفاية كما قرَّر المحقِّقون من العلماء.

كلُّ العلوم الكونيَّة واجب كفائي سواء أَخدمت الاحتياجات الإنسانيَّة في حياتهم اليوميَّة، أم خدمت الاحتياجات العسكريَّة لدفع الظُّلم، وحماية البيضة[٣].

---

(١) المرجع السَّابق ١١٩ و ١٢٦.

(٢) المرجع السَّابق ٨٧.

(٣) فقه الزَّكاة، د. يوسف القرضاوي ٢/ ٥٧٠.

رعاية الموهوبين

كنت في زيارة لدولة وراء الأطلسي صيف ٢٠٠٥م، وبعد أيَّام من وصولي مللت من أخبارهم الَّتي كان الخبر الأوَّل فيها على مدى أيَّام محاكمة مايكل جاكسون بسبب اعتدائه على طفل قاصر جنسياً، وبُرِّئ في نهاية المحاكمة لأنَّه اعترف بالاعتداء على الطِّفل، ولكنَّه قال: أحضره إليَّ والداه قُبالة مبلغ من المال.

وبينما كنت أُقلِّب أزرار التِّلفاز بحثاً عن قناة فضائيَّة عربيَّة، أوقفتني محطَّة تقدِّم برنامجاً يجلس فيه على منصَّة كبيرة، أكثر من عشرين عالماً بمختلف الاختصاصات الجامعيَّة، شابت حواجبهم ناهيك عن شعر رؤوسهم، ويجلس أمامهم عدد من التَّلاميذ، بأعمار تتراوح بين عشرةٍ واثني عشر عاماً، رشَّح هؤلاء التَّلاميذ لهذه المقابلة مدراء مدارسهم باختيار من أساتذتهم، لتفوُّقهم ونبوغهم وذكائهم المتميِّز في مادَّة من موادِّ الدِّراسة.

يجلس التِّلميذ الصغير أمام هذه اللَّجنة العلميَّة المختارة، والابتسامة الأَبويَّة مرتسمة بشكل طبيعي على شفاههم، وتتَّسم وجوههم بالأُنس والبِشْر، فيسأَل في المادَّة الَّتي تفوَّق بها حسب القوائم المعدَّة، فإِن ثبت هذا التَّفوُّق بعيداً عن المحسوبيَّة أو القرابة أو الوساطة بأَنواعها، أقَرَّ هؤلاء العلماء نبوغ التِّلميذ وتفوُّقه، وسجِّل رسمياً في أوراق ثبوتيَّة، ويمنح وثيقة بذلك تقوم مقام الشَّهادة الدِّراسيَّة الرَّسميَّة، تؤهِّله مباشرة إلى مرحلة الدِّراسة الجامعية، لدراسة العلم الَّذي نبغ به وتفوَّق، دون النَّظر لسنيِّ عمره، أو تسلسله الدراسي ومراحل التعليم، فشهادة اللَّجنة الَّتي قابلته علناً على شاشة التِّلفاز كافية لدخوله إلى الكلِّيَّة الَّتي تناسب نبوغه وذكاءه.

وهذا التِّلميذ سيبدع، وسيتقدَّم بمضمار اختصاصه وموهبته، بفضل رعاية خاصَّة تدرك مدى فائدة عملها هذا على مختلف الصُّعد، وخصوصاً الصَّعيد المالي في قادمات السِّنين.

قلت لمن شاهد معي هذه المقابلات: شيء جميل وبديع ومتميِّز، عُرِف في زمن سيِّدنا رسول الله ﷺ، فقد ذكر مواهب عدد من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، ثمَّ أعطى كلَّ ذي موهبة اختَّصه الله بها، اهتمامه وعنايته، ووظَّفها لصالح الأُمَّة خاصَّة.

يقول رسول الله ﷺ: «أَرحم أُمَّتي بأُمَّتي أَبو بكر، وأَشدُّهم في دين الله عمر، وأَصدقهم حياء عثمان، وأَعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم[1] زيد بن ثابت، وأَقرؤهم أُبَيّ بن كعب، ولكلِّ أُمَّة أمين، وأَمين هذه الأُمَّة أَبو عبيدة بن الجرَّاح»، (رواه التِّرمذي).

ورواية الحاكم في (المستدرك): «إنَّ أَرأَف أُمَّتي بها أَبو بكر، وإنَّ أَصلبها في أَمر الله عمر، وإنَّ أَشدَّها حياء عثمان، وإنَّ أَقرأَها أُبَي بن كعب، وإنَّ أَفرضها زيد بن ثابت، وإنَّ أَقضاها علي بن أَبي طالب، وإنَّ أَعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وإنَّ أصدقها لهجة أبو ذَر، وإنَّ أَمين هذه الأُمَّة أَبو عبيدة بن الجرَّاح، وإنَّ حَبْر هذه الأُمَّة لعبد الله بن عبَّاس».

«الصِّدق بعدي مع عمر حيث كان»، (ابن النَّجَّار من حديث الفضل).

«إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه» (أَخرجه ابن سعد).

«عبد الرَّحمن بن عوف من تجَّار الرَّحمن»[2].

---

(١) أعلمهم بعلم الفرائض، والفرائض: المواريث.

(٢) أوصى عبد الرحمن بن عوف بحديقة لأُمَّهات المؤمنين بيعت بأربع مئة ألف، مثَّل رضي الله عنه التَّاجر المسلم الصَّدوق، فقد شطر ماله نصفَيْن أكثر من مرَّة، يتصدَّق بشطر، ويُبْقي له ولأُسرته الشَّطر الآخر.

حذيفة بن اليمان كاتم سرِّ رسول الله ﷺ، أعلمه بأسماء المنافقين، ولم يطلع حذيفة أحداً، لأمانته الَّتي خصَّه بها رسول الله ﷺ، وما عرف المسلمون المنافقين، إلاَّ إذا تخلَّف حذيفة عن الصَّلاة عليهم بعد موتهم، وكان عمر رضي الله عنه يلاحظ ذلك، فإن صلَّى حذيفة صلَّى، وإلاَّ ترك الصَّلاة على الميت إن تخلَّف عنها حذيفة.

خالد بن الوليد خُلِقَ فارساً قائداً، لذلك قال عنه ﷺ: «سيف الله وسيف رسوله».

عبد الله بن مسعود، قال عنه ﷺ: «من سرَّه أن يقرأ القرآن رطباً[١] كما نزل، فليقرأه على قراءة ابن أُمِّ عبد» (أبو يعلى، حديث صحيح).

الزُّبير بن العوَّام حواري رسول الله[٢].

وعُرِفَ سعد بن أبي وقَّاص بدقَّة رَمْيه، فكان ﷺ يقول له في أُحُد: «ارمِ فداك أبي وأُمِّي»، «ارمِ أيُّها الغلام الحَزَوَّر»[٣].

وقال ﷺ عن زيد بن حارثة: «إن كان لخليقاً للإمارة»[٤].

وحسَّان بن ثابت (الشَّاعر) رجل إعلام، كان رسول الله ﷺ ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً، ينافح عن رسول الله ﷺ، ورسول الله يقول: «إنَّ الله يؤيِّد حسّان بروح القُدُس، ما نافح عن رسول الله»، (أُسْد الغابة ٢/ ٥)، حتَّى قيل له: أبو حسام، لمناضلته عن رسول الله ﷺ، ولتقطيعه أعراض المشركين.

---

(١) وفي رواية: «غضّاً كما أُنزل».

(٢) «الزُّبير ابن عمَّتي وحوارِيٌّ من أُمَّتي»، أي خاصَّتي من أصحابي وناصري.

(٣) الحَزَوَّرُ: الغلام إذا اشتدَّ وقوي، وقارب البلوغ، (اللِّسان).

(٤) لما سبق: (دَرُّ السَّحابة في مناقب القرابة والصَّحابة) للشَّوكاني، تحقيق الدكتور حسين عبد الله العمري، دار الفكر بدمشق، ط ٢/ ٢٠٠٥م.

وعرف ﷺ موهبة زيد بن ثابت رضي الله عنه في قدرته على سرعة إتقان تعلُّم اللُّغات، فقال له: «يا زيد، تعلَّم لي كتاب يهودَ، فإنِّي والله ما آمَنُ يهود على كتابي»، يقول زيد: فتعلَّمته، فما مضى لي نصف شهر حتَّى حذقته، فكنتُ أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم، وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه.

وفي رواية تعلَّم السِّريانيَّة، فتعلَّمها في سبعة عشر يوماً.

وهذه المواهب رعاها أبو بكر الصِّدِّيق قبيل البدء بحروب الرِّدَّة، فولَّى أبا عبيدة (وزارة الماليَّة) أي شؤون بيت المال، وولَّى عمر بن الخطاب القضاء (وزارة العدل)، وولَّى زيد بن ثابت الكتابة (وزارة البريد والمواصلات)، وجعل أصعب المهامِّ العسكريَّة على عاتق خالد بن الوليد (قيادة الجيش).

* * *

خاتِمَةٌ

يقول الله تعالى في محكم التَّنزيل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/٩]، ونجيب ربَّنا: لا يستوي الفريقان يا ربّ.

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ٥٨/١١]، يرفَعُهم بالدُّنيا بحياة كريمة، قبل رفْعهم في الآخرة درجات عُلْيا في فردوسه.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٣٥/٢٨]، كلُّ العلماء حتَّى عالم الكيمياء في مختبره، وعالم النَّبات في حقل تجاربه.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٨/٦٠]، لكلِّ عصرٍ قوَّته الَّتي تؤهِّل الأُمَّة أن تبقى قوية منيعة، تردع أعداءها وتمنعهم من التَّطاول عليها، يتوِّج ذلك قيم إنسانيَّة أخلاقيَّة ربَّانيَّة ضابطة ناظمة للحياة، كلِّ الحياة، للمجتمع، والعلاقات العامَّة الإنسانيَّة.

وحين العودة إلى الإسلام وفهمه متكاملاً، دين حياة وآخرة معاً، ترتفع في بلاد المسلمين إلى جانب كلِّ مئذنة تعلو، مدخنة مصنع، وإلى جانب كلِّ مسجد يُبنى، يشيَّد مجمع بحوث علميَّة، وأملنا كبير بأنَّ شمس الحقيقة ستشرق يوماً، ولن يبقى العالم الإسلامي في ظلامه إلى الأبد، سينهض من كبوته، متجاوزاً سقوطه بإذن الله تعالى.



فليس منهم

تمهيد

قال أَحدهم مساء ثاني أيَّام عيد الأضحى (١١ ذي الحجَّة ١٤٢٦هـ، الموافق ١١ كانون الثاني ٢٠٠٦م)، وقد جمعتنا جلسةٌ في إحدى بلدات الغوطة:

شريحة كبيرة في بلدنا تعتقد - وتسلك - العقيدة التَّالية: مالي ولإسرائيل ولأمريكا وما تحدثانه في العالم؟ المهم: التَّقوى، والعبادة لضمان الفوز بالآخرة، وهذا هدف الحياة أولاً وآخراً.

عالَجتُ المسألة (العقيدة، القضيَّة) المطروحة، وبداية:

١- ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٣٠].

٢- يأتي على النَّاس زمانٌ، القرآن في وادٍ، وهُمْ في وادٍ غيره.

٣- «اللهم هيِّئ لنا الخير، واعزم لنا على الرَّشد، وآتنا من لدنك رحمة، واكتب لنا السَّلامة في الرَّأي، وجنِّبنا فتنة الشيطان، أن يقوى بها فنضعف، أو نضعف لها فيقوى»..

ما علاج المسألة؟ وما رأي الإسلام (كما أفهمه أنا)؟

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١١٠].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٢].

ويقول عزَّ وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ٣/ ١٠٣].

ويقول جلَّ جلاله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٨/ ٢٥].

* * *

ويقول رسول الله ﷺ: «من لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ورسوله ولكتابه ولإمامه ولعامَّة المسلمين فليس منهم» (كنز العمال ٢٤٨٣٦، الطَّبراني في الأوسط).

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتعاطفهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سَائِرُ الجسد بالسَّهر والحمَّى»، (الإمام أحمد عن النُّعمان ابن بشير، البخاري ٥٥٥٢، ومسلم ٢٥٨٦).

ويقول ﷺ: «المؤمن الذي يخالِطُ النَّاس ويصبرُ على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالطُ النَّاسَ ولا يصبرُ على أذاهم»، (رواه البخاري والإمام أحمد، وابن ماجه عن ابن عمر).

وعن أَبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غَدْوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ، خيرٌ ممَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمسُ وغَربت»، (رواه مسلم)، ورواية البخاري: «غدوةٌ في سبيل الله أو روْحَةٌ، خيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها».

وجاء في الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٤/ ١٦٤:

الحديث الشَّريف ١٦١٩: «مثَلُ المجاهدِ في سبيل الله مثلُ القائمِ الصَّائمِ الذي لا يفتُرُ من صلاةٍ ولا صيامٍ، حتى يرجِعَ المجاهدُ في سبيل الله» (حديث حسن صحيح).

وفي المصدر نفسه ١٦٢٨: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا»، (حديث حسن صحيح)[1].

والحديث الشريف ١٦٥٨: «الجهاد سَنَام العَمَلِ».

وفي كنز العمال ٤ الحديث الشريف ١٠٥٥٧: «من لم يَغْزُ أو يجهِّز غازياً، أو يخلُف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة - النَّازلة الشديدة - قبل يوم القيامة»، (أبو داوود وابن ماجه عن أبي أمامة).

والحديث الشَّريف ١٠٥٥٨: «من ماتَ ولم يغز ولم يُحَدِّث نفسه بغزوٍ، مات على شعبة من نفاق»، (مسلم، الإمام أحمد، أبو داوود، النَّسائي عن أبي هريرة).

---

(١) في كنز العمَّال ١٠٥٥٤: «من جهّز غازياً في سبيل الله كان له مثلُ أجره، من غير أن ينقُصَ من أجر الغازي شيئاً»، (ابن ماجه في كتاب الجهاد، برقم ٢٧٥٩).

والحديث الشريف ١٠٥٦٠ : «موقفُ ساعةٍ في سبيل الله خيرٌ من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود»، (البيهقي، ابن حِبَّان).

والحديث رقم ١٠٥٦٥ : «لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله، ودُخانُ جهنَّم في مُنْخَرَي مسلم أبداً»، (النَّسائي، ابن ماجه، ابن حِبَّان).

والحديث رقم ١٠٥٧٧ : «ذَرْوة الإسلام الجهاد في سبيل الله لا يناله إلاّ أفضلُهم»، (الطبراني في الكبير).

والحديث الشريف رقم ١٠٦٢٤ : «ما من امرئٍ مسلم ينقِّي لفرسه شعيراً، ثمَّ يعلفه له، إلا كُتِب له بكلِّ حبَّةٍ حسنةٌ»، (الإمام أحمد، والبيهقي).

والحديث رقم ١٠٦١٩ : «لكلِّ نبيٍّ رهبانيَّةٌ، ورهبانيَّةُ هذه الأُمَّة الجهاد في سبيل الله»، (الإمام أحمد عن أنس).

والحديث رقم ١٠٤٨٢ : «إنَّ الجنَّة تحت ظلال السُّيوف»، (مسلم والترمذي).

لو كان الإسلام رهبنة، لما خرج الإسلام وانتشر خارج مكَّة المكرَّمة، ولما تمَّت الدَّعوة في المدينة المنورة.

الصَّحابة تربية سيدنا رسول الله ﷺ:

- أَبو أَيوب الأنصاري دُفِنَ عند أسوار القسطنطينيَّة.

- قُثَم بن العبَّاس دُفِنَ في سمرقند.

- أُم حَرَام (الغميصاء بنت مِلْحان) دُفِنت في قبرص.

- وعدد من الصَّحابة دُفنوا في الشَّام: بلال بن رباح، عبد الله بن أُم مكتوم، أَبان ابن عثمان بن عفّان، أُبي بن كعب الأنصاري، حُجْر بن

عدي، دَحْيَة الكلبي، أبو الدَّرداء عويمر بن عامر، أَبو مَرْثد الغنوي (بدري)[١]..

- وعدد في العراق، وآخرون في مصر وشمالي إفريقية...

- وفي بلاد فارس البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور، والنُّعمان بن مُقرِّن المزني، وشارك في نهاوند سنة ٢١هـ من الصَّحابة: حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وجرير بن عبد الله البجلي، والمغيرة بن شعبة..

- وتابع التّابعون الفتوح في الأندلس وما وراء النهر، حتى وصلوا الصِّين.

- عبد الله بن المبارك: في الأعلام (٤/ ١١٥): الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التّاجر، أفنى عمره في الأسفار حاجّاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربيَّة وأيّام النَّاس والشَّجاعة والسَّخاء، مات بهيت - على الفرات الأوسط - منصرفاً من غزو الرُّوم، له كتاب في (الجهاد)، وهو أوَّل من صنَّف فيه، توفي ١٨١هـ/ ٧٩٧م.

- العز بن عبد السَّلام: في (الأعلام ٤/ ٢١): سلطان العلماء، فقيه بلغ رتبة الاجتهاد، وُلِد ونشأ في دمشق، ولما سلَّم الصَّالح إسماعيل بن العادل قلعة (صفد) للصَّليبيين اختياراً، أنكر عليه ابن عبد السَّلام، ولم يدعُ له في الخطبة (في الجامع الأُموي فهو خطيبه)، فغضب وحبسه، ثمَّ أطلقه فخرج إلى مصر، فولاَّه صاحبها الصَّالح نجم الدِّين أيوب القضاء والخطابة ومكَّنه من الأمر والنَّهي، توفي ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م.

---

(١) كتاب (الزِّيارات) بدمشق، الظاهريَّة رقم و- ٩٦٨٣، القاضي محمود العدوي - ١٠٣٢هـ، حقَّقه د. صلاح الدين المنجد، طبع المجمع بدمشق.

- ابن تَيْمِيَّة: في (الأعلام ١/ ١٤٤): الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حرَّان وتحوَّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، سُجِن ٧٢٠هـ وأُطلق، ثمَّ أُعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلُّها في جنازته، توفي ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م.

شارك في قتال التَّتار، وفكَّ أسرى المسلمين مع غير المسلمين بإصرار لأنهم أهل الذِّمة. وهو صاحب كتاب (الحسبة في الإسلام، أو: وظيفة الحكومة الإسلاميَّة)، القائل - صفحة ٨١ حرفيّاً-:

«وأُمور النَّاس تستقيم في الدُّنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر ممَّا تستقيم مع الظُّلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم.

ولهذا قيل: إنَّ الله يقيم الدَّولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظَّالمة وإن كانت مسلمة، ويقال الدُّنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظُّلم والإسلام.

وذلك أنَّ العدل نظام كلّ شيء، فإذا أُقيم أمر الدُّنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خَلاَق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة». (طبعة دار الكاتب العربي، د.ت).

هل الإسلام دين بلا دنيا؟!

هل الإسلام قلب وعبادة وروح فقط؟!

هل الإسلام مسجد ومصلًّى بلا اقتصاد، وحرِّيَّة، ومساواة، ومجتمع متماسك؟ هل ينفصل العمل عن العبادة؟ هل الإسلام دين رهبنة بلا جهاد ومدافعة الأعداء المحتلين، أو الطَّامعين المستعمرين؟

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٨/ ٦٠][1].

الدُّنيا في الإسلام تقابلها الآخرة، بتناغم وتداخل دقيق متوازن:

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٣/١٤٨].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النساء: ٤/ ١٣٤].

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٥٦].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ١٠/ ٦٤].

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ١٦/ ٣٠].

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٦/ ١٢٢].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٢٨/ ٧٧].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٤٠/ ٥١].

محرِّك السَّيَّارة وحده لا يُسمَّى سيارة، ولا يتحرَّك قيد أُنملة، ولا يحمل أحداً، بل يحتاج إلى من يحمله ويحرِّكه، السَّيارة مع المحرك: إطارات ومقاعد وهيكل وأبواب وعدَّادات، وزيت ووقود... وسائق، المجموع يشكِّل سيارة.

---

(١) تردعون عدوَّكم من أن يتطاول عليكم، فيتحقَّق الأمن والسَّلام بالرَّدع والتَّوازن الاستراتيجي ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾

المحرِّك هو القلب، والسَّائق هو إسلام متكامل في جميع مبادئه.

القرآن الكريم: توحيد، وتزكية، وعِمَارة.

طَالَبَ كتابُ الله المجيد بِ:

١- انظُرْ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾، ويبدأ الأمر من النَّظر.

٢- تفكَّرْ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، ثمَّ التفكير في الأسباب.

٣- تدبَّرْ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾، ثم تدبُّر العواقب.

٤- تعقَّلْ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ثم التَّعقُّل بربط الأسباب بالنتائج.

٥- تذكَّرْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، ثم تذكُّر ما كُشِفَ لك من سُنن.

٦- اتَّقِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، بعد هذا كلِّه، تتقي الاصطدام بسنن الله، كي لا تأتي العواقب وخيمة.

قال ابن القيم: الإسلام كلُّه عدل ورحمة ومصلحة، فحيث كان العدل فثمَّ شرع الله.

* * *

لقد نبهنا سيدنا رسول الله ﷺ وحذّرنا بقوله: «ولا تباغضوا، ولا تدابروا»، (صحيح مسلم قطعة من حديث طويل ٢٥٦٤، ومسند الإمام أحمد ٧٦٧١)، وقُبالة هذا التحذير: توحُّد، تآلف، تناصر فيما بيننا.

مشكلات الأمة ومآسيها ومصائبها تزداد يوماً بعد يوم، وشاطئ الأمان منهج متكامل للإصلاح والنهضة، إسلام متكامل من كلِّ جوانبه.

جهلٌ بالدين، بعدٌ عن العلم والدراسة، والإسلام وراثة، تخلف علمي، عولمة، تغريب، تسيُّبٌ وانحلال أخلاقي، تنصير، مجاعات،

تسلُّط سياسي مستبد، جماعات التشدُّد لا تفقه البُعْدَ عن الفظاظة متمسِّكة بالقشور، أسلوب عدواني مشوَّه، المناهج في مدارسنا...

فأين توحيد الجهود مع الإخلاص، كلٌّ في مجاله وطاقته وإمكاناته؟!

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ٤٩/١٥].

كان عبد الله بن المبارك في رباطه[١] لا ينسى أن يعلِّم النَّاس الحديث الشريف، كما يتعلمون منه الشجاعة، وقد أرسل من الثَّغر مرَّة مع محمد بن إبراهيم إلى صديقه الفُضيل ابن عياض، قال له فيها:

يَا عَابِدَ الحرمَيْن لو أَبْصَرْتَنَا ... لعلمت أنَّكَ بِالعبادةِ تَلْعَبُ

مَنْ كانَ يَخْضِبُ جِيدَهُ بِدُموعِه ... فَنُحورُنا بِدِمائِنَا تَتَخضَّبُ

أوْ كان يُتْعِبُ خيلهُ في باطلٍ ... فخُيولُنا يوم الصَّبيحة تتْعَبُ

ريحُ العَبيرِ لكم ونحنُ عَبيرُنا ... رَهْجُ السَّنابِكِ والغُبارُ الأطيبُ

ولقد أتانا مِنْ مقالِ نَبِيِّنا ... قَوْلٌ صحيحٌ صَادِقٌ لا يَكْذِبُ

لا يلتقي غُبَارُ خيلِ الله في ... أنْفِ امرئٍ، وَدُخانُ نارٍ تلْهَبُ

ولمَّا قرأ الفضيل هذه الأبيات بكى، وذرفت عيناه بالدَّمع، وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.

مسجدنا الأقصى بخطر، مع غزو فكري لعقولنا بلا استثناء، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، و«من مات ولم يغز ولم يُحدِّث نفسه

---

(١) كان يرابط في طَرَسُوس ومصِّيصة (مدينة على نهر جيحان) تقارب طرسُوس، شمالي خليج الإسكندرون.

بغزوٍ مات على شعبةٍ من نفاق»، جاء في (الجامع الصحيح، سنن الترّمذي)، الحديث الشريف رقم ١٩٢٨ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضاً»، والحديث رقم ١٩٢٧ : «المسلمُ أخو المسلم لا يخونُهُ ولا يكذِبُهُ ولا يخذُلُهُ، كُلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: عِرْضُهُ ومَالُهُ ودَمُهُ، التَّقوى ههنا، بِحَسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ أن يحتقِرَ أخاهُ المُسْلمَ»، صدق سيدي رسول الله.

* * *

عامُ الرَّمَادَةِ

بسم الله القائل في محكم التَّنزيل ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٨/٤٦].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتَّابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، القائل: «ما آمن بي من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به»، [مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد للحافظ أبي بكر الهيثمي ٤/ ١٦٧، رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن]، وراوي الحديث أنس بن مالك.

في سنة ١٨للهجرة، حصل في المدينة المنورة قحط عظيم، دام تسعة أشهر، فسُمِّيت هذه السَّنة (عام الرَّمادة)[1]، لأنَّ الرِّيح كانت تسفي تراباً كالرَّماد، أو لأنَّ الأرض صارت سوداء مثل الرَّماد، أو لأنَّه هلكت فيه النَّاس والأموال، والرَّمادة في اللُّغة الهلكة، واشتدَّ الجوع في ذلك العام حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة

(١) فائدة لغوية: العام: الحول، والسَّنَة: السنة المجدبة، أصابتهم السَّنة، ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ أي بالقُحوط، وسمِّي عام الرَّمادة بدل سنة تفاؤلاً.

فيعافها من قبحها، وإنه لمقفر[١]، وحتى كان الناس يستنُّون الرُّمَّة[٢]، ويحفرون نفق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها، (واليربوع دويبة فوق الجرذ).

فكتب سيدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى كافة الأمصار، يستعينهم ويستغيثهم لأهل المدينة ومَنْ حولها، كتب إلى عمرو بن العاص: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، سلام عليك، أمَّا بعد أفتراني هالكاً ومن قبلي، وتعيش أنت ومَنْ قِبَلك؟ فياغوثاه! يا غوثاه! يا غوثاه!».

فكتب إليه عمرو بن العاص: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص، سلام عليك، فإنِّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، أتاك الغوث، فلبِّث لبِّث[٣]، لأبعثنَّ إليك بعيرٍ أوَّلها عندك وآخرها عندي، مع أنِّي أرجو أن أجد سبيلاً أن أحمل في البحر.

فبعث في البرِّ بألف بعير، تحمل الدَّقيق، وبعث في البحر بعشرين سفينة تحمل الدَّقيق والدُّهن[٤]، وبعث إليه بخمسة آلاف كساء.

وكتب إلى معاوية: إذا جاءك كتابي هذا فابعث إلينا من الطَّعام بما يصلح مَنْ قِبَلنا، فإنَّهم قد هلكوا، إلاَّ أن يرحمهم الله.

وكتب مثل ذلك إلى سعد، فبعث إليه بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق،

---

(١) المقفر: من ذهب طعامه وجاع، [اللِّسان: قفر].

(٢) الرُّمَّة: العظام البالية: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾.

(٣) لَبَّثَ الرَّجل: انتظر، أَلْبَثَ فلاناً في المكان: جعله يقيمُ فيه.

(٤) الدُّهن: ما يدهن به من زيت وغيره، مادة في الحيوان والنَّبات دسمة جامدة في درجة الحرارة العاديَّة، فإذا سالت كانت زيتاً، ج: أَدْهانٌ ودِهانٌ.

وبعث إليه بثلاثة آلاف عباءة، وكتب إليه أُخرى، فبعث إليه بألفي بعير تحمل الدقيق.

لما بعث عمرو بن العاص بالإبل دعا عمر الزُّبير بن العوام، وقال له: اخرج في أول هذه العير، فاستقبل بها نجداً، فاحمل إليّ أهل كلّ بيت قدرت أن تحملهم إليَّ، ومن لم تستطع حمله فمُرْ لكلِّ أهل بيت ببعير بما فيه، ومُرْهُم فليلبسوا كساءَيْن، ولينحروا البعير، فليملِّحوا شحمه، وليقددوا لحمه، وليحتزوا جلده[1]، ثمَّ ليأخذوا كبَّة من قديد وكُبَّة من شحم، وحفنة من دقيق، فليطبخوا ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزق، فوالله لعلك ألا تكون أصبت بعد صحبتك رسول الله ﷺ شيئاً أفضل منه.

فأبى الزُّبير أن يخرج، واعتلَّ.

قال عمر: أما والله لا تجد مثلها حتَّى تخرج من الدُّنيا.

ثم دعا أبا عبيدة بن الجرَّاح، فخرج في أربعة آلاف راحلة عليها الطعام كان قدم عليه بها فقسمها.

فلمَّا رجع أبو عبيدة، بعث إليه عمر بألف دينار، وفي رواية بأربعة آلاف درهم، فقال أبو عبيدة: إنِّي لم أعمل لك يا بن الخطَّاب، إنَّما عملت لله ولست آخذ في ذلك شيئاً.

فقال عمر: قد أعطانا رسول الله ﷺ في أشياء بعثنا لها، فكرهنا ذلك، فأبى علينا رسول الله، فاقبلها أيُّها الرَّجل، واستعن بها على دينك ودنياك، فقبلها أبو عبيدة.

ولما وصلت إبل عمرو إلى أفواه الشام، عدل بها رسله يميناً وشمالاً

---

(١) الحَزُّ: القطع، والحزُّ: شقٌّ في العُودِ ونحوه غير عميق، والحُزَّةُ: القطعة من اللحم تقطع طولاً.

ينحرون الجُزُر، ويطعمون الدقيق، ويكسون العباء، وبعث عمر رجلاً بالطعام الذي أرسله عمرو من مصر في البحر، فحمل إلى أهل تهامة[١] يطعمونه.

قال أبو هريرة: يرحم الله ابن حنتمة[٢]، لقد رأيته عام الرَّمادة، وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكَّة زيت[٣] في يده، وإنَّه ليعتقب - أي يتناوب - هو وأسلم، فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً، قال: فأخذت أعقبه - أُعاونه -، فحملناه حتَّى انتهينا إلى صِرَار[٤]، فإذا صِرْم - جماعة - نحو من عشرين بيتاً من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد.

قال: وأخرجوا لنا جلد ميتة مشويّاً كانوا يأكلونه، ورمَّة العظام مسحوقة كانوا يسفُّونها.

قال: فرأيت عمر طرح رداءه، ثمَّ نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتَّى شبعوا، ثم أرسل أسلم إلى المدينة، فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتَّى أنزلهم الجبَّانة، ثمَّ كساهم، ثمَّ لم يزل يختلف إليهم وإلى غيرهم، حتَّى رفع الله ذلك. (الجبَّانة في الأصل الصحراء، وسمِّيت المقابر جَبَّانة).

وعن ابن عمر: كان عمر بن الخطاب أحدث في زمان الرَّمادة أمراً ما كان يفعله، لقد كان يصلِّي بالناس العشاء، ثم يخرج حتى يدخل بيته، فلا يزال يصلي حتَّى يكون آخر اللَّيل، ثمَّ يخرج، فيأتي الأنقاب[٥]، فيطوف عليها، وإنِّي لأسمعه ليلة في السَّحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أُمَّة

---

(١) تِهَامَة: تساير البحر، من الحجاز إلى اليمن.

(٢) ابن حنتمة: هو عمر بن الخطاب، أُمُّه: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزوميَّة.

(٣) العكَّة: آنية السَّمن، أصغر من القربة.

(٤) صِرَار: الأماكن المرتفعة، وصِرَار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق.

(٥) الطريق الضيق في الجبل.

محمد على يديَّ، ويقول: اللهم لا تهلكنا بالسّنين، وارفع عنا البلاء، يردِّد هذه الكلمة.

وقال مالك بن أوس: لمّا كان عام الرَّمادة قدم على عمر قومي (بنو النَّصر) وهم مئة بيت، فنزلوا بالجبَّانة، فكان عمر يُطْعِم النَّاس من جاءه، ومن لم يأتِ أرسل إليه بالدقيق والتَّمر والأُدم إلى منزله، فكان يرسل إلى قومي بما يصلحهم شهراً بشهر، وكان يتعاهد مرضاهم وأكفان من مات منهم.

وبينما عمر نائم في المسجد، إذا بهاتف يهتف: يا عمراه! فانتبه مذعوراً، فعدا إلى الصَّوت، وإذا أعرابيٌّ ممسك بخطام بعير، والنَّاس حوله، فلمَّا نظر إلى عمر قال النَّاس: هذا أمير المؤمنين، فقال عمر: من آذاك؟ وظنَّ أنَّه مظلوم، وراح يشكو الجدب، فوضع عمر يده على رأسه، ثمَّ صاح: واعمراه، واعمراه، عمر يشبع ويروى، والمسلمون في جدب وأزل (ضيق)، فأرسل الميرة (الطَّعام).

قال أسلم: كنَّا نقول: لو لم يرفع الله المَحْلَ عام الرَّمادة، لظنَّنا أن عمر يموت همّاً بأمر المسلمين، وسمعت عمر يقول ليلة وقد تعشَّى النَّاس عنده: أحصوا من تعشى عندنا، فأحصوهم فوجدوهم سبعة آلاف رجل، وقال: أحصوا العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان، فأحصوا فوجدوهم أربعين ألفاً.

ثمَّ مكثنا ليالي، فزاد النَّاس، فأمر بهم فأُحصوا، فوجدوا من تعشى عنده عشرة آلاف، والآخرين خمسين ألفاً، فما برحوا حتَّى أرسل الله السماء، قال: وكانت قدور عمر يقوم إليها العمَّال في السَّحر يعملون حتَّى يصبحوا ثمَّ يطعمون المرضى منهم، ويعملون العصائد (العصِيدَةُ: دقيقٌ يُخْلَطُ بالسَّمْنِ ثمَّ يُطبخ، ج عَصائد).

أتى عمر بن الخطاب بخبز مفتوت بسمن عام الرَّمادة، فدعا رجلاً بدويّاً، فجعل يأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللُّقمة الوَدَك (الدَّسم) في جانب الصَّحفة، فقال له عمر: كأنَّك مُقفر من الوَدَك؟ فقال: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً، ولا رأيت آكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يُحيي النَّاس (أي يخصبوا).

وعن أنس قال: تقرقر بطن عمر بن الخطَّاب عام الرَّمادة، وكان يأكل الزَّيت، وكان قد حرَّم على نفسه السَّمن، فنقر بطنه بأُصبعَيْه، وقال: تقرقر، إنَّه ليس لك عندنا غيره، حتَّى يُحيي النَّاس!؟!

وكان يقول: لَتَمْرنَنَّ أيُّها البطن على الزَّيت، مادام السَّمن يباع بالأواقي[1].

وعن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرَّمادة وهو أسود اللَّون، فقيل له: وممّ ذاك؟ قال: كان رجلاً عربياً يأكل السَّمن واللَّبن، فلما أمحل النَّاس، حرَّمهما حتَّى يُحيوا، فأكل الزَّيت حتَّى غير لونه، وجاع فأكثر.

وذكر لعمر جراد بالرَّبذة - من قرى المدينة - فقال: لوددت لو أنَّ عندنا منه قفعة - كالسَّلة بلا عروة - أوقفعتين فنأكل منه.

وعن أسلم أن عمر كان زمان الرَّمادة إذا أمسى أُتي بخبز قد ثرد بالزَّيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيَّام جزوراً، فأَطعمها النَّاس، وغرفوا له طيِّبها، فأُتي به، فإذا قطع من سَنَام وكبد، فقال: أنَّى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرنا اليوم، قال: بخٍ بخٍ - كلمة تُقال

---

(١) الأوقيَّة الشرعيَّة لوزن الفضة ١١٩غ، والأُوقية الشرعية لوزن الذهب ٢٩,٧٥غ، أُوقيَّة (الرَّطل البغدادي) وزن الكيل الشَّرعيَّة ٣٤غ، (الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان).

في المدح والرِّضا بالشَّيء، وتكرَّر للمبالغة (عند تعظيم الأمر وتفخيمه)- بئس الوالي أنا إن أكلت طيِّبها، وأطعمتُ الناس كراديسها (رؤوس العظام)، ارفع هذه الجفنة، هاتِ لنا غير هذا الطَّعام، فأُتي بخبز وزيت، وجعل يكسر بيده، ويَثْرُد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يَرْفَأ - اسم غلامه - احمل هذه الجفنة، حتى تأتي بها أهل بيت بثَمْغ (موضع وقف لعمر)، فإنِّي لم آتهم منذ ثلاثة أيام، وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم.

وقدمت السُّوق عُكَّة من سمن ووَطْبٌ (إناء اللَّبن من الجلد) من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهماً، ثمَّ أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبرَّ الله يمنيك، وعظَّم أجرك، قدم السوق وَطْبٌ من لبن، وعُكَّة من سمن، ابتعتهما بأربعين درهماً.

فقال عمر: أغليت بهما، فتصدَّق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافاً، وقال: كيف يعنيني شأن الرَّعيَّة إذا لم يصبني ما أصابهم؟

وما أكل عمر في بيت أحد من ولده، ولا بيت أحد من نسائه ذواقاً زمان الرَّمادة، إلاَّ ما يتعشى مع الناس، حتى أحيا الله الناس أوّل ما أُحيُوا.

مرّ رضي الله عنه عام الرَّمادة على امرأة وهي تعصد عصيدة لها، فقال: ليس هكذا تعصدين، ثمَّ أخذ المِسْوط (ما يخلط به كالملعقة)، فقال: هكذا، فأراها، وكان يقول: لا تَذرَّنَّ إحداكنَّ الدقيق حين يسخن الماء، بل تَذُرُّه قليلاً قليلاً، وتسوطه بمسوطها، فإنه أربعُ له، وأحرى ألا يتقرَّد (يتجمع ويركب بعضه بعضاً). وحدَّثت بعض نساء عمر رضي الله عنه، فقالت: ما قرب عمر امرأة زمن الرَّمادة، حتَّى أحيا النَّاس، همّاً.

وخطب عمر النَّاس في زمان الرَّمادة، فقال: أيُّها النَّاس! اتَّقوا الله في

أنفسكم، وفيما غاب عن النَّاس من أمركم، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي، فما أدري ألِسخطةٍ عليَّ دونكم، أو عليكم دوني، أو قد عمَّتني وعمَّتكم، فهلمُّوا فلندعُ الله يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا، وأن يرفع عنا المَحْل، فرُئي عمر يومئذ رافعاً يديه يدعو الله، ودعا النَّاس وبكى، وبكى النَّاس مَلِيّاً، ثمَّ نزل.

وعن عبد الله بن ساعدة، قال: رأيت عمر إذا صلى المغرب نادى: أيُّها الناس، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، وسلوه من فضله، واستسقوا سقيا رحمة لا سقيا عذاب، فلم يزل كذلك حتى فرَّج الله ذلك.

ولمَّا أجمع عمر أن يستسقي ويخرج بالنَّاس، كتب إلى عمَّاله أن يخرجوا يوم كذا وكذا، وأن يتضرَّعوا إلى ربِّهم، ويطلبوا إليه أن يرفع هذا المحل عنهم، وخرج لذلك اليوم عليه بُرْدُ رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى المصلَّى، فخطب النّاس، وتضرَّع، وجعل النَّاسُ يلحُّون، فما كان أكثر دعائه إلا الاستغفار، ثم نزل.

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

روى البخاري عن أنس: أنَّ عمر بن الخطّاب كانوا إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب، فقال: إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا ﷺ فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا[1]، فيسقون.

(وروي) أنَّ عمر لما استسقى عام الرَّمادة، قال في آخر كلامه: اللهم إنِّي قد عجزت وما عندك أوسع لهم، ثمَّ أخذ بيد العبَّاس، فقال: اللهم هذا عمُّ نبيِّك ﷺ، نتوجَّه إليك به وببقية آبائه وكبير رجاله، فإنَّك قلت وقولك الحقُّ: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ

---

(١) أي بدعائه حيّاً، ولو كان يتوسَّل به ميتاً لتوسَّل به عمر، ولما احتاج لعمه العبَّاس ليدعو له. هذا يثبت التَّوسُّل بالصَّالحين الأحياء!!

كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فحفظتهما لصلاح أبيهما، فاحفظ اللهم نبيَّك في عمِّه، فقال العباس وعيناه تنضحان: اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيِّك ﷺ، وهذه أيدينا مبسوطة إليك بالذُّنوب، ونواصينا بالتَّوبة، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين يا أرحم الرَّاحمين، اللهم أنت الرّاعي لا تهمل الضّالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصَّغير، ورق الكبير، وارتفعتِ الشَّكوى، وأنت تعلم السِّرَّ وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنَّه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون.

فرأى النَّاس طرَّةً في مغرب الشمس، فقالوا: ماهذا؟ وما رأوا قبل ذلك قزعة سحاب أربع سنين، ثمَّ سمعوا الرَّعد، ثمَّ انتشر، ثمَّ اضطرب وأرخت السَّماء شآبيبَ مثل الجبال بديمة مُطبقة حتّى ساوت الحفر والآكام.

فطفق النّاس بالعبّاس يمسحون أركانه، ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمَيْن.

وكان المطر يعاودهم كلَّ خمس عشرة ليلة، فقال حسَّان بن ثابت:

سأل الإمامُ وقد تتابع جَدْبُنا فسَقَى الغَمامُ بِغُرَّة العَبَّاسِ

أحيا الإلهُ بِهِ البَلادَ فَأصْبَحَتْ مُخْضَرَّة الأجنابِ بعد اليَاسِ

ولمَّا نزل المطر صار عمر رضي الله عنه يُخرِجُ الأعراب، ويقول: اخرجوا، الحقوا ببلادكم.

قال عمر رضي الله عنه: لئن عشت إن شاء الله لأسيرنَّ في الرعيَّة حولاً، فإنِّي أعلمُ أنَّ للنَّاس حوائجَ تقطع دوني، أمَّا عمالهم فلا يرفعونها إليَّ، وأما هم فلا يصلون إليَّ، فأسير إلى الشّام فأُقيم بها شهرين، ثمَّ أسير إلى الجزيرة فأُقيم بها شهرين، ثمَّ أسير إلى مصر فأُقيم بها شهرين،

ثمَّ أسير إلى البحرين فأُقيم بها شهرين، ثمَّ أسير إلى الكوفة فأُقيم بها شهرين، ثمَّ أسير إلى البصرة فأُقيم بها شهرين، والله لَنِعْمَ الحول هذا.

إنَّ حياة عمر رضي الله عنه في عام الرَّمادة دليل قاطع على حياة المسلم المؤمن المهتم بأُمور المسلمين، فهو واحد منهم، يشاركهم آلامهم وأحوالهم ومآسيهم، ويهتم بأُمورهم، بل يعيشها في الأعماق: «كيف يعنيني شأن الرَّعيَّة إذا لم يصبني ما أصابهم؟». ما قَرُبَ عمرُ امرأة زمن الرَّمادة - حتّى أحيا الناس - همّاً، كيف لا ورسول الله ﷺ يقول:

«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسِ ناصحاً لله ورسوله ولكتابه ولإمامه، ولعامة المسلمين فليس منهم».

[كنز العمال ٢٤٨٣٦، الطبراني في الأوسط]

* * *

القدس، أُولى القِبلَتَين

قضيَّة كلّ مسلم

للقدس في اعتقاد كلِّ المسلمين، مكانة دينيَّة مرموقة، فهي أُولى القِبْلتين، وأرض الإسراء والمعراج، وأرض النُّبوَّات والبركات، وأرض الرِّباط والجهاد.

والقدس اليوم تُهَوّد جهاراً، ولا تزال إسرائيل تتابع حفرياتها تحت المسجد الأقصى، فهو مهدَّد بالانهيار، والهدف إقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، مع أن البعثات الأثرية التي بدأت الحفر أواخر سنة ١٩٦٧م لم تعثر حتَّى اليوم على أيِّ أثرٍ من آثار الهيكل.

المسلم الحقُّ لا ينزوي بمسجد للعبادة ويترهب، إنَّني أُشفق على من

مسخ الإسلام بعبادات ليضمن الآخرة، أصحاب رسول الله ﷺ رهبان في اللَّيل، فُرسان في النَّهار، وبقول ظنُّوه إسلاماً، جعلوا الدِّين رهبانية في اللَّيل والنَّهار، وشطبوا الجهاد والاهتمام بشؤون المسلمين بجرَّة قلم: مالي ولإسرائيل وأمريكا، وبذلك أصبح الاغتصاب مشروعاً، والعدوان مقبولاً، مع أنَّ الوطن لم يتحرَّر، والمشرَّد لم يعُد إلى أرضه، والأقصى لم يزل أسيراً، وكأننا نقول لهذا الجيل المسكين: لا تصدِّقونا فيما كنَّا نقول لكم، إنَّ الذي كنَّا نسمِّيه سفّاحاً، غدا اليوم شريفاً، لا شيء ثابت عندنا، مع أنَّ الاختراق الإسرائيلي للعالمين العربي والإسلامي مشاهدٌ، ليصبحا سوقاً مفتوحة لبضائعها، وخبرائها، وغزو نسائها حاملات الأمراض الخبيثة!.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٦١/٤]، وفي سورة التوبة ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾ [التوبة: ٩/١٠٥].

وسيبقى نصب أعيننا حديثُ سيدنا رسول الله ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ رهبانيَّة، ورهبانيَّة هذه الأُمَّة في الجهاد في سبيل الله»، [رواه الإمام أحمد عن أنس].

اللهم قد بلَّغت فاشهد، والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً.

* * *

لكلِّ مقام مقال

ما قدَّمته في هذا البحث، يناسب المقام، فهو لمن قال: مالي ولإسرائيل وأمريكا، ولأمثاله، وهذا لا يعني أنني قدَّمت حلاً لكلِّ مشكلاتنا، فهناك مشكلة حضاريَّة، ألا وهي استعادة الرُّشد لأمَّتنا، أي السَّير على طريق الخلافة الرَّاشدة في تولي الحكم، ودور الأُمَّة في اتِّخاذ قراراتها، وتحديد منهجها في حلِّ مشكلاتها، ناهيك عن الإصلاح الاجتماعي، فالمرأة مثلاً ضائعة بين تحرير القرآن الكريم لها، وبين تقييد الآراء الفقهيَّة المتطرِّفة لحياتها.

والإصلاح التربوي ضرورة ملحَّة أيضاً، لمواكبة العصر، فالنَّهضة المرجوَّة نهضة شاملة منشودة، تغطِّي مرافق الحياة كلها.

ورحم الله مالك بن نبي القائل: «حتّى إنَّ المتعبِّد المنغمس في عبادة الله كان منصرفاً عن الجوانب الأخرى من واجباته، وهي واجبات كبيرة في إدراك أسباب التَّخلُّف، وكان عليه ألا يزهد بها، فإذا كان هذا حال المتعبِّد، فما بال التَّائهين؟» [مجالس دمشق ١٣٧].



اتحد الأوربيون فمتى يتحد العرب؟

تمهيد

بسم الله القائل في محكم التَّنزيل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ٣/١٠٣]، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد..

فحكم وحدتنا العربيَّة فريضة واجبة، فالأمر يفيد الوجوب عند الجمهور، لقد قامت الوحدة على يد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، واستمرَّت أيَّام الرَّاشدين والعبَّاسيِّين، وأدرك نور الدِّين الشَّهيد، وصلاح الدِّين الأيوبي أنَّه لا يمكن ردُّ الصَّليبيِّين وطردهم إلَّا بوحدة الصَّف، فوحَّدوا بلاد الشَّام ومصر والحجاز واليمن قبل خوض المعركة الحاسمة، وبعد المماليك والعثمانيِّين جُزِّئت الأُمَّة حسب سايكس بيكو وسان ريمو، وراحت الدُّول المجزَّأة ترعى كياناتها بأمانة.

رافق ذلك محاربة اللُّغة العربيَّة الَّتي هي وجدان الأُمَّة، وإحياء اللَّهجات العاميَّة المحلِّيَّة، وراحت جامعات كثيرة تلغي التَّدريس بالعربيَّة، وتفرض اللُّغة الإنكليزيَّة على طلابها، ناهيك عن إحياء الخلافات المذهبيَّة، وبثّ النَّعرات الإقليميَّة، كالفرعونيَّة، والفينيقيَّة، والبابليَّة، والأمازيغيَّة..

وراح الغيورون يتساءلون: ما مصير وحدتنا، أو اتِّحادنا، أو وحدة صفِّنا وكلمتنا؟

وكيف نحقِّق حدّاً أدنى من التَّوحُّد المطلوب، بما هو متاح؟

أعن طريق جامعة الدُّول العربيَّة؟ أم عن طريق كمنويلث؟ أم عن طريق الاستفادة من مراحل قيام الاتحاد الأُوربي؟

في هذا الكتيِّب مراحل قيام الاتِّحاد الأُوربِّي الَّذي يضمُّ اليوم سبعاً وعشرين دولة، كيف قام بخطى وئيدة مدروسة ثابتة، تبقيه سليماً معافى، سعت الدُّول الأُوربيَّة جاهدة للانضمام إليه، كيف أن قراراته ملزمة بالأكثريَّة، وهيكلته مدروسة تضمن رضى الأعضاء كبيرهم وصغيرهم.

وفيه نبذة عن قيام جامعة الدُّول العربيَّة، الَّتي تضم اليوم اثنتين وعشرين دولة، كيف قامت لترعى التَّجزئة، وتحافظ كلٌّ دولة على استقلالها، وتضمن عدم التزامها بأيِّ قرار قبلته الأكثريَّة، بل لكلِّ دولة حقُّ الانسحاب من الجامعة متى شاءت دون إبداء أسباب، ولو قالت إحدى وعشرون دولة لأمر: نعم، وقالت دولة واحدة: لا، فهي غير ملزمة بشيء، لا ميثاق يلزمها، ولا أدبيَّات تخجلها أو تردعها.

كلُّ ذلك ليقارن العربي كيف قام اتِّحادهم الأُوربِّيُّ بشكل مدروس ليبقى، وكيف قامت جامعتنا العربيَّة (طُرْحاً) حُنِّط ليبقى شكلاً بلا مضمون، صورة بلا حَراك.

نقدِّم ما نقدِّم دون يأس، فجينات وحدة الأُمَّة العربيَّة تتناقلها الأجيال، وإن هي اليوم كامنة راقدة، يندر الحديث عنها، فهي في سِنَةٍ لم تَمُت ولن تموت بإذن الله، فلا بدَّ من عودتها إلى ساح الواقع، إذ تسعى القلوب لتحقيقها، وإن طال زمن غيابها.

يقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٨/٤٦].

صدق الله العظيم، والحمد لله ربِّ العالمين.

دمشق في ١٦ جمادى الأُولى ١٤٢٨ هـ،

الموافق ١ حزيران (يونيو) ٢٠٠٧ م.

* * *

الاتحاد الأوروبيُّ

يضمُّ الاتِّحاد الأُوربيُّ سبعاً وعشرين دولة أُوربيَّة، فبعد كوارث حروب القارَّة الَّتي كان آخرها الحرب العالميَّة الأُولى، والحرب العالميَّة الثَّانية حيث ٨,٥ مليون قتيل، ناهيك عن ملايين المشوَّهين والدَّمار، ازدادت بشدَّة ضرورات تأسيس ما عُرِفَ بالاتِّحاد الأُوربِّي، مدفوعاً بالرَّغبة في إعادة بناء أُوربَّة، ومن أجل القضاء على احتمال وقوع حرب شاملة أُخرى، أدَّى هذا الشُّعور في النِّهاية إلى المعاهدات التَّأسيسيَّة الَّتي أنشأت الاتِّحاد الأُوربي، وهي:

١- تشكيل جمعيَّة الفحم والفولاذ (سيكا .C.E.C.A)، وعُرِفت بمعاهدة باريس في ١٨/ ٤/ ١٩٥١م، على يد كلٍّ من ألمانية (الغربيَّة آنذاك)، وفرنسة، وإيطالية، ودول بينيلوكس (بلجيكة، وهولندة، ولكسمبورغ).

٢- معاهدة رومة في ٢٥/ ٣/ ١٩٥٧م؛ الَّتي أنشأت المنظَّمة الأُوربيَّة للطَّاقة الذَّريَّة، (الأُوراتوم Euratom).

٣- معاهدة رومة في ٢٥/ ٣/ ١٩٥٧ م أيضاً، الَّتي أنشأت المنظَّمة الاقتصاديَّة الأُوربيَّة: .E.E.C، (Europcan Economic Community)، أي السُّوق الأُوربيَّة المشتركة، وأُلغيت الحدود.

٤- الصَّكُّ الموحَّد The Singleact: L'acte unique، الَّذي أحدث تعديلات جوهريَّة في معاهدة رومة لعام ١٩٥٧م، وفرض التَّنسيق السِّياسي بين الدُّول الأعضاء.

٥- معاهدة ماستريخت في ٧/ ٢/ ١٩٩٢م، الَّتي قلبت المنظَّمات

الأُوربيَّة إلى (الاتِّحاد الأُوربِّي)، وفيه محكمة عدل أُوربيَّة، أي مجلس الأمن الأُوربِّي.

٦- معهد النَّقد الأُوربِّي، الاتِّحاد النَّقدي الأُوربِّي، بدأ التَّخطيط له مع بداية عام ١٩٩٧م، وحتَّى ١/ ١/ ١٩٩٩م، حيث وحدة النَّقد الأُوربِّي (اليورو)، الَّذي كان اسمه في البدء (الإيكو).

وهكذا.. تطوَّر الاتِّحاد الأُوربي من معاهدات اقتصاديَّة؛ إلى شراكة اقتصاديَّة وسياسيَّة.

من أهمِّ مبادئ الاتِّحاد الأُوربِّي نقل صلاحيَّات الدُّول القوميَّة إلى المؤسَّسات الدَّوليَّة الأُوربيَّة، لكن تظلُّ هذه المؤسَّسات محكومة بمقدار الصَّلاحيَّات الممنوحة من كلِّ دولة على حدة، لذا لا يمكن عدُّ هذا الاتِّحاد على أنَّه اتِّحاد فيدرالي، حيث إنَّه يتفرَّد بنظام سياسي فريد من نوعه في العالم، لقد تحقَّق الاتِّحاد اقتصادياً وسياسياً وأُلغيت الحدود؛ دون أن يخسر أحد كرسيَّه!

العضويَّة: لم يضع الاتِّحاد الأُوربِّي بادئ الأمر أيَّ شروط لانضمام الدُّول المرشَّحة للعضويَّة، باستثناء الشُّروط العامَّة الَّتي تمَّ تبنيها في الاتِّفاقيَّات المؤسِّسة للاتِّحاد، لكن الفرق الشَّاسع في المستوى الاقتصادي والسِّياسي بين دول أوربَّة الوسطى والشَّرقيَّة، ودول الاتِّحاد دفع مجلس الاتِّحاد الأُوربِّي في عام ١٩٩٣م لوضع ما يُعرف بشروط (كوبنهاغن):

١- شروط سياسيَّة: على الدَّولة المترشِّحة للعضويَّة أن تتمتَّع بمؤسَّسات مستقلَّة تضمن الدِّيمقراطيَّة، وعلى دولة القانون، أن تحترم حقوق الإنسان، وحقوق الأقلِّيَّات.

٢- شروط اقتصاديَّة: وجود نظام اقتصادي فعَّال، يعتمد على اقتصاد السُّوق، وقادر على التَّعامل مع المنافسة الموجودة ضمن الاتِّحاد.

٣- شروط تشريعيَّة: على الدَّولة المترشِّحة للعضويَّة أن تقوم بتعديل تشريعاتها وقوانينها بما يتناسب مع التَّشريعات والقوانين الأُوربيَّة الَّتي تمَّ وضعها وتبنِّيها منذ تأسيس الاتِّحاد.

الدُّول الأعضاء وتاريخ انضمامها:

١- إيطالية ١٩٥٨ م[1].

٢- ألمانية ١٩٥٨ م.

٣- بلجيكة ١٩٥٨ م.

٤- فرنسة ١٩٥٨ م.

٥- لوكسيمبورغ ١٩٥٨ م.

٦- هولندة ١٩٥٨ م.

٧- إيرلندة ١٩٧٣ م.

٨- المملكة المتَّحدة (بريطانية) ١٩٧٣م.

٩- الدِّينمارك ١٩٧٣ م.

١٠- اليونان ١٩٨١ م.

١١- إسبانية ١٩٨٦ م.

١٢- البرتغال ١٩٨٦ م.

١٣- السُّويد ١٩٩٥ م.

١٤- فنلندة ١٩٩٥ م.

---

(١) يمثِّل هذا التَّاريخ تطبيق اتِّفاقية رومة الموقَّعة في ٢٥/ ٣/ ١٩٥٧م، والَّتي طبِّقت في ١/ ١/ ١٩٥٨م، وهي (السُّوق الأُوربيَّة المشتركة).

١٥- النّمسة ١٩٩٥ م.

١٦- إستونية ٢٠٠٤ م.

١٧- بولندة ٢٠٠٤ م.

١٨- جمهوريّة التّشيك ٢٠٠٤ م.

١٩- الجمهوريّة السُّلوفاكيَّة ٢٠٠٤م.

٢٠- سلوفينية ٢٠٠٤ م.

٢١- قبرص ٢٠٠٤ م.

٢٢- لاتفية ٢٠٠٤ م.

٢٣- ليتوانية ٢٠٠٤ م.

٢٤- مالطة ٢٠٠٤ م.

٢٥- هنغارية ٢٠٠٤ م.

٢٦- رومانية ٢٠٠٧ م.

٢٧- بلغارية ٢٠٠٧ م[١].

المنظَّمات والأجهزة الإداريَّة: يعتمد الاتّحاد الأُوربّي في بنيته التَّنظيميَّة على ثلاثة أجهزة إداريَّة؛ تعرف بما يسمَّى المثلَّث الإداري، وهي:

١- مجلس الاتِّحاد الأُوربّي: ويعدُّ من أهمّ الأجهزة الإداريَّة في الاتِّحاد، على الرَّغم من تقليص صلاحيَّاته لصالح البرلمان الأُوربِّي، ويقوم بتمثيل مصالح الدُّول الأعضاء على المستوى الأُوربِّي.

---

(١) لم تنضم سويسرة والنَّروج وآيسلندة بعد، لأنَّها لا تجد فائدة اقتصاديَّة تذكر من الانضمام للاتِّحاد الأُوربِّي.

لمجلس الاتِّحاد صلاحيَّات واسعة ضمن المجالات المتعلِّقة بالرَّكيزة السِّياسيَّة الخارجيَّة المشتركة، والتَّعاون الأمني.

يتكوَّن المجلس من وزراء حكومات الدُّول الأعضاء، والَّذي يعقد اجتماعاته حسب الحاجة، في كلٍّ من بروكسيل ولوكسيمبورغ، أكثر الوزراء اجتماعاً هم وزراء الزِّراعة (حوالي أربع عشرة مرَّة في السَّنة)، والماليَّة والخارجيَّة الَّذين يجتمعون مرَّة في الشَّهر تقريباً.

يتمُّ التَّصويت في المجلس إمَّا بالإجماع أو بالغالبيَّة المؤهَّلة، وذلك حسب المجال الَّذي ينتمي إليه الموضوع المصوَّت عليه، تملك كلُّ دولة عضوة في المجلس عدداً من الأصوات يتناسب مع عدد سكانها، كما يتمُّ زيادة عدد الأصوات المخصَّص للدُّول الصَّغيرة، لخلق نوعٍ من التَّوازن مع الدُّول الكبيرة.

يبلغ عدد الأصوات الكلِّي ٣٢١ صوتاً موزَّعة على ٢٥ دولة، حيث يتطلَّب لنجاح التَّصويت بالأغلبيَّة المؤهَّلة إلى ٢٣٢ صوتاً، أي بنسبة تعادل ٧٢,٢٧٪ من الأصوات، كما يتطلَّب أيضاً موافقة أغلبيَّة الدُّول الأعضاء، وأن يشكِّل سكَّان هذه الدُّول الموافقة مجتمعة ما يعادل ٦٢٪ على الأقلِّ من سكَّان الاتِّحاد.

تتولَّى الدُّول الأعضاء الرِّئاسة بالتَّناوب لمدَّة ستة أشهر، وفقاً لنظام محدَّد سلفاً، من شهر كانون الثَّاني (يناير)، حتَّى شهر حزيران (يونيو)، ومن شهر تموز (يوليو)، حتّى شهر كانون الأوَّل (ديسمبر).

المفوَّضيَّة الأُوربيَّة: تهتمُّ المفوَّضيَّة الأُوربيَّة والَّتي مقرُّها بروكسيل بمصالح الاتِّحاد الأُوربِّي ككلٍّ، ممَّا يفرض على المفوَّضين الالتزام بذلك، بغضِّ النَّظر عن جنسيَّتهم والدُّول الَّتي ينتمون إليها.

تمتلك المفوَّضيَّة الأُوربيَّة صلاحيَّات واسعة في المجالات المتعلِّقة

بالقوانين، والإشراف على تنفيذها، بوصفها المسؤولة عن حماية الاتِّفاقيَّات المبرمة، كما تقوم بوضع الميزانيَّة العامَّة للاتِّحاد والإشراف على تنفيذها، بالإضافة لذلك تقوم المفوَّضيَّة بتمثيل الاتِّحاد في المفاوضات الدَّوليَّة، كما يحقُّ لها توقيع الاتِّفاقيَّات مع دول خارج الاتِّحاد، ولها صلاحيَّات واسعة في مسألة قبول أعضاء جدد في الاتِّحاد.

يتمُّ التَّصويت في المفوَّضيَّة على أساس الأغلبيَّة، حيث يحقُّ لكلِّ دولة عضوة في الاتِّحاد بموجب معاهدة (نيس) تَعْيين مفوَّض واحد.

البرلمان الأوربِّيُّ: يملك البرلمان الأوربِّيُّ بعض الصَّلاحيَّات التَّشريعيَّة، ويعدُّ الجهاز الرَّقابي والاستشاري في الاتِّحاد الأوربِّي، يراقب عمل المفوَّضيَّة الأوربيَّة ويوافق على أعضائها، ويشارك بوضع القوانين، ويصادق على الاتِّفاقيَّات الدَّوليَّة، وعلى انضمام أعضاء جدد، كما يملك صلاحيَّات واسعة فيما يتعلَّق بالميزانيَّة المشتركة للاتِّحاد الأوربِّي.

يقع مقرُّ البرلمان الأوربِّي في (ستراسبورغ)، لكنَّه يعمل أيضاً في بروكسيل ولوكسيمبورغ.

يتكوَّن البرلمان بموجب معاهدة (نيس) من ٧٣٢ مقعداً، موزَّعة على الدُّول الأعضاء بشكل يتناسب مع عدد سكَّانها، ويقوم مواطنو كلِّ دولة من الدُّول الأعضاء باختيار ممثِّليهم في البرلمان، ابتداء من عام ١٩٧٩م، عن طريق انتخابات مباشرة تتمُّ كلَّ خمس سنوات.

يفرض عدد المقاعد المحدَّد لكلِّ دولة على النُّوَّاب من الدُّول المختلفة التَّجمُّع ضمن تيَّارات حسب انتماءاتهم السِّياسيَّة الحزبيَّة، وهي: مجموعة الاشتراكيِّين، والدِّيمقراطيُّون المسيحيُّون، والدِّيمقراطيُّون الأحرار اللِّيبراليُّون، والدِّيمقراطيُّون الأوربيُّون، ومجموعة الخضر، ومجموعة اليسار الأوربِّي، والاتِّحاد الدِّيمقراطي الأوربِّي، واليمين الأوربِّي، وجماعات أُخرى (قوس قزح).

في عام ١٩٨٩م كان عدد النُّواب في البرلمان الأُوربِّي ٥١٨ نائباً، موزَّعين على الدُّول:

بريطانية ٨١، البرتغال ٢٤، هولندة ٢٥، لوكسيمبورغ ٦، إيطالية ٨١، إيرلندة ١٥، فرنسة ٨١، إسبانية ٦٠، اليونان ٢٤، ألمانية ٨١، الدِّينمارك ١٦، بلجيكة ٢٤.

وكانت حينئذ الأغلبيَّة المطلوبة لاتِّخاذ القرارات:

قوَّة الأصوات:

١٠ أصوات لكلٍّ من بريطانية وإيطالية وفرنسة وألمانية ١٠ × ٤= ٤٠.

٨ أصوات لإسبانية.

٥ أصوات لكلٍّ من هولندة وبلجيكة واليونان والبرتغال ٤ × ٥= ٢٠.

٣ أصوات لكلٍّ من إيرلندة والدِّينمارك ٢ × ٣= ٦.

وصوتان للكسيمبورغ، والمجموع: ٧٦ صوتاً.

والأغلبيَّة ٥٤ صوتاً من أصل ٧٦ صوتاً، وبذلك لا تستطيع بريطانية وإيطالية وفرنسة وألمانية - ولها ٤٠ صوتاً - أن تمرِّر قراراً وحدها، إلَّا إذا خطبت ودَّ الدُّول الَّتي لها أصوات أقلّ.

المجلس الأُوربِّي: وهو شيء، ومجلس الاتِّحاد الأُوربِّي، ومجلس أُوربَّة شيء آخر، فالمجلس الأُوربِّي اجتماع لرؤساء الدُّول والحكومات في الدُّول الأعضاء بالاتِّحاد الأُوربِّي، بالإضافة إلى رئيس المفوَّضيَّة الأُوربيَّة، يعقد الاجتماع من ٢ إلى ٣ مرَّات في العام؛ لاتِّخاذ القرارات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة الهامَّة، ورسم سياسة الاتِّحاد، وعادة ما يكون برئاسة الدَّولة الَّتي تترأس مجلس الاتِّحاد الأُوربِّي.

يتمُّ اتِّخاذ القرارات بالإجماع، ولا يعدُّ المجلس الأُوربِّي من الأجهزة الإداريَّة للاتِّحاد.

يمتدُّ الاتِّحاد الأوربِّي على مساحة ٣,٩٧٥,٠٠٠ كم٢.

أعلى قمَّة في الاتِّحاد قمَّة جبل (مون بلان) ٤٨٠٨م، وتقع بين فرنسة وإيطالية في جبال الألب.

أكبر بحيرة هي بحيرة (فينيرن) في السُّويد، وتبلغ مساحتها ٥٦٥٠ كم٢.

أطول نهر في الاتِّحاد نهر الدَّانوب، الَّذي ينبع من الغابة السَّوداء في ألمانية، ويجتاز النِّمسة، وهنغارية، والصِّرب، ورومانية، ليصبَّ في البحر الأسود، بطول ١٦٢٧كم.

عدد سكَّان الاتِّحاد عام ٢٠٠٧م تجاوز ٥٠٠ مليون نسمة بقليل.

جامعة الدُّول العربيَّة

بدأ النُّفوذ الأجنبي الاستعماري في الوطن العربي منذ القرن التَّاسع عشر، حيث احتلت فرنسة الجزائرَ عام ١٨٣٠م، ثم احتلَّت تونس والمغرب، واحتلَّت بريطانية مصرَ عام ١٨٨٢م، وعلى الرَّغم من وقوف الثَّورة العربيَّة الكبرى عام ١٩١٦م إلى جانب الحلفاء ضدَّ دول المحور (ألمانية وإيطالية) قبالة وعود بنيل الاستقلال، فإن الحلفاء نكثوا بوعودهم، فمع انتهاء الحرب العالميَّة الأُولى عام ١٩١٨م؛ انعقد مؤتمر الصُّلح في باريس عام ١٩١٩م، لتتبدَّد آمال العرب، حيث تقاسمت بريطانية وفرنسة الوطن العربي، فقامت ثورة ١٩١٩ في مصر، وقامت في سورية الثَّورة السُّوريَّة الكبرى ١٩٢٥م، وقامت في كلٍّ من فلسطين والعراق ثورة العشرين.

وأثناء الحرب العالميَّة الثَّانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) طُرِحت مشاريع للوحدة العربيَّة، منها مشروع نوري السَّعيد رئيس وزراء العراق، الَّذي عرض بنوداً منها:

١- توحيد بلاد الشَّام (سورية ولبنان وفلسطين والأُردن) في دولة واحدة.

٢- إنشاء جامعة عربيَّة تضمُّ العراق وسورية الطَّبيعيَّة، وأيُّ دولة عربيَّة أُخرى إذا شاءت ذلك.

٣- إنشاء مجلس دائم للجامعة، يتولّى شؤون الدِّفاع والخارجيَّة والنَّقد والمواصلات والجمارك وحماية حقوق الأقلِّيَّات.

رفضت بريطانية المشروع العراقي، وقالت: إنَّها تنظر بعين العطف إلى أيِّ حركة توحُّد للعرب اقتصاديّاً وثقافيّاً وسياسيّاً، وأيُّ مشروع لتوحُّدهم لابدَّ من أن يأتي من العرب أنفسهم.

بدأت حوارات عربيَّة دامت عامَيْن ١٩٤٣/ ١٩٤٤م في مدينة الإسكندريَّة، بمبادرة من مصطفى النَّحاس رئيس وزراء مصر، وتشكَّلت لجنة تحضيريَّة ضمَّت ممثِّلين عن كلٍّ من العراق وسورية ولبنان والسُّعوديَّة والأُردن واليمن، انتهت بإجماع أعضاء اللَّجنة التَّحضيريَّة في ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤م، وتمَّ تحرير مسوَّدة مشروع قيام (جامعة الدُّول العربيَّة) بتاريخ ٢٢/ ٣/ ١٩٤٥م، والَّذي أصبح ساري المفعول في ١١/ ٥/ ١٩٤٥م.

وحسب الميثاق، فإنَّ جامعة الدُّول العربيَّة منظَّمة تقوم على التَّعاون الاختياري أو التَّطوُّعي بين الدُّول العربيَّة الأعضاء فيها، على أساس المساواة واحترام استقلال الدُّول الأعضاء وسيادتها، **فالجامعة لا تملك سلطة إلزاميَّة على الأعضاء، بل هي أداة للتَّنسيق، ورابطة اختياريَّة لتحقيق التَّعاون على الأعضاء، بل هي أداة للتَّنسيق، ورابطة اختياريَّة لتحقيق التَّعاون ولَمِّ شمل، وهي منظَّمة بين الحكومات، وليس سلطة عليها**[1].

(١) إنَّها تحترم استقلال الدُّول الأعضاء وسيادتها، وليس فيها نصٌّ ملزم، أو نصٌّ يسعى للاتِّحاد أو الوحدة بخطوات مستقبليَّة. قارن بينها وبين الاتِّحاد الأُوربِّي!!

وتعدُّ جامعة الدُّول العربيَّة هيئة رسميَّة تمثِّل ٢٢ دولة أعضاء فيها، وهي:

اسم الدَّولة	تاريخ انضمامها
١- السُّعوديَّة (دولة مؤسِّسة)	٢٢/ ٣/ ١٩٤٥م
٢- مصر (دولة مؤسِّسة)	٢٢/ ٣/ ١٩٤٥م
٣- العراق (دولة مؤسِّسة)	٢٢/ ٣/ ١٩٤٥م
٤- سورية (دولة مؤسِّسة)	٢٢/ ٣/ ١٩٤٥م
٥- لبنان (دولة مؤسِّسة)	٢٢/ ٣/ ١٩٤٥م
٦- الأُردن (دولة مؤسِّسة)	٢٢/ ٣/ ١٩٤٥م
٧- اليمن (دولة مؤسِّسة)	٥/ ٥/ ١٩٤٥م
٨- ليبية	٢٨/ ٣/ ١٩٥٣م
٩- السُّودان	١٩/ ١/ ١٩٥٦م
١٠- المغرب	١/ ١٠/ ١٩٥٨م
١١- تونس	١/ ١٠/ ١٩٥٨م
١٢- الكويت	٢٠/ ٧/ ١٩٦١م
١٣- الجزائر	١٦/ ٨/ ١٩٦٢م
١٤- البحرين	١١/ ٩/ ١٩٧١م
١٥- قطر	١١/ ٩/ ١٩٧١م
١٦- عُمان	٢٩/ ٩/ ١٩٧١م
١٧- الإمارات العربيَّة المتَّحدة	٦/ ١٢/ ١٩٧١م
١٨- موريتانية	٢٦/ ١١/ ١٩٧٣م
١٩- الصُّومال	١٤/ ٢/ ١٩٧٤م
٢٠- فلسطين	٩/ ٩/ ١٩٧٦م
٢١- جيبوتي	٤/ ٩/ ١٩٧٧م
٢٢- جزر القمر	٢٠/ ١١/ ١٩٩٣م

أهداف جامعة الدُّول العربيَّة

١- المحافظة على السِّلم والأمن بين الدُّول الأعضاء.

٢- صون استقلال الدُّول الأعضاء وسيادتها، وتأمين مستقبلها.

٣- تنسيق الصِّلات بين الدُّول الأعضاء، وتنسيق خططها السِّياسيَّة.

٤- تحقيق العمل العربي المشترك في مختلف المجالات:

- الشُّؤون الاقتصاديَّة والماليَّة.
- الشُّؤون العسكريَّة.
- الشُّؤون القانونيَّة.
- شؤون المواصلات والإعلام.
- الشُّؤون الثَّقافيَّة.
- شؤون الجنسيَّة والجوازات والتَّأشيرات.

٥- تنسيق الدِّفاع عن الدُّول العربيَّة ضدَّ أيِّ خطر خارجي، وعدم اتِّباع سياسة خارجيَّة تضرُّ بسياسة الجامعة، أو بأحد أعضائها.

٦- النَّظر في مصالح البلدان العربيَّة الأُخرى، الَّتي لم يكن قد ظفرت بعد باستقلالها.

٧- النَّظر في مصالح المجتمع العربي بصورة عامَّة.

مبادئ جامعة الدُّول العربيَّة:

- مبدأ المساواة: إنَّ جميع أصوات دول الجامعة متساوية في مجلسها، فالدَّولة العربيَّة الَّتي عدد سكَّانها أقلّ من مليون نسمة، تتساوى مع الدَّولة العربيَّة الَّتي عدد سكَّانها عشرون أو ثلاثون أو أكثر من سبعين مليون نسمة!

- إنَّ رئاسة المجلس تتمُّ بالتَّناوب بين الدُّول الأعضاء.

- لكلِّ دولة الحقُّ في تعيِّين أمين مساعد من مواطنيها، يقوم كلٌّ واحد منهم بالإشراف على إحدى إدارات الأمانة العامَّة.

مبدأ السِّيادة

تقرِّر المادَّة السَّابعة من الميثاق أنَّ «ما يُقرِّره المجلس بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدُّول المشتركة في الجامعة، وما يقرِّره المجلس بالأغلبيَّة يكون ملزماً لمن يقبله»، ولهذا لا تلتزم الدُّول الأعضاء إلَّا بالقرارات الَّتي وافقت عليها، وتنفيذها يتمُّ وفقاً للنُّظم التَّشريعيَّة والقانونيَّة للدُّول الأعضاء.

وفي عام ١٩٧١م أصدر مجلس الجامعة قراراً يتضمَّن تطبيق قاعدة الإجماع على المسائل الَّتي تتعلَّق بسيادة الدُّول الأعضاء، أو بالمسائل المنصوص عليها صراحة في موادِّ الميثاق، علماً أن المواثيق العربيَّة اللَّاحقة خرجت عن شرط الإجماع، مثل معاهدة الدِّفاع المشترك، والوحدة الاقتصاديَّة العربيَّة.

وجاء في المادَّة الثَّامنة من الميثاق: احترام نظم الحكم القائمة في دول الجامعة، وعدُّه حقّاً من حقوق تلك الدُّول، والتَّعهُّد بعدم القيام بأيِّ عمل يرمي إلى تغيير نظم الدُّول الأُخرى.

وفي حال تعرُّض الدُّول الأعضاء للعدوان؛ فإنَّ النِّظام الَّذي وصفه ميثاق الجامعة لقمع العدوان يعدُّ نظاماً اختياريّاً، لا تستخدمه الجامعة العربيَّة إلَّا في حال موافقة الدُّول الَّتي وقع عليها العدوان، وهو نظام عام غير محدَّد، ولا يقدِّم تصوُّراً لمفهوم هذا العدوان، ولا للتَّدابير اللَّازمة لقمعه وردِّ المعتدي، وهكذا فهو نظام مشروط، لا ينطبق إلَّا بشرط إجماع الدُّول بالجامعة العربيَّة على استخدامه أساساً، فإن اعترضت دولة واحدة تعطَّل تنفيذه.

معاهدة الدِّفاع العربي المشترك والتَّعاون الاقتصادي:

خوَّلت هذه المعاهدة عام ١٩٥٠م الدُّول العربيَّة أو بعضها الحقَّ في المبادرة باتِّخاذ تدابير، بما في ذلك القوَّة المسلَّحة لقمع العدوان الَّذي تتعرَّض له إحدى الدُّول العربيَّة، ويكون التَّصويت بأغلبيَّة الثُّلثَيْن، وتكون القرارات ملزمة للجميع، وحدَّدت المعاهدة التَّدابير اللَّازم اتِّخاذُها لردِّ العدوان.

أمَّا بالنِّسبة إلى حلِّ النِّزاعات بالطُّرق السِّلميَّة فقد انعكس مبدأ السِّيادة بوضوح في موادِّ الميثاق المتعلِّقة بذلك، فبموجبها يحقُّ لمجلس الجامعة التَّوسُّط لتقريب وجهات النَّظر بين الأطراف المتنازعة، ولكن موافقة هذه الأطراف ضروريَّة لقبول قرارات الجامعة، وتصدر القرارات بالأغلبيَّة، وتحسب ضمنها أصوات الدُّول أطراف النِّزاع، وللدُّول المتنازعة رفض الحلِّ المقترح؛ لأنَّ المجلس يتدخَّل وسيطاً، وليس هيئة تحكيم، (كما في المادَّة الخامسة).

أين الخلل؟

تعدُّ جامعة الدُّول العربيَّة من أضخم المؤسَّسات الإقليميَّة في العالم؛ بعد المنظَّمة الدَّوليَّة (الأُمم المتَّحدة)، والاتِّحاد الأُوربِّي، لما تحتويه من منظَّمات متعدِّدة، واتِّحادات، ومجالس وزاريَّة مختلفة، لكنَّها للأسف الشَّديد جبل بنتائج فأر، حسب رأي الأمين العام الحالي للجامعة السَّيِّد عمرو موسى.

لماذا أخفقت جامعة الدُّول العربيَّة على المستويَيْنِ العربي والعالمي؟

لماذا لم ترقَ بأعمالها إلى مستوى حجمها؟

لماذا لا تستطيع أن تثبت وجودها في حلِّ القضايا العربيَّة؟

لماذا تظهر كجبلٍ جليديٍّ يبدأ في الذَّوبان حينما ترتفع درجة حرارة الأحداث هنا أو هناك؟

وما الكفيل بالنُّهوض والإصلاح لهذه الجامعة (العتيدة)؟

يجيب الدكتور جمال مظلوم - مستشار مركز الخليج للدِّراسات الاستراتيجيَّة - أثناء ندوة أُقيمت بالقاهرة، محورها الرَّئيسي: (تطوير دور فاعليَّة الجامعة العربيَّة) بالآتي:

١- إنَّ الجامعة العربيَّة انعكاس لإرادة أعضائها، الأمر الَّذي جعل منصب الأمين العام طوال الفترة الماضية منصباً شرفيّاً (دبلوماسيّاً) يخلو من أيِّ تأثير أو نفوذ حقيقي ملزم للدُّول العربيَّة وقضاياها.

٢- رفض الدُّول العربيَّة إعطاء الجامعة أيَّ سلطة، أو آليَّة ملزمة لحلِّ القضايا العربيَّة القائمة، محتجَّة بسيادتها وسلطتها واستقلالها.

٣- وبذلك تحوَّلت الجامعة إلى مؤسَّسة هرمة، لم تواكب التَّطوُّرات الَّتي شهدتها - وتشهدها - السَّاحة العالميَّة، وذلك نتيجة لميثاقها وهيكلها الإداريّ.

فعدم الالتزام بتنفيذ القرارات، حتَّى حينما تتَّخذ بالإجماع، فإنَّها تهمل، ناهيك عن عدم وفاء الدُّول الأعضاء بالتزاماتها الماليَّة تجاه الجامعة.

وقد ترشِّح الدُّول الأعضاء موظَّفين من أبنائها لشغل وظائف الجامعة دون خبرة وكفاءة، وإنَّما تختارهم وفق مصالح سياسيَّة أو شخصيَّة.

ويحقُّ للدُّول الأعضاء الانسحاب من الجامعة دون قيد أو شرط أو عقوبة، بموجب المادَّة ١٨ من ميثاقها.

هذا.. وأخفقت الجامعة في بلورة استراتيجيَّة شاملة لمواجهة العدو الصُّهيوني، ولو امتدت عشر أو عشرين سنة.

ولم تشر الجامعة في ميثاقها إلى موضوع القواعد العسكريَّة على أراضي الدُّول العربيَّة الأعضاء، وهل وجودها يمثِّل انتقاصاً للسِّيادة، أو مساساً بها.

ومن المؤسف تغييب أُسس ملزمة لفضِّ النِّزاعات بالطُّرق القانونيَّة، أو الأخويَّة، إذ ليس من المعقول تدويل القضايا العربيَّة، مع وجود الجامعة العربيَّة، كقضيَّة جزر حوار بين قطر والبحرين، وقضيَّة الصَّحراء بين الجزائر والمغرب، وقضيَّة العراق والكويت.

وأن تُغيَّب الجامعة عن مشكلتي دارفور، والصُّومال.

مقرُّ الجامعة العاصمة المصريَّة: القاهرة.

وتضمُّ دولاً تعداد سكَّانها عام ٢٠٠٧م: ٣٣٣ مليون نسمة.

ومساحة دول الجامعة الاثنتين والعشرين: ١٣,٥٨٥,٦٢٢كم٢.

أعلى قمَّة جبل في هذه المساحة، قمَّة جبل طُبقال ٤١٦٥م في المغرب.

وفي الوطن العربي أخفض بقعة على سطح الأرض، البحر الميِّت بين فلسطين والأُردن - ٣٩٥م.

وأطول نهر يعبر الوطن العربي: نهر النِّيل - أطول نهر في العالم ٦٦٩٥ كم - معظم هذا النَّهر في السُّودان ومصر، وتشكَّلت عليه في جنوب مصر، وشمالي السُّودان أكبر بحيرة مياه عذبة (بحيرة ناصر)[١] الَّتي تجمَّعت مياهها خلف السَّدِّ العالي[٢]، الَّذي بُدِئَ إنشاؤوه عام ١٩٦٠م، وتمَّ البناء عام ١٩٧١م.

* * *

(١) أكبر بحيرة اصطناعية في العالم، سعتها ١٣٠ مليار م٣، ومساحتها ٥,٠٠٠كم٢.

(٢) طوله ٥ كم، وعرضه ١٢٠٠ م عند القاع و ٣٢ م في أعلاه، وارتفاعه ١١٦ م.

خاتمة

الغَيْرة من الاتِّحاد الأُوربِّي ليست موجودة!

فكرة كمنويلث إسلامي، رسم فيها مالك بن نبي عليه رحمة الله؛ إطاراً يمنح البلاد الإسلاميَّة موقعاً على خريطة العالم المعاصر، يستمدُّ رسالته من وسطيَّة عقيدته، الَّتي تشهد بها على النَّاس جميعاً.

مالك بن نبي منذ أواخر الخمسينات من القرن الماضي، كان كتابة فكرة كمنويلث إسلامي[1] «إشارات في ضباب ذلك الزَّمن، تضيء سبل التَّطلُّع إلى غدٍ بانت معالمه اليوم، حين يُعاد رسم الخريطة السِّياسيَّة للشَّرق والغرب، فتبرز وحدة أُوربَّة كحقيقة ترتدُّ إلى عمق أُصولها، وترأب صدع (البيت الأُوربِّي) »[2].

ومالك رحمه الله رسم الخطوط العامَّة لفكرة (الكمنويلث) الإسلامي:

١- المبرِّرات الجغرافيَّة السِّياسيَّة: حيث تركَّزت التَّكتُّلات في عدد من مناطق العالم: السُّوفييتيَّة، الأمريكيَّة (تزعُّم حلف الأطلسي)، الصِّينيَّة، الهنديَّة، وهُمِّش المسلمون[3].

٢- مبرِّرات سيكولوجيَّة: يشارك المسلم بمصير العالَم؛ منسجماً مع

(١) طبع دار الفكر، دمشق، الطَّبعة الأخيرة ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع المذكور ٨.

(٣) نفسه ١٢.

التَّطوُّر العالمي، الَّذي لا زالت سرعته تتزايد، وهذه المشاركة العالميَّة للمسلم تخفِّف من تهويل القضيَّة في الضَّمير الإسلاميّ، ومن ثمَّ، فهي وسيلة فعَّالة للحدِّ من بعض النَّزعات المفرِّقة، (صفحة ١٢).

٣- مبرِّرات فنِّيَّة: التَّخطيط لمستقبل العالَم الإسلامي على قاعدة اتِّحاديَّة (كمنويلثيَّة)، (صفحة ١٣).

لا شكَّ أنَّ أُمَّة الإسلام أُمَّة واحدة في عقيدتها ومشاعرها وآمالها، ولكن نرى أن يكون لاتِّحاد هذه الأُمَّة العظيمة نواة، تبدأ بحلقة صغيرة، تسعى إلى الحلقة الأكبر فالأكبر، فاتِّحاد عربي خطوة أُولى ممكنة، خصوصاً وأنَّها كانت تشغل فكر النَّاس في الأربعينات والخمسينات وأوائل السِّتِّينات من القرن الماضي، يتحدَّث عنها الجميع، وتأمل الشُّعوب العربيَّة تحقيقها، ولكنَّها الآن مغيَّبة إلى حدٍّ بعيد، وهذا الكتيِّب مقارنة بين مراحل تأسيس وقيام الاتِّحاد الأُوربِّي، كيف بدأ خطواته وتحقَّق بثبات وجذور تحميه وتبقيه، وبين تأسيس جامعة الدُّول العربيَّة؛ وكيف نشأت بميثاق (مدروس) بعناية؛ ليُبْقي الدُّول العربيَّة على كياناتها مفكَّكة، ويحافظ بعناد على استقلالها، ولا يلزمها بشيء يسعى - ولو بعد حين - لوحدتها، فكان هذا الكتيِّب ليرى العربي اليوم كيف خطَّط الأُوربيُّون لاتِّحادهم ليبقى ويترسَّخ، وتسعى الشُّعوب الأُوربيَّة للانضواء تحت مظلَّته، وكيف خُطِّط لنا الفَشَلُ منذ البداية، نعيٌ للجامعة يوم ولادتها: «صَوْن استقلال الدُّول الأعضاء وسيادتها، وتأمين مستقبلها»، متفرِّقة، غير ملتزمة بشيء.

وهذه الصَّرخة هدفها: لئن غُيِّب الاتِّحاد العربي اليوم، كما غُيِّبت سوقه المشتركة، وتعقَّدت حركة الشُّعوب في انتقالها من دولة عربيَّة إلى أُخرى، فستبقى بذور هذا الاتِّحاد مع جينات العربي، فهو على يقين أنَّ عزَّته في توحيد كلمته، وبتكامله، ولا بدَّ - ولو في المدى البعيد في

قادمات السّنين - أن يرجع هذا الشُّعور قويّاً، يتحقَّق ولو بكمونويلث عربي ثابت الخطى، مدروس المبادئ، ملزم للأعضاء بصوت الأغلبيَّة، حدّاً أدنى.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٨/٤٦]، ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/٩٢].

والحمد لله ربِّ العالمين.

حرية الرأي

على الطريقة الغربية

هَل يَستَطِيعون إطفاءَ نُورِ القَمَرِ؟

يخطئُ من لا يعترف بحرِّيَّة الفكر، فحرِّيَّة الفكر مقدَّسة مُصانة، ولكن هذه الحقيقة لا تعني حرِّيَّة الشَّتم، فالشَّتم والتَّجريح والتَّشنيع والافتراء والكذب على النَّاس؛ لا يمثِّل حرِّيَّة فكريَّة مقدَّسة لا تُمَس، فمن يشتم؛ أيَّ فكرة يقدِّمها وكيف يُحْتَرَم ويُحَاوَر؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى: لماذا حرِّيَّة الفكر مقدَّسة مصانة محترمة حين التَّهجُّم على نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم، وهي مُغيَّبة ومسكوت عنها حينما يُقْتَرَب من اليهود وجرائمهم وأساطيرهم؟ فتصدر تُهَمُ باللاَّساميَّة، ويُساق إلى المحاكمة والسِّجن. لو شكَّ أحدهم بعدد مَنْ أُعدِم بأفران الغاز (الهيلوكوست) تحلُّ عليه مصيبة، ولو أنكرها كلِّيّاً فالمصيبة أعظم وأكبر.

لقد حُوكِمَ الكاتب والمفكِّر الفرنسي روجيه غارودي بسبب أفكاره الَّتي قدَّمها في كتابه: (الأساطير المؤسِّسة للسِّياسة الإسرائيليَّة)، ومنها شَكُّه برقم (ستَّة ملايين يهودي)، الَّذين تدَّعي الصُّهيونيَّة أَنَّهم أُبيدوا في الهيلوكوست.

وضمن توجُّه عدد من المفكِّرين الفرنسيِّين لإعادة دراسة تاريخ الحرب العالميَّة الثَّانية، وتحليله اعتماداً على وثائق معتمدة أُفرج عنها، قدَّم هنري روك أُطروحته للدكتوراه في جامعة نانت بتاريخ ١٥ آب ١٩٨٥م،

تحت عنوان: (اعترافات جيرشتاين)، ووجد البروفيسور جاك روجو صعوبة كبيرة في تشكيل هيئة تحكيم لمناقشة الأُطروحة، واضطر لنقل المناقشة وفق أكثر الشُّروط نظاميَّة، من جامعة باريس الرَّابعة - السُّوربون - إلى جامعة نانت، إذ حلَّ البروفيسور جان كلود ريفيير محلَّ جاك روجو، وفي نانت تمَّ تشكيل هيئة تحكيم، ضمَّت المُشْرِف والمقرِّر جان كلود ريفيير، كما ضمَّت مختصّاً في الشُّؤون الألمانيَّة، هو البروفيسور جان بول آلار، المدرِّس بجامعة ليون الثَّالثة، وأُستاذ تاريخ مختصّاً في التَّاريخ المعاصر، هو البرفيسور بيرزن، المدرِّس في جامعة ليون الثَّانية، وهكذا كانت هيئة التَّحكيم مؤلَّفة من ثلاثة أساتذة، ينتمون إلى جامعات مختلفة.

وجرى الدِّفاع عن الأُطروحة وفق القوانين المتَّبعة، ونال هنري روك الدُّكتوراه، وكتبت بعض الصُّحف تقول عنها: خطوة أُخرى نحو الحقيقة، لم يثبت وجود غرف نازيَّة للإِعدام بالغاز.

ولكنَّ اليهود في فرنسة بدؤوا بشنِّ حملة على هنري روك وأُطروحته، حتَّى شكَّكوا بقانونيَّتها، وببعض الشَّكليَّات، لعجزهم عن دحض مضمونها وتوثيقها، في حين وجد روك دعماً لأُطروحته من ميشيل دوبوار، وهو مؤرِّخ وعميد سابق لكلِّيَّة الآداب في جامعة كان، وكذلك من أُستاذ التَّاريخ اللاَّمع آلان دوكو عضو الأكاديمية الفرنسيَّة.. ومع هذا، تمَّ إِلغاء الدِّفاع عن الأُطروحة، لا الأُطروحة نفسها، وذلك نتيجة ما يُسَمَّى: (تحقيق إِداري)، أَجراه مدير أَكاديميَّة نانت، بحجَّة وجود مخالفات إِداريَّة في عمليَّة الدِّفاع.

واستمرَّت قضيَّة روك بالتَّفاقم على المستوى المحلِّي والدَّولي، ووجد روك الَّذي أُعلن دكتوراً من جامعة نانت من قبل هيئة تحكيم - لم يُلْغَ

قرارها - وجد نفسه محروماً من الشَّهادة الَّتي كانت جامعة نانت قد اقترحت أن ترسلها له برسالة مؤرَّخة في نيسان ١٩٨٦م.

والمهندس الأمريكي فِرِدْ لوشتر، الخبير والمستشار في مجال صنع منشآت الإعدام في السُّجون الأمريكيَّة، قدَّم تقريره الميداني شهادةً قضائيَّة أمام محكمة تورنتو الكنديَّة، الَّذي يثبت بصورة لا يرقى إليها الشَّكُّ أنَّ المباني القائمة في معسكر أُوشفينز لا يمكن بتاتاً أن تكون قد استُخْدِمَت محارق لليهود أو لغيرهم، بحجم الأرقام الَّتي تدَّعيها أجهزة الإعلام الصُّهيونيَّة، بل ولا حتَّى بِعُشْر هذه الأرقام.

ومن المدهش، أنَّه في ألمانية يوم ٢٨ تشرين الأوَّل ١٩٩٣م، استدعت شبكة التَّلفزة (ساتي SATI)، الَّتي مقرُّها في مدينة كولونية المهندس فِرِدْ لوشتر للحديث في أحد برامجها، بصفته خبيراً ومستشاراً في صنع منشآت الإعدام لدى إدارة السُّجون الأمريكيَّة، وقد جرى إيقاف لوشتر في استديوهات التِّلفاز نفسه، قبل بدء تسجيل البرنامج بنصف ساعة، وتمَّ نقله فوراً إلى سجن مدينة مانهايم، وفي اليوم التَّالي، قام قاضي التَّحقيق باور، بحضور ممثلي النِّيابة كلاين وهام، والمحامي فون فالد شتاين بإعلامه بأسباب توقيفه: لقد أُخذ عليه، أنَّه تكلَّم خلال اجتماع خاص، حضره حوالي ١٢٠ شخصاً تقريباً، قبل سنتَيْن من ذلك التَّاريخ، في أحد فنادق مدينة مانهايم، وشكَّك بأرقام ضحايا الهيلوكوست.

وقد تمَّ إطلاق سراح فِرِدْ لوشتر بكفالة يوم ٢/ ١٢/ ١٩٩٣م بعد أن قضى مدَّة تزيد عن شهر واحد رهن الاعتقال، وذلك لأنَّه فاه في ألمانية بأقوال تتطابق تماماً مع تلك الَّتي قدَّمها بوصفه خبيراً قضائياً أمام العدالة الكنديَّة.

وتابع التَّحقيق في القضيَّة في ربيع وصيف ١٩٩٤، لقد قام لوشتر بالتَّفوُّه بأقوال «من طبيعتها إيقاظ وإشعال المشاعر العاطفيَّة لليهود،

وإساءة لأرواح الأموات.. إلخ»، (حوليّات التّاريخ القابل لإعادة النّظر، العدد الخامس، صيف وخريف عام ١٩٨٨م، المؤسّسة النّاشرة E.U.R.L.، مديرها: جان دومينيك لاريو، تُرْجِمَت عام ١٩٩٥ في مركز الدِّراسات العسكريّة، فرع النّشر والتّرجمة).

فأين حرِّيَّة الرَّأي، والتّوثيق، والتّصويب.. فيما يتعلّق بأساطير اليهود؟!

لا نريد أن نتبنّى رفض الهيلوكوست، إنّما نريد أن نجعلها خاضعة للبحث العلمي، وألاّ يصادر الرّأي، ويُمنع الإنسان من مجرَّد التَّفكير بَلْهَ التّعبير.

أوَليس مستغرباً أن يقف الغرب بثقله ضدَّ من يفنِّد أساطير الصُّهيونيَّة، مثل روجيه غارودي، وهنري روك، وفْرِدْ لوشتر.. مع أنَّ أصحاب المصالح يبتزُّونه بتعويضات لم تنتَهِ بعد؟! فحرِّيَّة الرَّأي، وحرِّيَّة الفكر هنا مُغيَّبة ما دامت تمسُّ اليهود، فتهمة اللاّساميَّة جاهزة لتلصق بكلٍّ من يتفوَّه بكلمة نقد حول جرائم اليهود وأساطيرهم، فحينما قال الدُّكتور محضير محمَّد - رئيس وزراء ماليزية السَّابق - في ١٦ تشرين الأوَّل ٢٠٠٣م: اليهود فتنة منذ ألفي عام، واليوم يسيطرون على العالم - واتَّضح ذلك بسحب الملياردير اليهودي جورج شيروش أسهمه من السُّوق المالي في جنوب شرق آسية (دول النُّمور السِّت)، فانهارت عملاتها أكثر من ٣٠٪ - قالت الولايات المتَّحدة معلِّقة على قول الدكتور محضير محمَّد: كلام تافه بذيء، لا يستحقُّ إلاَّ الازدراء والسُّخرية، وقالت بلجيكة: تصريحات طائشة لاساميَّة، وقالت إيطالية مع الاتِّحاد الأُوربي مثل ذلك، واستدعت ألمانية القائم بالأعمال الماليزي في برلين للاحتجاج والتَّأنيب.

ورئيس جمهوريَّة إيران حينما أدلى برأيه عن الهيلوكوست، الَّذي له ما يُؤيِّده في كتابات الغربيِّين وكتبهم، وقف الغرب محامياً على الفور، فأين

حرِّيَّة الرَّأي؟ أَم هي: تكلَّموا بما نسمح، ولا تروا إلا ما نرى؟! ويوم الخميس ١٧/ ١١/ ٢٠٠٥م، السُّلطات النِّمساويَّة تعتقل المؤرِّخ البريطاني ديفيد إيرفينغ، بأمر من وزارة الدَّاخليَّة، بتهمة نكران المحرقة (الهيلوكوست)! وحكمت المحكمة عليه بالسجن ثلاث سنوات بتاريخ ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٦م

عقلاء القوم صنفان: صنف صامت خوفاً من سيف (اللاَّساميَّة)، وصنف تكلَّم فحوكم وسجن، وكبار مفكِّريهم الَّذين درسوا الإِسلام، وسيرة المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم، منهم من اعتنق الإِسلام، ومنهم من قال كلمات تشيد بالإِسلام ونبيِّه، وهذه نماذج منها:

* **وُل ديورانت يقول في** (قصَّة الحضارة ١٣/ ٤٧): «وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثرٍ في النَّاس، قلنا: إنَّ محمَّداً كان من أعظم عظماء التَّاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الرُّوحي والأخلاقي لشعبٍ ألقت به في دياجير الهمجيَّة حرارةُ الجوِّ، وجدب الصَّحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانِهِ أَيُّ مصلح آخر في التَّاريخ كلِّه».

* **وليم مور في كتابه** (The life of Muhammed P. 523)، يقول: لقد امتاز صلَّى الله عليه وسلَّم «بوضوح كلامه، ويُسْرِ دينه، وقد أتمَّ من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التَّاريخ مصلحاً أيقظ النُّفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير، كما فعل محمَّد».

* **الفنَّان الفرنسي ألفونس إيتان دينيه (ناصر الدِّين دينيه) يقول**: «لقد كان النَّبيُّ يعنى بنفسه عناية تامَّة، وقد عُرِف له نمطٌ من التَّأنُّق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذَّوق والجمال» (من كتابه: الحجُّ إلى بيت الله الحرام).

* **الفيلسوف الإنجليزي جورج برناردشو يقول**: «لقد درست محمَّداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أَنْ يُدْعى منقذ الإنسانيَّة»، (موسوعة مقدِّمات المناهج والعلوم ٨/ ٢٢١).

* **مايكل هارت الأمريكي**، جعل النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم، في كتابه: (المئة الأوائل)، أَوَّل هؤلاء المئة، وقال: «كان محمَّد الرَّجل الوحيد في التَّاريخ، الَّذي نجح في مهمَّته إلى أقصى حدٍّ، سواء على المستوى الدِّيني، أَم على المستوى الزَّمني».

* **وغوته شاعر أَلمانية الأَوَّل**، احتفل بخشوع بليلة القدر الَّتي أُنزل فيها القرآن الكريم على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وقال: إِن كان الإِسلام دين الاستسلام لشرع الله، فكلُّنا نحيا ونموت على الإِسلام.

والَّذين أَنصفوا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأَسلموا كُثُر لا يحصون، منهم: ليوبولد فايس (محمَّد أسد)، الدكتور جفري لانغ، كات ستيفنس، مطرب القارَّتَيْن (يوسف إسلام)، الدكتور مرادولفرد هوفمان، عبد الكريم جرمانوس، مالكوم إِكْس، اللُّورد الفاروق هيدلي، البروفيسور عبد الرَّشيد سكنر، روجيه (رجاء) غارودي، الدكتور موريس بوكاي، الدكتور غرينييه، اللورد دوغلاس (عادل) هاملتون، إِميلي براملت، ماري ويلدز، روبرت كراين (فاروق عبد الحق)..

تماثيل بوذا في أفغانستان مقدَّسة، لا يجوز المساس بها، إِنَّها تراث إِنساني عالمي.

ومنع الحجاب للطَّالبات المسلمات لا يتعارض مع حرِّيَّة الرَّأي، ولا حرِّيَّة المعتقد.

وتدنيس القرآن الكريم في معتقل غوانتانامو، وفي الأَرض المحتلَّة، أَمر لا شائبة فيه، مع أَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وجد في خيبر (في حِصْني

الوطيح والسُّلاَلم) صحائف متعدِّدة من التَّوراة، فجاء اليهود يطلبونها، فأمر صلَّى الله عليه وسلَّم بدفعها إليهم، يعترف بذلك المؤرِّخ اليهودي إسرائيل ولفنسون في كتابه: (تاريخ اليهود ببلاد العرب ١٧٠)، وهذا التَّسامح سبقه تسامح آخر، حينما ترك صلَّى الله عليه وسلَّم صحائف اليهود المقدَّسة، ولم يتعرَّض لها بسوء، وسمح لبني النَّضير بحمل صحفهم عند جلائهم عن المدينة المنوَّرة.

لقد حاولت قريش منذ بداية الدَّعوة إطفاء نور القمر، بالقضاء على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، حاولت قتله، وهُجِيَ، واتُّهم أنَّه ساحر كذَّاب مجنون. وفي الحروب الصَّليبيَّة سُمِّي صلَّى الله عليه وسلَّم (ماهوند: أي الشَّيطان)، واليهود منذ القديم عادَوه وحاولوا قتله، وأثاروا الحروب عليه، ولم يزده ذلك إلاَّ تألُّقاً ورفعة وشموخاً، ولم يمضِ يوم إلاَّ ويزداد الإسلام انتشاراً.

وبعد أحداث ١١ أيلول - الَّتي نستنكرها - يزداد الإسلام تألُّقاً واتِّباعاً، ممَّا أغاظ الغربيِّين، فقدَّمت أمريكة (الفرقان الحقّ)، بديلاً عن القرآن الصَّحيح المُنَزَّل، فما أُعير انتباهاً، وسخر النَّاس منه، وقدَّمت أُوربة الصُّور غير اللاَّئقة بحقِّ نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم، فعاد عليها ذلك بتوحُّد العالم الإسلامي على اختلاف مذاهبه، الَّذي مُسَّ بأجلِّ مقدَّساته، ونأمل أن تكون ردَّة الفعل حضاريَّة، ويكفي مقاطعة بضائعهم، والاحتجاج عند سفرائهم ودولهم، ونشر شمائل المصطفى بكتيِّبات ونشرات للاقتداء بها.

وليكن ما جرى من أمارات العودة إلى الإسلام الحقِّ، بسماحته ورحمته، واعترافه بالآخر، وحرِّيَّة الرَّأي، والفيصل حوار الحضارات لا صراعها، و «إنَّ الإسلام أَشدُّ ما يكون قوَّة، وأعظم ما يكون رسوخاً وشموخاً، حين تنزل بساحته الأزمات، وتحدق به الأخطار، ويقلُّ المساعد والنَّصير»، ولن يستطيعوا إطفاء نور القمر، ولن نقبل حرِّيَّة الرَّأي حين يُلْبِسونها ثياباً لم تفصَّل لها.

إلى كلِّ مسلم

إنَّ الرُّسوم السَّاخرة، التي نشرتها بعض الصُّحف الغربيَّة، تريد بها الإساءة إلى شخص الرَّسول ﷺ لم تدرك ابتداءً أنَّ ردَّة الفعل ستكون بهذا المستوى العالمي من القوَّة.

أمَّا شخص النبيِّ ﷺ فلم يستطع أحد من قبل أن ينال منه بالرَّغم من المواجهات التي لقيها في حياته، ولن ينال منه أحد بعد أن تولَّى الله تعالى عصمته:

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٥/ ٦٧].

و﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٧].

و﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ١٥/ ٩٥].

ولكن هذه الإساءة تلحق اليوم بالمسلمين أنفسهم؛ فقد استهان بهم أعداؤهم، واستطالوا عليهم بكلِّ ما يقدرون عليه من الوسائل..

فإذا لم يعودوا إلى الوعي الذي يطلبه دينهم منهم، وإذا لم يستفيدوا من الدُّروس التي تطالعهم يوماً بعد يوم، فإنَّ عدوهم سينال منهم ولن يتركهم يرتاحون.

وكأنَّ مسلمي اليوم لا يستفيدون من الدُّروس التي تنوشهم كل يوم، فمتى يفيقون ويعلمون أنَّ ما هم عليه من تفرُّق ومخالفات لن تزيدهم إلا خسرانا، وأنَّ العواطف الجامحة الهوجاء ليست شيئاً في ميزان التاريخ؟!

هذا في حين يجاهر أعداؤهم - الذين يهاجمونهم - بتقديس معتقداتهم على الملأ، فلا يعملون أيام أعيادهم، ولا يجتمعون لمحالفات ولا

لأعمال ولا لمؤتمرات احتراماً لعقيدتهم. ومع هذا فإنهم ينكرون على المسلمين أن يغضبوا لمحاولة النيل من نبيهم الذي يحبونه أكثر من حبهم لآبائهم وأبنائهم وأنفسهم.

دمشق ٧ المحرَّم الحرام ١٤٢٧ هـ
٥ شباط (فبراير) ٢٠٠٦ م



إنهم يكذبون ويعلمون أنهم يكذبون

تمهيد

هتفت بنت أَخي، وهي خريجة كلِّيَّة الآداب، قسم اللُّغة الإنكليزيّة، لتقول لي: يا عمَّاه، بالأمس قرأت بحثاً في أَحد مواقع الإنترنت، عنوانه: مفهوم (الله) عند المسلمين، سحبته ورقياً، وترجمته بدقَّة، وسأُرسل الترجمة إليك، لعلَّك تقدِّم توضيحاً، أو ردّاً مناسباً، لكي أُخاطب هذا الموقع للتَّصويب، فلعل كاتبه أخطأ سهواً وعن حُسْن نيَّة، أو عن جهل، فنصوِّب للموقع خطأه الفادح، خدمة لديننا من ناحية، وإظهاراً للحقيقة التي نعيشها من ناحية ثانية.

أَرسلت بنت أخي البحث مترجماً، وبعد قراءته كتبت لها توضيحاً، لترجمته وتقديمه لموقع الإنترنت الَّذي نشر البحث، وأعلمتني بعد أيَّام أنَّها ترجمت النَّصَّ، وحاولت مُلِحَّة أن يقبل الموقع الرَّدّ لنشره، فرفض بعنت وجلافة، وأُعْلِمَت: أن الموقع لا يقبل أيَّ تصويب، فقلت لها: مَن وراء هذا الموقع وأمثاله، يريدون تشويه الإسلام عن قصد، فوراءهم مهمَّة، وهم موظَّفون أمناء على تنفيذها، وهؤلاء يكذبون، ويعلمون أنهم يكذبون، فكيف يقبلون تصويباً بأدلَّة وتوثيق، يُفَوِّت عليهم ما أوقفوا أنفسهم له، أو ما وُظِّفوا من أجله؟!

إنَّهم يكذبون عن قصد وسوء نيَّة، ويعلمون أنهم يكذبون، والعالِمُ الحقُّ يرحِّب بأيِّ تصويب، ويشكر مقدِّمه بحرارة، ويعزوه إليه، لأنَّه يحترم نفسه، ويريد تقديم الحقيقة أوّلاً وآخراً.

وفي هذه الرِّسالة:

- خلاصة لما قدَّمه الموقع.

- ونقض لما قدَّم.

دمشق ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ
١٠ نيسان (أبريل) ٢٠٠٦م

* * *

افتراءاتٌ حولَ

مفهومِ (الله) عِنْدَ المُسْلِمِينَ

يعبد المسلمون القمر!

اطلعت على مقالةٍ تبحث في مفهوم (الله) عند المسلمين، خلاصتها:

(الله) إله وثني أكيد في ديانة المسلمين، «المسلمون كما هو ملاحظ، يعشقون ويكمّلون الوثنيَّة، وينقلون بشكل ناقص ومسيء للتَّاريخ»، ولم يُعْرَّف الله أبداً في القرآن، ويدَّعي كاتب المقالة، أن محمداً قال: أنتم آمنتم أن الله إله القمر هو أعظم إله، وذكرت المقالة: أنَّ الهلال موجود على قمَّة مآذن المسلمين وفي أعلامهم.

وفي نهاية المقالة حرفياً: «النتيجة: إنَّ الوثنيِّين العرب عبدوا إله القمر (الله) بالصَّلاة له عدَّة مرّات في اليوم، متَّجهين إلى مكَّة، ويحجون إلى مكَّة، ويركضون حول معبد إله القمر ويُدعى (الكعبة)، ويقبِّلون حجراً أسودَ، ويقتلون الحيوانات تضحية لإله القمر، ويرمون الحجارة على الشَّيطان، ويصومون ويفطرون عند بدء الهلال، ويعطون الفقراء صدقات.. إلخ، المسلمون يدَّعون أن (الله) الموجود في الإنجيل، وأنَّ الإسلام نشأ من الأنبياء والحواريِّين، وهو ادِّعاء مدحوض بالأدلّة التَّاريخيَّة، الإسلام لا يعدو كونه إحياء لعبادة إله القمر، وقد أخذ كلَّ الأمثلة والإشارات والاحتفالات، حتى اسم الله من الوثنيَّة القديمة، ويجب أن ينبذ من التَّوراة والإنجيل».

من بدهيّات الإسلام

وتشكّل خاتمة المقالة القصد والهدف، ورحت أفكّر: وهل تحتاج هذه المقالة المبنيّة كلُّها على فهم سقيم خاطئ إلى ردٍّ؟ ففي بدهيّات الإسلام كما هو في القرآن الكريم ما ينقض أُسس هذه المقالة من جذورها، ألا يكفي أن نقول: إنَّ الله في عقيدة المسلم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ٤٢/ ١١]، والقمر شيء، فالله ليس مثله أو هو، وأمرُ الله - كما جاء في القرآن الكريم - ألاّ نعبد القمر، فكيف يكون إله المسلمين؟ جاء في سورة فُصلت: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٤١/ ٣٧]، والأهلة كلمة وردت في القرآن الكريم مرَّة واحدة فقط في سورة البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ٢/ ١٨٩]، ولم يقل هي آلهة للنَّاس!.

ومع ذلك - مجاملة - نقول:

يقدِّم صاحب المقالة تعريفاً (لله) يعتقد سلامته، وأصحاب العقيدة - المسلمون - أنفسهم منذ ١٤٠٠ سنة، حتَّى يومنا هذا، لا يعتقدونَهُ مطلقاً، وهم أصحاب العقيدة، فهم الأحرى في تقديم عقيدتهم للنَّاس كما هي في قلوبهم وعقولهم، لا كما يقدِّمها إنسان من الخارج، لا يملك رصيداً علميّاً سليماً؛ بل يقيس نصوصاً من اليمن وبلاد الرافدين وبلاد الشام لا ندري سلامتها، لأنَّه لم يوثِّقها من مصادرها بشكل علمي أكاديمي، فللعزوِ أُصوله: ذِكر المؤلِّف، ثمَّ ذكر اسم الكتاب كاملاً، والصَّفحة والطَّبعة والدَّار النَّاشرة، والحقيقة التَّاريخيَّة تقول: ما عرف عرب الحجاز عبادة القمر مطلقاً، وعرفوا هُبَل واللاَّت والعُزّى ومَنَاة.. أي عرفوا عبادة الأوثان والأصنام ليس غير.

الإسلام حرب على الوثنية

ولم يُعْرَف دينٌ كالإسلام حارب عبادة الأوثان مثله، فكلُّ الذُّنوب قد تغفر، إلاَّ الإشراك بالله الذي هو – في الإسلام – قيُّوم السَّماوات والأرض، المهيمن الخالق البارئ.. لا إله إلاَّ هو، وهذا بتعريف القرآن الكريم الذي يدَّعي كاتب المقالة أن الله لم يُعَرَّف في القرآن أبداً، ويتساءل: لماذا؟ والجواب: لجهله بالقرآن، ولعدم اطّلاعه على ما فيه، فتعريف الله بالقرآن الكريم بمئات المواضع، ويكفي أن نذكّر بقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ٦/ ١٤].

وسورة فاطر رقمها ٣٥ تعني لغةً المبدع الموجِد من غير مثال سابق: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٥/ ١]، وفي نهاية سورة الحشر ٥٩، الآيات ٢٢ و٢٣، ٢٤ توضّح بجلاء مَن الله في القرآن الكريم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

وأسماء الله الحسنى في الإسلام ٩٩ اسماً وهي صفات لله، ليس فيها واحدة تدل على القمر، لا من قريب ولا من بعيد!!

وسورة الإخلاص رقمها ١١٢ تقول بوضوح دون لبس: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، فأين القمر أو الهلال؟

شعار الهلال

وما عُرِف شعار الهلال على مساجد المسلمين ومآذنهم زمن رسول الله ﷺ، ولا أيَّام الرَّاشدين، والأمويِّين والعباسيِّين، وعُرِف أيام العثمانيِّين الأتراك، وحينما اتَّخذت أوربة الصَّليب شعاراً لجمعية الصَّليب الأحمر، جعل العثمانيُّون - قُبالة ذلك - الهلال رمزاً على جمعية الهلال الأحمر الإنسانيَّة، ولم يقل مسلم واحد بوجوب وضع هلال على قبَّة المساجد والمآذن، فلو بنى إنسان مسجداً، ولم يضع عليه هلالاً، فالأمر طبيعي جداً، وسليم تماماً.

وكان الأحرى بالجهة النَّاشرة لهذه المقالة، إن ابتغت الصِّحَّة والمعلومة السَّليمة، والعلم والحقيقة أن تسأل مفكراً مسيحيّاً عن تصوّره لله، وأن تسأل موسويّاً عن تصور الموسويين لله، ومن العقل والواجب أن تسأل مسلماً عن عقيدته عن الله، فإجابته هي الحجَّة، لأنَّ صاحبها هو أولى النَّاس بتقديم عقيدته.

الله ربُّ العالمين

وبالمناسبة.... فرفض كاتب المقالة أن يكون مفهوم (الله) مأخوذاً من التَّوراة والإنجيل، رفض سليم، لأنَّ إله التَّوراة (يَهْوَه) لبني إسرائيل فقط، فهو إله قبيلة بعينها، وإله الإنجيل بشر هو يسوع، وهذا يرفضه القرآن الكريم أيضاً، ويخالفه، فإله المسلمين (الله) ربُّ العالمين، إله النَّاس جميعاً، ولا يماثل ما جاء عن (الله) في التَّوراة والإنجيل.

القمر أمِ الشمس؟

هذا... والهلال في الإسلام شأنه تحديد موعد بدء الأشهر القمريَّة فقط، فمواقيت العبادات منها ما يعتمد على الشَّمس كالصَّلوات، ومنها ما

يعتمد على بدء الأشهر القمريَّة كالصوم والحجِّ والأعياد، فلماذا لم تقل المقالة: لقد عبد المسلمون الشَّمس أيضاً لاعتمادها في مواقيت الصَّلوات، ففي القرآن الكريم: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإســـــراء: ١٧/٧٨]، ودُلُوك الشَّمس: عند أو بعد زوال الشَّمس عن وسطِ السَّماءِ إلى جهة المغرب؟

الحديث الشَّريف والقمر

ولم يذكر محمَّد ﷺ أيَّ تأليه أو تمجيد أو تقديس أو مكانة خاصَّة للقمر، بل كان إذا رأى الهلال يقول: ربِّي وربُّك الله لا إله إلاَّ هو، وهذا يجعل قول كاتب المقالة أنَّ محمداً قال: أنتم آمنتم أنَّ الله إله القمر أعظم إله، قول كاذب مُلَفَّق لا صحَّة له في أيِّ كتاب، ولا وجود له إطلاقاً إلاَّ في مخيِّلة الكاتب وأوهامه، أو دسِّه وافتراءاته.

وهناك مساجد لا أهلة عليها في العالم الإسلامي، مثل المسجد الأُموي بدمشق، ومسجد الملكة صَفِيَّة في القاهرة، مع أنَّه يعود بناؤه إلى الفترة العثمانيَّة، وعلى كثير من بُسُطِ المساجد، رسوم فيها أهلة، ودوائر كالقمر، يطؤها المسلم بقدميه دون حرج، ولو كان القمر إلهاً لما وضعت دائرة على أرض في بيت مسلم، أو في مسجده تعظيماً واحتراماً كي لا يمتهن.

موقف المسلم من مثل هذه الأكاذيب

يسخر المسلم من هذا الهُراء في المقالة المذكورة، ويقول: حينما أُصلِّي لا أُصلِّي لقمرٍ أو هلال، ولا يخطر لي على بال، بل أُصلِّي لله تعالى، خالِقِ السَّموات والأرض، مبدع الكون، خالق الإنسان، وأنا أبعد ما أكون عن الوثنيّة ورموزها، والقدماء عبدوا القمر، أي بشكل دائرة

تامَّة، ولم يعبدوا هلالاً، ولو عبد المسلمون القمر لرسموا دائرة تدلُّ على كماله في منزلة البدر، لا عند ظهوره هلالاً.

والمسلم حينما يقرأ مثل هذه المقالة، وما فيها من تعاريف ونتائج وأقوال مكذوبة ، يسخر ممَّن كتب دون علم، وتجعله يتمسَّك بعقيدته أكثر، لأنها تخالف ما يكتب جهلاء، ويخاطب نفسه: هكذا يفهمون الإسلام بشكل معاكس تماماً لحقائقه؟ وهذه المقالة تكفيه دليلاً، لأنّ في عقيدته لا مكانة للقمر أو للهلال، ولا لغيرهما من الآلهة القديمة التي جاء حرباً عليها، ولو صَحَّ ما يدعيه كاتب المقالة لجعل المسلمون فوق الكعبة هلالاً أو قمراً، وعلى جدرانها أهلَّة، لِتُذَكِّر بالإله المعبود، وهذا يقيناً ومشاهدةً غير موجود لا قديماً ولا حديثاً.

إنَّه الإسقاط

إنَّ هذه المقالة من نوع الإسقاط Projection، الَّذي هو حيلة لا شعوريَّة، ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة إلى غيره من الناس.. تنزيهاً لنفسه، وتخفُّفاً ممَّا يشعر به من القلق أو الخجل أو النَّقص... فالإسقاط عمليَّة نفسيّة نخلع بها تصوُّراتنا ورغائبنا وعواطفنا على الآخرين، وهذا ما يفعله أعداء الإسلام، ففي كتاب (العقائد الوثنية في الدِّيانة النَّصرانيَّة) لمحمد طاهر التَّنِّير، في (ص٣٠) فصل: التَّثليث عند الوثنيِّين، أي إن الإله ذو ثلاثة أقانيم في الهند: براهما وفشنو وسيفا، والبوذيُّون يعبدون إلهاً مثلَّث الأقانيم يسمُّونه (فو)، والمصريُّون القدماء عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم: جب، وفوت، ورع، والآشوريُّون والكلدانيُّون واليونان والرُّومان والفرس والفلنديُّون والإسكندنافيُّون، والهنود الحمر في أمريكة.. كلهم عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم، فهل هذا حسب منهج كاتب المقالة استدلال قطعي للقول: التَّثليث المسيحي الذي هو صلب العقيدة، نسخة طبق الأصل عن التثليث الوثني؟!؟

توصية

آمل أن تبقى المقالة المذكورة مكانها على الإنترنت، وأن نستنهض همم المسلمين على قراءتها تَنَدُّراً، وليسخر منها الطِّفل قبل الكبير، والجاهل قبل العالم، لأنَّها لا تحتاج إلى مفكِّر أو فيلسوف للرَّدِّ عليها، وأتمنى من غير المسلم المنصف أن يسأل مسلماً ما، مهما كانت ثقافته أو درجة تطبيقه لدينه: ما منزلة القمر أو الهلال في عقيدتك؟ وهل تعبد القمر؟ فهو يقيناً سيسخر من السُّؤال، وسينفي بداهة هذا الهُرَاء.

فما قيمة هذه المقالة إذن، الَّتي يخالف فيها كاتبها نصوص القرآن الكريم: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾، الَّذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؟

إنَّهم في هذا الموقع الموظَّف، يكذبون ويعلمون أنَّهم يكذبون، فما جدوى التّصويب لهم؟

إنَّه تصويب لمن ينصاع للحقِّ أولاً وآخراً.

يقول فردريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) في كتابه (عدو المسيح المقطع ٣٨) ما ينطبق على هذا الموقع وأمثاله من المبشِّرين:

«لا يخطئون فقط في كلِّ جملة يقولونها، بل يكذبون، أي إنَّهم لم يعودوا أحراراً في أن يكذبوا ببراءة وبسبب الجهل».



لا يا (قداسة) البابا

تمهيد

بسم الله، والحمد لله، وبعد...

فألقى قداسة البابا بِنديكتُس السَّادس عشر محاضرة في جنوب ألمانية، يوم الثَّلاثاء ١٢/٩/٢٠٠٦م، بجامعة ريغينسبورغ، هاجم بها الإسلام ونبيَّه بالاسم، وأهم ما جاء فيها:

- انتشر الإسلام بالسَّيف، وهو دين عنف.

- وما جاء به محمَّد لا يتقبَّله العقل، مستشهداً بنصٍّ قديم لإمبراطور بيزنطي (مانويل الثَّاني): لم يأت محمَّد إلاَّ بما هو سيئ.

أوَّلاً أقول: من حقِّنا الرَّدُّ ما دام هناك هجوم وافتراء، تناول أقدس ما نعتقد، ديناً ونبيّاً، ولكن نردُّ ردّاً حضارياً علميّاً، حجَّة تتلوها حجَّة، ونُدِينُ إحراقَ الكنائس، لأن الإسلام الذي هاجمه قداسة البابا لا يسمح بذلك.

ثانياً: حينما يستشهد محاضر بنصٍّ، يستشهد به إما لتأييد رأيه والبرهنة على سلامة فكره، وصواب ما يطرح، وإمَّا لنقض النصِّ وتفنيده، وإثبات زيفه، وهذا ما لم يقم به قداسة البابا، إذن يحسب عليه مادام لم يعلِّق.

وليته قدَّم أمثلة وشواهد تثبت ما قاله، فالاتهام يسير جدّاً، كلمات تُقَال، ولكن البرهنة على الادعاء والاتهام أمر مطلوب علميّاً، فالادعاء

يحتاج إلى دليل، خصوصاً وأنّه لم يذكر المحاور المسلم على الإمبراطور.

فالآراء الَّتي قدَّمها قداسة البابا جهل نربأ به عن عاميٍّ، فكيف بقداسته وهو يشغل مكانة رفيعة؟!

ولماذا لم يستشهد بنصوص أُخرى وثَّقت سماحة المسلمين الفاتحين، وعدالتهم وإنسانيتهم، وإصرارهم على الحرِّيَّة الدِّينيَّة لكلِّ الشُّعوب، جمعها السِّير توماس آرنولد في كتابه (الدَّعوة إلى الإسلام)؟.

وقبل تفنيد ما قاله قداسة البابا أذكِّره بقول الدكتورة آنَّا ماري شِمِل، زعيمة الاستشراق في بلده ألمانية: «الإسلام مثلٌ نمطيٌّ لتلك التَّأويلات الظَّالمة المشوِّهة»، (الإسلام كبديل، لمراد هوفمان، المقدِّمة).

وروجيه غارودي قال بدمشق حرفيّاً: «لم يدرس الغربُ الإسلامَ دراسة صحيحة، حتَّى في الجامعات الغربيَّة، وربما كان هذا مقصوداً مع الأسف».

وأقول: إنَّ أسفك - يا قداسة البابا - على ردود الفعل التي حدثت في العالم الإسلامي، في موعظتك يوم الأحد ١٧/٩/٢٠٠٦م، لا يعني الاعتذار المطلوب، فالاعتذار إنما يكون عمَّا قلته خطأً وافتراءً.

ووصمك النّاسَ أنَّهم أساؤوا فهم ما قلته، خطأ آخر يتَّهم الناس بسوء الفهم والجهل، خصوصاً أنَّ ماضيك لا يشفع لك، إنَّه يؤيِّد معاداتك للإسلام بتصريحات معروفة عن تركية والسُّوق الأُوربيَّة، ودعوتك عند تنصيبك للحوار مع اليهوديَّة، واليهود في العالم لا يزيدون على عشرين مليون نسمة، متجاهلاً الحوار مع مليار وثلاث مئة مليون مسلم!

فرعبك من (اللاّساميَّة) جعلك تطالب بفتح باب الحوار مع اليهوديَّة، وتغلقه مع الإسلام، بل وتهاجمه. وتهاجم نبيّه بالاسم، خصوصاً بعد الحرب الصَّليبيَّة التي أعلنها بوش الابن، واتِّهامه المسلمين بالفاشية.

وليتك قرأت يا قداسة البابا مرَّة واحدة وصيَّة أبي بكر الصِّدِّيق لجيش أُسامة بن زيد، التي جاء فيها: «لا تغدروا ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة.. ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلةٍ، وسوف تمرُّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له..» (الطبري ٣/ ٢٢٦، الكامل في التَّاريخ ٢/ ٢٢٧).

وليتك قرأتَ العهدة العمريَّة مرة واحدة، ونصُّها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء [القدس] من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملَّتها، أنَّه لا تُسْكن كنائسهم ولا تُهْدَم، ولا ينتقص منها ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يُكْرَهون على دينهم، ولا يُضَارَّ أحدٌ منهم.. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمَّة رسوله، وذمَّة الخلفاء، وذمَّة المسلمين» (الطَّبري ٣/ ٦٠٩، اليعقوبي ٢/ ١٦٧).

والحقوق العامَّة لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي من أهمِّها: حفظ النفس، فدم غير المسلم كدم المسلم، فالقانون الجنائي سوّى بينهما، مع حفظ الأعراض، جاء في (الدُّر المختار ٣/ ٢٧٣): «ويضمن المسلم قيمة خمره - خمر غير المسلم - وخنزيره إذا أتلفه»، ويقضي المسيحي في الأمور الشخصيَّة بحسب قانونه الشَّخصي، مع كامل حريَّة إقامة شعائره الدِّينية في كُنُسِهِ.. إلخ.

لذلك يا قداسة البابا اعْكِسْ تُصِبْ.

وإليك الدليل والتَّوثيق من كتبكم ومصادركم ومؤتمراتكم.

دمشق ٢رمضان المبارك ١٤٢٧هـ

الموافق ٢٤ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٦م

انتشر الإسلام بالسّيف

اعْكِسْ تُصِبْ يا قداسة البابا، فالفتوح شيء، وانتشار الإسلام شيء آخر، ولو فرض الإسلام بالسَّيف، لارتدَّت الشُّعوب بعد الانحسار العسكري عنها.

الإسقاط Projection عمليَّة نفسيَّة نخلع بها تصوُّراتنا ورغائبنا وعواطفنا، وما بنا من عارٍ ونقصٍ على الآخرين.

«رمتني بدائها وانسلَّت»، وهاكم الدَّليل:

جاء في إنجيل متّى ١٠/ ٣٤ على لسان السَّيِّد المسيح: «لا تظنُّوا أنِّي جئت لأُلقي سلاماً على الأرض، ما جئت لأُلقي سلاماً بل سيفاً».

وفي إنجيل لوقا ٢٢/ ٣٧ يقول السَّيِّد المسيح: «ومن ليس له سيفٌ فليبع ثوبه ويشترِ سيفاً».

وفي العهد القديم الَّذي تؤمن به: «فضرباً تضرب سكَّان تلك المدينة بحدِّ السَّيف وتحرمها بكلِّ ما فيها مع بهائمها بحد السيف» (التثنية ١٣/ ١٦)، وفي (التثنية ٢٠/ ٧٠) أيضاً: «وأمَّا من هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرَّبُّ إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما»، وفي (يشوع ٦/ ٢٢) قتل كل من في المدينة «من رجل وامرأة، من طفل وشيخ حتَّى البقر والغنم والحمير بحد السَّيف» وفي (إشعياء ١٣/ ١٦): «وكلُّ من انحاش يسقط بالسَّيف وتحطَّم أطفالهم أمام عيونه، وتُنهب بيوتهم وتُفضح نساؤهم».

وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/ ١٠٧] و﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠]، وهذه النُّصوص تفسِّر

لنا سبب نشوء حضارة سامقة أينما وصل الفتح الإسلامي، حيث الرَّفاه للجميع، وفتح المدارس والجامعات والمشافي، كما في الأندلس، وحوض النَّيجر، وما رواء النهر، وما وصل التَّنصير المرافق للاستعمار المسمَّى (الكشوف الجغرافية) إلا وانتشر به أعداء البشرية: الفقر والجهل والمرض، والهند ومصر وغرب إفريقية، وأمريكة اللاَّتينيَّة خير شاهد.

ثيودوسيوس الأوَّل، الإمبراطور الرُّوماني ٣٧٩-٣٩٥م أمر بتحطيم المعابد الوثنية، وحرَّم إقامة الشعائر القديمة.

شارلمان حارب السَّكسون ثلاثاً وثلاثين سنة بغاية العنف، وذروة الوحشيَّة، حتّى أخضعهم وحوَّلهم قسراً بالسيف إلى الديانة المسيحية على يد (القديس) ليودجر Liudger وويليهاد Willehad.

ونشر الملك كنوت Cnut المسيحية في الدِّنمارك بالقوة والإرهاب.

وفُرِضت المسيحية في روسية على يد جماعة اسمها: (إخوان السَّيف) Brehters of the Sword (الدعوة إلى الإسلام للسِّير توماس آرنولد ص٣٠).

وعلى يد فلاديمير دوق كييف (٩٨٥-١٠١٥م)، الذي يضرب به المثل في الوحشيَّة والعنف والشَّهوانيَّة.. والذي عُرِفَ بحمقه وطيشه أيضاً، تَمَّ تعميد أهل دوقية روسية كلِّهم مرَّة واحدة في مياهِ نهر الدنيبر (تاريخ أوربة في العصور الوسطى، فيشر، ص٤٠٧).

وفي النروج، أمر الملك أُولاف ترايجفيسون بذبح الذين أبوا الدُّخول في المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو بنفيهم وتشريدهم.

أما في أمريكة، فقد حلَّت حرب الإبادة - باسم الكنيسة - ضد الهنود الحمر، وقضي فعلاً على حضارة الأنتيل، والمايا، والآزتيك، والأنكا، ونحيل قداسة البابا إلى كتاب (فتح أمريكة - مسألة الآخر - لغرفيتان

تودوروف) ليعلم أن ثمانين مليون هندي أحمر حصدتهم البندقيَّة الأُوربيَّة باسم الكنيسة، ولقد نشرت مجلَّة Cuba International في عدد تموز سنة ١٩٧٢م تحت عنوان La History، وفي الصَّفحة ٦ صورةً لمبشِّر بيده صليب، وزعيم هندي أحمر اسمه هايتهاي مقيَّد إلى سارية، وقد غُطي حتَّى منتصفه بِحِزَم الحطب والقشِّ لحرقه، أما المبشِّر فرافع الصَّليب في وجهه يدعوه إلى المسيحية قبل إحراقه، ليدخل الجنَّة، فسأله الزعيم الهندي: وهل في الجنَّة إسبانيون مثلك؟ فأجابه الراهب: طبعاً: فما كان من الزعيم الهندي إلا قال: إذن، أنا لا أُريد أن أذهب إلى مكان أُصادف فيه أبناء هذه الأُمَّة المتوحِّشة!!

وهذا ما جرى أيضاً في أُسترالية حيث سُحِقَ شعب (الأبورجيين).

وفي عام ١٤٥٥م صدر مرسوم بابوي يقرِّر سيادة النَّصارى على الكفار، وأقرَّ هذا المرسوم استرقاق الزُّنوج في إفريقية والهنود الحمر في أمريكة، وبهذه النَّظرة، نظرة السَّيِّد للعبد، جرى قنص الأفارقة باسم المسيح، وتَمَّ نقلهم وبيعهم في أوربة وأمريكة، وعلى الرَّغم من تعميدهم وإدخالهم في المسيحية غصباً وإكراهاً، فإن عبوديتهم ظلَّت قائمة (الاستعمار والتنصير في إفريقية السَّوداء ص٤٩).

عشرات الملايين من الأفارقة قتلوا أثناء اصطيادهم، وملايين ماتوا في البواخر لتغيُّر المناخ وسوء التغذية، وأوَّل حملة إنكليزيَّة نقلت الألوف من الرقيق من غينية إلى المستعمرات الإسبانيَّة، كانت في سنة ١٥٦٢م، برئاسة النخَّاس الشهير (جون هوكنز)، وذلك أيّام الملكة إليزبيت الأولى ملكة إنكلترة، وحامية حمى المسيحيين، ومن السُّفن التي استعملها هذا النَّخَّاس لنقل الرقيق ثلاثة، اسم إحداها (سليمان)، والثانية (يسوع)، والثَّالثة (يوحنا المعمدان)، وفي تلك إشارة إلى أنَّ عملهم إذ ذاك عمل مبرور، (الهلال والصَّليب، ص١٣٨).

قال الدكتور فرانزغريس في كتابه (تبدُّد أوهام قسيس)، الذي طبع في بوينس آيرس (مطبعة دار الطِّباعة - الضِّياء): «إنَّ تاريخ الأمم النصرانيَّة، وأكثر من هذا، تاريخ الكنيسة بالذَّات، مضرج بالدِّماء وملطَّخ، ولربَّما أكثر تضرُّجاً ووحشيّة من أيّ شعب وثني آخر في العالم القديم».

وأُذَكِّر قداسة البابا بملحمة (سان بارتلمي) التي ذكرها غوستاف لوبون في كتابه (روح الثورات ص٤٤): مذبحة أمر بها سنة ١٥٧٢م شارل التَّاسع، وكاترينا دوميديسيس، حينما قتلت كاترينا خمسةً من زعماء البروتستانت في باريس، ظنَّت أنهم يأتمرون بها وبالملك، ولم يكد ينتشر الخبر في باريس، حتى شاع أنه شُرِع في قتل الخوارج - أي البروتستانت الذين خرجوا عن سلطة البابا الكاثوليكي - فانقضَّ أشراف الكاثوليك والحرس الملكي والنَّبَّالة والجمهور على البروتستانت، وقتلوا منهم ألفي نسمة، وقد قلَّد سكان الولايات الفرنسيَّة بعامل العدوى أهل باريس، فسفكوا دماء ستَّة إلى ثمانية آلاف نسمة.

ولم تنل حادثة السَّان بارتلمي أيَّام وقوعها شيئاً من الانتقاد في أُوربة الكاثوليكيَّة، وقد أوجبت حماساً يفوق الوصف، فكاد فيليب الثاني يصبح مجنوناً لشدة فرحة يوم بلغه وقوعها، وانهالت التَّهاني على ملك فرنسة أكثر من انهيالها عليه لونال نصراً عظيماً في ساحة الوغى.

وما بدا السُّرور على أحد كما بدا على البابا غريغوار الثالث عشر، فقد أمر بضرب أوسمة خاصَّة تخليداً لذكراها، رُسِمَت على هذه الأوسمة صورةُ غريغوار الثالث عشر، وبجانبه ملك يضرب بالسيف أعناق الخوارج، ثم هذه العبارة: «قُتِلَ الخوارج»، كما أمر بإيقاد نيران الفرح، وبضرب المدافع، وبتكليف الرسام فازاري أن يصوِّر على جدران الفاتيكان مناظرها.

ولن أتوسَّع هنا فأتحدث عن عطش أُوربة إلى الذَّهب، حيث أبحرت السُّفن الأوربيَّة تحمل إلى الشُّعوب الإفريقية والآسيوية والأمريكيَّة جماعة من الرُّهبان يبشِّرون بالعهد الجديد، ويعودون منها بكنوزها من الذَّهب والفضَّة والعاج والتَّوابل، وأمعن البابا مارتن الخامس في الكرم والسَّخاء، فأحلَّ من الأوزار والخطايا أرواح من يلقون حتفهم في تلك المغامرات (في طلب التوابل، سونيا ي.هاو، ص١٠٦)، معطياً الاستعمار طابع الحروب الصليبية الصريح.

فأيُّ دين انتشر بالسيف يا قداسة البابا؟

ما آثار الفتح الإسلامي، وما آثار الاستعمار الغربي حيثما حلَّ وإلى يومنا هذا؟

اعكس تصب يا قداسة البابا، وتذكر أنه في عام ١٩٩٢م، وبمناسبة مرور ٥٠٠ عام على اكتشاف أمريكة واستعمارها، زار سلفُكَ البابا جنوبها، فقوبل بمظاهرات دامية مندِّدة، وبتحطيم تماثيل قادة المستكشفين والقديسين، فلماذا؟

ما جاء به محمَّد

لا يتقبَّله العقل!

يا قداسة البابا..

مؤتمر كولورادو التَّبشيري، الّذي انعقد في ١٥ تشرين الأوَّل (أُكتوبر) ١٩٧٨م، تحت شعار (مؤتمر أمريكة الشماليَّة لتنصير المسلمين)، ممَّا قاله المؤتمرون:

- الحقائق العلميَّة صدمت المعتقد المسيحي.
- الإسلام هو أكثر النُّظم الدِّينيَّة المتناسقة اجتماعيّاً وسياسياً، مع البساطة والوضوح.

- وتساءل بعض المؤتمرين: كيف يمكن للعقل السَّليم أن يفهم الأقانيم الثَّلاثة واحداً في ثلاثة، والثلاثة في واحد؟

البابا يوحنا بولس الثاني، طالب الولايات المتحدة الأمريكيَّة بمنشور أصدره أواخر سنة ١٩٩٠م بدعمٍ مالي كي يضاعف التبشير جهوده «فالإسلام هو الدِّين الوحيد الذي يتحدَّى انتشار المسيحية، وهناك تزايد في الإقبال على الإسلام، وانحسار في المناطق المسيحيَّة في الشَّرق الأدنى وإفريقية، وهناك جسور للإسلام تتزايد في جنوبي أُوربة»(١).

فهل تساءلتم يا قداسة البابا، عن سبب إقبال النَّاس على الإسلام، وسبب انحسار المسيحيَّة في عصر التَّقدم العلمي ومخاطبة العقل؟

المكتبة المنطقيَّة في باريس (شارع فوجيرارد رقم ٤١/٦)، نشرت عدداً من الكتب الجليلة الفائدة العلميَّة، في أحد هذه الكتب المسمَّى: (مشكلة يسوع والمصادر النَّصرانية) لقس كاثوليكي، كان أُستاذ تاريخ الأديان في جامعة استراسبورغ، أعلن الفاتيكان حرمانه بتاريخ ٢ تموز ١٩٣٣م، لأنه شكَّ وارتاب في كتابات الفاتيكان عن ألوهيَّة المسيح، وعن وجوده أيضاً.

وهناك رأي هام في (دائرة المعارف الفرنسيّة ٥/١١٧) خلاصته: أنَّ المصادر المسيحيّة كلّها من عمل شاؤول (بولس)، أو من عمل أتباعه، وليست الأسماء الموضوعة عليها إلا أسماء مستعارة غير حقيقيّة.

وفي (العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة) للمرحوم محمد طاهر التَّنير، يكفينا مثال واحد، من أصل ستة وأربعين تطابقاً بين النُّصوص الهنديّة الوثنيَّة والأناجيل:

كرشنا هو المخلص، والفادي، والمغزِّي، والرَّاعي الصالح،

---

(١) The new york Times International, Wendesclay, jenuary 12, 1991.

والوسيط، وابن الله، والأُقنوم الثاني من الثّالوث المقدس، وهو الأب والابن والرُّوح القدُس.. إلخ.

ويسوع المسيح هو المخلّص، والفادي، والمغزّي، والرَّاعي الصالح، والوسيط، وابن الله، والأُقنوم الثاني من الثّالوث المقدس، وهو الأب والابن والرُّوح القدُس.. إلخ.

الأناجيل الأربعة المعتمدة من أصل أكثر من ثمانين إنجيلاً تمَّ تغييبها في مستودعات الفاتكيان لم يُمْلِها المسيح، ولم تتنزَّل عليه بوحي، ولكن كتبت من بعده، أوَّلها متَّى كتبها بعد سنة ٥٠م، لأنّه مات في الحبشة سنة ٧٠م، وإنجيل يوحنا في دائرة المعارف البريطانيّة اشترك في تأليفه عشرات، ولا مرية ولاشك أنه كتاب مزوّر.

وليس في هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة عبارة واحدة على لسان السيِّد المسيح تقول: أنا الله اعبدوني، وهنا يتساءل بعضهم: إذا كان عيسى بشراً فلم تعبدونه؟ وإذا كان إلهاً ففيم البكاء على آلامه؟

ونشرت مجلَّة (المجلة) في عددها ٧١٢، تاريخ ٣-٩/ ١٠/ ١٩٩٣م، ص٥٦، تحت عنوان: العثور على أناجيل كانت غير معروفة من قبل، الرواية القبطيّة تقول: إن المسيح لم يصلب، وإنّما صُلِبَ شبيه له، والأناجيل الجديدة تغيّر تاريخ السنوات الأولى.

عُثِرَ على هذه الأناجيل في نجع حمادي بصعيد مصر عام ١٩٤٥م، وترجمت اليونسكو النصوص عام ١٩٧٥م، ومما جاء بها حرفياً: يقول المخلص: إن الذي رأيته سعيداً يضحك هو يسوع الحي، لكن من يدخلُون المسامير في يديه وقدميه، فهو البديل، فقد وضعوا العار على الشَّبيه، انظر إليه وانظر إليَّ.

العقل مغيّب في المسيحية، والدليل:

دع عقلك وأقبل، دع عقلك واتبعني، أطع وأنت أعمى، آمن بهذا وإلا هلكت، الجهل رأس العبادة، والقذارة من الإيمان.. إلخ.

«لا تقل في قلبك كيف يمكن أن يتجسَّد الله ويصير إنساناً، فدع ذلك لأنّه من شأنه الخاص»، (أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح، أشرف على التحرير البروفيسور جون هِك، أُستاذ اللاهوت جامعة برمنجهام ص٩٠).

القس وهيب عطا الله يقول: إنَّ التجسُّد قضيَّة فيها تناقض مع العقل والمنطق والحسّ والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن مقبولاً (مقارنة الأديان - المسيحيَّة).

محاكم التفتيش من أصدر مرسومها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٤٧٨م، والتي هي لطخة عار في وجه الكنيسة لا تمحى؟

لقد شُكِّلت بمرسوم بابوي في إسبانية، ثم عمَّت أُوربة كلَّها، أصدرها البابا سيكستُس الرَّابع (١٤٧١-١٤٨٤م)، ولقد حكمت في مدة ثماني عشرة سنة، من سنة ١٤٨١م إلى سنة ١٤٩٩م على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء، فأُحرقوا، وعلى ستة آلاف وثمان مئة وستين بالشَّنق بعد التَّشهير، وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة بهم، فنفذت (الهلال والصليب ص٣٤).

حرية الفكر أصبحت جريمة يُعاقب عليها بمنتهى القسوة، وقصة جاليلو مع محاكم التفتيش مشهورة، قالت صحيفة الجارديان البريطانية في ٢٩/ ٦/ ١٩٨٣م: عقدت لجنة علميّة دينية في الفاتيكان برئاسة البابا جون بول الثاني لردّ اعتبار جاليلو، وتصحيح خطأ الكنيسة بشأنه، حينما قال: إنّ الأرض هي التي تدور حول الشّمس على خلاف ما ذُكِرَ في العهدين القديم والجديد.

أما تذكر ياقداسة البابا أن الكنيسة أحرقت مكتبة الإسكندرية بحجّة محاربة العلم القديم، الذي سمّوه آنذاك بالعلم الوثني؟

أما استصدرت الكنيسة حكماً بطرد من يتكلّم بالفلسفة، ويتحدث بآراء ابن رشد، مثل سيفر البابسوني الذي قُتِل في جامعة باريس، لأنه تحدّث عن ابن رشد؟

ومن رسم خريطة للجنّة والنّار، وباع صكوك الغفران؟

ففي الوقت الذي شهدت به أُوربة صراعاً بين العلم والدِّين برعاية الكنيسة، كان العالِمُ المسلم يتلقَّى وزن كتابه ذهباً، مكافأة لما أبدع، مع انتشار المكتبات العامّة والخاصة في كلِّ العالم الإسلامي.

أَنسي قداسة البابا - على سبيل المثال - فضل ابن خلدون في فلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ؟ أم نسي الشريف الإدريسي، وابن رشد، والرّازي، وابن سينا، وابن زُهر، وابن النفيس؟ أم تراه نسي جابر بن حيّان، وموسى بن شاكر وأولاده، وعبد الرحمن الخازن؟ أَنسي لوغارتمات الخوارزمي، وأبحاث الزُّرقالي التي اقتبس منها كوبرنيكس؟ أَنسي ابن الهيثم رائد علم البصريّات بلا منازع، وأبا المنهج العلمي؟

أَنسيت أُوربة كل هذا، في الوقت الذي كانت ترسم فيه المصورات لجهنم؟ وتمنع العلماء أن يقولوا بكرويَّة الأرض، فأيُّ عقيدة بحاجة إلى (عقلنة) الإسلام أم مسيحيّة شاؤول؟

مذنَّب هالي الذي ظهر سنة ١٦٨٢م، فاضطربت لظهوره أُوربة، لجؤوا إلى البابا إينوقنتيوس الحادي عشر، واستجاروا به، فأجارهم، وطرد المذنّب من الجوِّ، فولى في الفضاء مذعوراً من لعنة البابا، ولكنه عاد - ويعود - كلَّ ست وسبعين سنة.

فردريك نيتشه يقول عن رجال الكنيسة: «لا يخطئون فقط في كلِّ جملة

يقولونها، بل يكذبون، أي إنهم لم يعودوا أحراراً في أن يكذبوا ببراءة أو بسبب الجهل» (عدو المسيح، المقطع ٣٨).

لقد قرر المجلس الأدنى لمجمع كنتربوري بجلسة في شهر تموز (يوليو) عام ١٩١٧م، أنّ الكتاب المقدس ليس كلام الله صرفاً، ولكنه مشوب بالأقاصيص التي كانت تجري على ألسنة الناس، كما أن كثيراً من الحوادث الواردة فيه لا يقبلها العقل (ينابيع المسيحية ص٨٥).

شَهَادَاتٌ مُنْصِفَةٌ

كلمة قداسة البابا تكتب وتختار نصوصها بدقة، وتُراجع مرَّات ومرَّات، لقد انتقى مقولة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني، الّذي كان يعيش ألم ومرارة فشل الحروب الصَّليبيَّة على شرقنا العربي المسلم، فما تراه يقول؟

لقد تخيَّر وانتقى ما يناسب ويطابق ما في فكره وقلبه، متناسياً ومغفلاً مئات الشَّهادات المنصفة، لكبار الفلاسفة والمفكِّرين والمؤرخين، لأنها لا تناسب ما في نفسه، وتجلّى الجهل واضحاً حينما قال ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ فكرة كانت في بدايات الدَّعوة، ولكن بعد الغزوات والحروب والانتصارات أُلغيت، مع أنّ هذه الآية الكريمة (مدنيَّة) نزلت بعد غزوة أُحد وبني النضير، فأيُّ جهل وافتراء نراه ونسمعه؟

(جان دوانبورت) البريطاني، كتابه (اعتذار لمحمد والقرآن)، اعتذر فيه عن التَّصوُّرات والأحكام التي كانت شائعة في الغرب حول نبي الإسلام، والقرآن الكريم.

اللُّورد البريطاني (هِذْلي) يوضِّح: أن مدبِّجي وناسجي هذه الافتراءات حول الإسلام ونبيِّه لم يتعلَّموا حتّى أوّل مبادئ دينهم المسيحي، وإلا لما

استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروفاً لديهم أنها محض كذب واختلاق (المثل الأعلى في الأنبياء - المقدِّمة).

واعتذر (تولستوي) من رسول الله الذي نال إكباره، فكان جزاؤه على كلمة الحقِّ أن حرمه البابا من رحمة الله، قال (تولستوي) عن رسول الله ﷺ: يكفيه فخراً أنَّه فتح طريق الرُّقي والتَّقدُّم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أُوتي قوّة وحكمة وعلماً، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال.

المؤرِّخ الإسباني (سانسيت أُولبورنوت) يشهد قائلاً: «إنَّ الفتح العربي الإسلامي لإسبانية جلب إليها كلَّ خير» (تاريخ الأندلس، د. أحمد بدر).

وقال الرَّاهب (ميشو) في كتابه (رحلة دينيّة في الشّرق ص١٦٢): «ومن المؤسف ألا تقتبس الشُّعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوّة».

(غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) قال منصفاً: «فالحقُّ أنَّ الأُمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم»، وتمنّى لو انتصر المسلمون في بواتييه (بلاط الشهداء) لتنعم فرنسة بحضارة وعلوم كما نعمت إسبانية.

(فردريك نيتشه) الفيلسوف الألماني يقول عن فهم وبحث: «حارب الصَّليبيون شيئاً كان الأجدر بهم أن ينبطحوا بِذُلٍّ أمامه، حضارة يمكن لقرننا التّاسع عشر أن يعتقد أنه فقير جداً، ومتأخر جداً بالمقارنة معها» (عدو المسيح، الفقرة ٦٠)، «إنَّ تاريخ الكنيسة يحمل صفحات حمراء دامية في أمريكة وإفريقية وآسية وأُوربة»، (عدو المسيح الفقرة ٣٦)، ويقول (نيتشه) عن المبشِّرين ورجال الكهنوت المسيحيِّين: «لا يخطئون

فقط في كلِّ جملة يقولونها، بل يكذبون، أي إنهم لم يعودوا أحراراً في أن يكذبوا ببراءة، وبسبب الجهل» (عدو المسيح، الفقرة ٣٨).

استجار يوحنا ملك إنكلترة بسلطان الموحِّدين في المغرب محمد النّاصر أن يحميهُ من البابا، قُبالة جزية سنوية، وأن يعتنق وشعبه الإسلام ديناً له، ولكن محمد النّاصر رفض هذا العرض لأنّ أريحيّته أبت عليه استغلال الضائقة السياسية الإنكليزية لحملهم على اعتناق الإسلام، (المؤرخ الألماني يوسف أشباخ، في كتابه: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ٢/ ١٥٣).

مايكل هارت في كتابه (المئة الأوائل) في تاريخ البشرية، جعل محمداً أولهم بلا منافس، فهل هذا التخيُّر عن علم وبحث، أم عن جهل وتحيُّز، وهو المسيحي الذي لم يُسْلِم؟

شاعر ألمانية الأوّل (غوته)، كان يحتفل بليلة القدر، لنزول القرآن الكريم فيها، وكان يقول علناً: إن كان الإسلام يعني الاستسلام لله، فكلنا نحيا ونموت على الإسلام.

شهادات منصفة من كبار المفكرين كثيرة، مثل: رينيه جينو الذي أسلم لاعتصامه بنصٍّ مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنه القرآن الكريم، والدكتور غرينييه، وفانْسَان مونتيه، وكات استيفنس (يوسف إسلام مطرب القارتين)، وعبد الرشيد سكنر أستاذ علم النفس في جامعة برادفورد، صاحب كتاب (تكنولوجيا السُّلوك الإنساني) والدكتور مراد هوفمان سفير ألمانية السابق في المغرب، والدكتور موريس بوكاي صاحب كتاب دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة، والدكتور روبرت كراين (فاروق عبد الحق) مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون للشؤون الخارجيّة، ونائب مدير مجلس الأمن القومي في البيت

الأبيض، القائل: الإسلام هو الحلُّ الوحيد، فهو الذي يحملُ العدالة في مقاصد الشريعة.

وأختم هذه النماذج بـ(وِلْ ديُورانت) صاحب (قصة الحضارة)، الذي درس الحضارات والعقائد في القارات الخمس، من قبل الميلاد إلى منتصف القرن العشرين، ثم قال: «وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إنَّ محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجيّة حرارةُ الجوِّ، وجدبُ الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أيُّ مصلح آخر في التاريخ كلّه» (قصة الحضارة ١٣/ ٤٧).

فهل هذه الآراء صادرة عن دراسة وبحث، أم عن جهل وسطحيّة يا قداسة البابا؟

* * *

خاتمة

رمتني بدائها وانسلّت

يا قداسة البابا... من عرف الحقّ عزَّ عليه أن يراه مهضوماً، فكيف بمن رأى الباطل يُسْقِطُ ما فيه من فضائح على الحقِّ ظلماً وحقداً وتعصُّباً، والباطل على علم ويقين بأنَّه يفتري ويكذِّب، ويصمُ الآخرين بما فيه؟

يا قداسة البابا... ها هو ذا الكتيّب بين أيديكم عن طريق سعادة السَّفير البابوي بدمشق، وقد اعتمدت فيه التَّوثيق، ومعظمه من كتبكم ومن مفكِّريكم، فإن كان لكم رأي يخالف ما ورد فيه، فيمكن التَّصويب من أجل الوصول إلى الحقيقة:

- أيُّ دين انتشر بالسَّيف والإكراه والقسوة والعنف والدِّماء؟

- وأيُّ دين جاء بالشَّرِّ ولا يتقبَّله العقل، واصطدم مع حقائق العلم وأحرق العلماء؟ علماً أنك يا قداسة البابا تؤمن بالعهد القديم (التّوراة) حيث الله يتعب وينام ويصارع ويتألم..! وأُذكِّركم:

أنّ البابا سلفستر الثّاني (٩٩٩-١٠٠٣م) الذي كان من علماء عصره، وترجم إلى اللاَّتينيَّة كتباً عربية كثيرة، تلقى علومه في الأندلس، في قرطبة وإشبيلية.

والبابا بولس السَّادس الذي تولّى البابويّة عام ١٩٦٣م، ومات مسموماً عام ١٩٧٨م، أصدر وثيقة كانت بمنزلة اعتراف رسمي مسيحي بالدِّين

الإسلامي، جاء فيها: «إنَّ كلّ من آمن بعد اليوم بالله خالق السَّماوات والأرض، وربِّ إبراهيم وموسى، فهو ناجٍ عند الله، وداخل في سلامه، وفي مقدِّمتهم: المسلمون» وأوقف التَّبشير بالعالم الإسلامي، بعد أن اطلع على جزء مما جاء في لفائف البحر الميت (مغاور قمران)، حيث جاء في سفر إشعيا: «بعد المسيح، يأتي نبيٌّ عربيٌّ من بلاد فاران - بلاد إسماعيل، وفاران باللُّغة الآراميَّة هي بلاد الحجاز - وعلى اليهود أن يتَّبعوه، وعلامته أنَّه إن نجا من القتل، فإنَّه النبيُّ المنتظر، لأنَّه يفلت من السَّيف المسلول على رقبته، ويعود إليها بعد ذلك بعشرة آلاف قدِّيس».

وأُذكِّر بالآية الكريمة الصَّريحة الواضحة، وهي جزء من عقيدة كلِّ مسلم:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٦٠/٨-٩].

فالإسلام يمدُّ يده لمصافحة أتباع الأديان الأُخرى لتحقيق التّعاون على إقامة العدل، ونشر الأمن، وحفظ الدِّماء أن تُسفك، وحماية الحرمات أن تنتهك .

والإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه، أو مصادرة حقوقهم، أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم، لأنّ حريّة الاعتقاد مصانة، هذه عقيدتنا، ونحن أحقُّ من مانويل الثاني بالتَّعريف بها.

ولقد قام رسول الله ﷺ لجنازةٍ مرَّت أمامه، فقيل له: إنّه غير مسلم، فقال ﷺ: «أوَليس نفساً؟»، (رواه البخاري في الجنائز ١٣١٢)، ويقول ﷺ: «أنا شهيد أنّ العباد كلَّهم إخوة» (رواه ابن حنبل عن زيد بن أرقم).

يا قداسة البابا..

هذا ما يتناسب مع حجم هذا الكتيِّب، علماً أنني قدّمت ما أريد مفصلاً في كتبي:

الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشِّرين، وفي: الحوار دائماً وحوار مع مستشرق، وفي: الإسلام في قفص الاتِّهام، وفي: التسامح في الإسلام المبدأ والتطبيق..

وهناك كثير من التساؤلات، ولكن حجم الكتيِّب لا يسمح، منها: كلُّ مسيحي حاورته بالَّتي هي أحسن، كان يقول: أسرار، رموز أمر الثّالوث الأقدس، فوق عقولنا، سرٌّ لا يمكن شرحه عقلاً، وأودُّ طرح السُّؤال التَّالي، الذي سألته لعشرات، ولدور نشر مختصة بالكتاب المقدَّس: إنَّ الإصحاحات الأُولى في الأناجيل تنتهي وعمر السيد المسيح ١٢ سنة، ليبدأ الإصحاح الثاني في كلِّ الأناجيل المعترف بها، وعمره ٣٠ سنة، فما بين سنة ١٢، وسن ٣٠ لا يعرف أحد أين كان، وما هي سيرته، فالسِّنين الضَّائعة من حياة يسوع كيف نجيب عنها؟ وبماذا نفسِّرها، وهو الذي خُلق بمعجزة؟

علماً أننا وإن لم نتلقَّ إجابة، فإنَّ السَّيِّد المسيح يبقى عندنا من الأنبياء أُولي العزم، وأُمَّه طاهرة بتول صدِّيقة.

وأرجو ألاَّ أُلام على ما قدَّمت، فاللّوم يقع على من بدأ الهجوم بلا علم، فخالف الحقيقة، وأسقط ما فيه، أو ما عنده علينا.



الفرقان الحق

تمهيد

وراء الأَكمة ما وراءها

(صوت العروبة) صحيفة تصدر في الولايات المتَّحدة، رئيس تحريرها الأُستاذ وليد رباح، تحدَّث في عدد الصَّحيفة الصَّادر يوم الإثنين ٥ نيسان (إبريل) ٢٠٠٤م، الموافق ١٥ صفر ١٤٢٥ هـ عن الإِفك المفترى، تحت عنوان: (صوتُ العروبةِ تكتشفُ القرآنَ الجديد)، وروى حادثةً معبِّرة ذات دِلالة، حدثت بينه وبين أَحد القساوسة المبشِّرين بذلك الإفك المفترى.

قال: قبل أشهر، اتَّصل بي أمريكيٌّ يتحدَّث اللُّغة بلهجة تكساس، وقال: أنا القسِّيس (إِيلياهو)، أُريد مقابلتك على وجه السُّرعة، قلت: يا سيِّدي القسِّيس: كيف تكون قِسّاً واسمك إيلياهو؟ لو قلت لي: اسمي جورج أو ديفيد أَو سام لصدَّقتك! قال بعد أن سمعتُ ضحكته العالية على الهاتف: إنَّ معي هديّة ثمينة لك، قلت: على أيَّة حال أنا على استعداد للقائك، لكن أين؟ ومتى؟ قال: في جريدة (صوت العروبة)، قلت: أتعرف المكان؟ قال: أَحفظه عن ظهر قلب، قلت له: تفضَّل.

وذهبت فوراً إلى طاقم الجريدة في قاعة التَّحرير، ونقلت لهم مضمون ما حدث، وطلبت إليهم أَن يكونوا على أُهبة الاستعداد لحمايتي إن حدث مكروه.

ويبدو أنّ الرَّجل كان يتحدث إليَّ من هاتفه المحمول، فما هي إلاَّ دقائق حتَّى رأيت رجلاً طويل القامة، أشقر الشَّعر، يرتدي بدلة منمَّقة، وربطة عنق جميلة، ويحمل في يمناه (شنطة) من نوع (سامسونايت)، وقال لي بلغة مكسَّرة ممطوطة: «شلام العليكم»، قلت: وعليك السَّلام، تفضَّل اجلس.

قال: لا أُريد أن آخذ من وقتك كثيراً، ثمَّ فتح حقيبة يده، وأخرج منها شيئاً ملفوفاً بورق فضيٍّ لامع، وقال: هذه هديَّتي لك، قلت له مازحاً: أمتأكِّد أنت أنَّها ليست قنبلة، فأنا أعرف عادتكم تماماً؟ ضحك وقال: بل هي حياة جديدة أعرضها عليك، وقام بفضِّ الورق الفضِّي، وقدَّم لي كتاباً، قرأتُ عنوانه بالعربيَّة: (الفرقان الحقّ)، ثمَّ تركته يتحدَّث على سجيَّته.

غاص في الاقتصاد والسِّياسة والمال والأعمال، والحياة الجديدة الَّتي سوف أعيشها، مدَّة تزيد على نصف ساعة دون أن أُقاطعه، كنت أهزُّ رأسي موافقاً على ما يقول، لكنَّني أقول الحقَّ: إنَّني مللت من حديثه، فقلت له كلمةً واحدة: كم؟ قال: ماذا تعني؟ قلت له: كم؟ ضحك، وقال: أقصاه واحد، قلت له: اجعله اثنين، قال: فليكن، قلت له: وما المقصود بواحد أو اثنين؟ قال: مليون أو مليونان! قلت: وما شَرْطُك؟ قال: أن يُنْشَر هذا الكتاب على حلقات في (صوت العروبة)، بشرط أن تُضَاعَفَ الطِّباعة مرَّات عَشْراً على الأقلِّ!! قلت: نحن جريدة صغيرة متواضعة، لماذا لا تذهب إلى الجرائد المشهورة، الَّتي تنتشر في طول العالم وعرضه؟! قال: نحن لا نريد إلاَّ الجالية المسلمة في أمريكة، ونحن نعرف أنَّ (صوت العروبة) تقرؤها الجالية العربيَّة والإسلاميَّة، نحن لا نريد أكثر من هذا.

ورأى الرَّجل تململي من جلسته، فقال: لقد أخذت من وقتك كثيراً، سوف أتَّصلُ بك لاحقاً لتعلن لي موافقتك، وتحدِّد لي تاريخ النَّشر،

قلت: دعني أقرأ الكتاب أوّلاً، قال: خذ ما شئت من الوقت، أمَّا إن كنت بحاجة سريعة للدّعم، فإنّي مستعد منذ اللّحظة، قلت: لا، اترك هذا الأمر إلى مقابلةٍ أخرى.

وفي الأُسبوع الّذي تلا، قابلت الشّيخ الفاضل الدكتور محمد القَطّناني، إمام مسجد باسيك، بمدينة باترسون، فقلت له الأمر دون تفصيلات، فلم يملك إلاّ أن ضحك ولم يجبني بكلمة واحدة، إلاّ أنّني قرأتُ في ملامح رَدّه السَّريع، وكأنّه يردِّد قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ١٥/٩].

أُسبوعان مرّا، رنَّ جرس الهاتف معلناً صوت (إيلياهو)، وقال: ها.. ماذا قلتَ يا سيِّدي؟ قلتُ على الفور: موافق بشرط واحد.

وصدِّقوني أنّي من خلال أسلاك الهاتف شعرتُ بالفرحة الطّاغية تكتنف الرَّجل، وقال: شرطك مقبول دون مناقشة، قلت: ألا تعرف الشَّرط أوّلاً؟! قال: ما دمت قد وافقت على النَّشر فتلك غايتي، أمَّا شروطك فكلُّها مُجابة.

قلت: أشترط أن تكون هناك مناظرة، بينك وبين أيِّ شيخ تختاره أنت، من الجالية العربيَّة المقيمة في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وسأُؤمِّن لك شروط هذه المناظرة، وسأنشرها قبل نشر كتابك.

سكتَ فجأة ثوانيَ خِلْتُها دهراً، قبل أن يأتيني جوابه: دعني أُفكِّر بالأمر، قلت له: الأمر لا يحتاج إلى تفكير.

قال: أنت تفكِّر بطريقة لا نستطيع معها التَّفاهم، ومع هذا فإنّي سأتَّصل بك لاحقاً، ثمَّ أقفل الخطّ في وجهي.

ومنذ ذلك اليوم وأنا أنتظر إجابة (إيلياهو) على العرض الّذي قدَّمْتُه له، لكنَّ ذلك اليوم لن يأتي.

فمن مؤلِّف (الفرقان الحقّ)؟ وما مضمونه؟

مُسَيْلمةُ: أَنيس شورّوس

وُصِفَ (الفرقان الحق) بما يلي:

إِنَّه كتاب يصطنع رسم القرآن الكريم، ويحاول أن يترسَّم خطا أساليبه، يتضمَّن كلُّ موضوع - وسُمِّي سورة - عدداً من المقاطع، أو الجُمَل المرقَّمة، وتقلُّ فيه بعض (السُّور) إلى ستَّة مقاطع، وتزيد في مقاطع أخرى على ثلاثين مقطعاً.

وُقِّعت المقدِّمة باسم اللَّجنة المشرفة على التَّدوين والتَّرجمة والنَّشر، وبتوقيع (الصَّفيّ.. والمهديّ)، وقُدِّم (الفرقان الحقُّ) على أنَّه وحيٌ جاء مصدِّقاً لما في الإنجيل: «ولقد أنزلنا الفرقان الحقَّ وحياً، وألقيناه نوراً في قلب صفيِّنا ليبلِّغه قولاً معجزاً بلسان عربي مبين، مصدِّقاً لما بين يديه من الإِنجيل الحقِّ صُنْواً فاروقاً محقّاً للحقِّ، ومزهقاً للباطل، وبشيراً ونذيراً للكافرين»، (سورة التَّنزيل ٥، ٤).

فمتى نزل هذا الوحي المزعوم؟ وفي أَيِّ مكان؟ وعلى مَنْ أُنزل؟ ومن هو الصَّفيُّ والمهديُّ؟

لم يصرِّح المؤلِّف، مسيلمة عصر العولمة باسمه أَوَّلاً، فهو نبيٌّ - بادِّعائه - مكتوم، واكتفى بالصَّفيِّ والمهديِّ، ثمَّ صرَّح باسمه في موقع أَمازون: أَنيس شورّوس، وأَنَّه مؤلِّف (الفرقان الحقّ).

أَنيس شورّوس (أو سورّوس):

يدَّعي أَنَّه من مواليد النَّاصرة في فلسطين، البلدة الَّتي عاش فيها السَّيِّد المسيح عليه السَّلام، درس في الأُردن، وتابع دراسته بجامعة ميسيسيبي،

ودرس في جامعة: New Orleans Baptist Theological Seminary، وحصل على الدكتوراه من جامعة: America Institute of Ministry Dayton Tennessee

وجامعة: Seminary Luther Rice International

عمل شوروس بعدها في الأرض المحتلَّة مع اليهود، وأقام على عمله في كنيسة أُورشليم بابتس Jerusalem Baptist في القدس المحتلَّة، من سنة ١٩٥٩م، حتى سنة ١٩٦٦م.

وأُرسل منصِّراً في عدد من البلدان والمدن الإفريقيَّة، منها: كينية، وجمهوريَّة جنوب إفريقية[١]، وذلك في التِّسعينات من القرن الماضي، وفي سنة ١٩٩٥م عمل في نيوزيلندة، ثمَّ انتقل إلى إنكلترة، ثم إلى البرتغال.

وفي عام ١٩٨٠م ناظر شوروس الشَّيخَ أحمد حسين ديدات في لندن، وحضر المناظرة أكثر من خمسة آلاف شخص، وكان محور المناظرة: هل عيسى إله؟ تكلَّم شوروس خمسين دقيقة، ثمَّ تكلَّم الشَّيخ ديدات خمسين دقيقة، ثمَّ عقَّب شوروس على ما قاله الشَّيخ ديدات بعشر دقائق، ثمَّ علَّق الشَّيخ ديدات على ما قاله شوروس بعشر دقائق، وممَّا قاله الشَّيخ ديدات لشوروس: أتحدَّاك أمام هذا الجمهور أن تقدِّم شاهداً واحداً، أو جملة واحدة من الأناجيل الأربعة، تقول على لسان السَّيِّد المسيح: أنا الله فاعبدوني، وبدل الإجابة، راح شوروس يرتِّل بصوت مرتفع أوراداً له لا علاقة لها بسؤال الشَّيخ ديدات، فارتفع التَّكبير في القاعة، وارتفع أعلى وأعلى حينما تدخَّل رجلٌ مُسِنٌّ، حواجبه بيضاء، وذكر جملة، فقال له

---

(١) في ثلاث من مدنها: دوربان، وكيب تاون، وجوهانسبورغ.

الشَّيخ ديدات: هذه ليست من الأَناجيل الأَربعة، إِنَّها في إحدى رسائل بولس، فهي قطعاً من بعد السَّيِّد المسيح[١].

ثمَّ ناظره الشَّيخ ديدات ثانية في مدينة برمنجهام، شمال غرب لندن، وكان موضوع المناظرة: القرآن والإنجيل، أَيُّهما كلام الله؟ وحضر هذه المناظرة اثنا عشر أَلف شخص، أَوضح فيها الشَّيخ ديدات أَنَّ الأَناجيل الَّتي بين أَيدينا، هي سيرة السَّيِّد المسيح عليه السَّلام، كتبت بعد رفعه.

أَلَّف شوروس بعد هاتين المناظرتَيْن كتاباً عنوانه:

Islam Revealed: A Christian Arabic's View of Islam كشف الإسلام: رؤية عربيَّة مسيحيَّة، هاجم فيها الإسلام، ووصمه بالإرهاب[٢]، وذكر فيه مناظرته مع الشيخ ديدات، دون أَن يقدِّر أَنَّ التَّسجيل متوافر، والكذب مفضوح، وبطولاته خيال وأوهام، وراح يتَّهم الإِسلام بحقدٍ يغطِّي به فشله المسجَّل بالصَّوت والصُّورة، أَمام الشَّيخ ديدات، وضمَّنه آراء -عقائد- ادَّعى أَنَّها من الإسلام، والمسلم والإسلام منها براء، افتراءات تنطلي على ضحل الثَّقافة، وقليل العلم، ليخرج بنتيجة هي الهدف، مفادها: لما سبق، لابدَّ للمسلمين أن يستبدلوا بالقرآن قرآنه الَّذي أَلَّفه وسمَّاه (الفرقان الحقُّ)، وقال عن قرآنه هذا: قرآني أَجود، كتبته باللُّغة العربيَّة الجيِّدة، وتُرْجِم إلى اللُّغة الإنكليزيَّة الجيدة.

واتَّهم شوروس الرَّسولَ الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ له علاقة مع الشَّيطان (هكذا!) وأنَّ المسلمين عشّاق قتال، واقترح على الحكومة الأَمريكيَّة أن تطرد كلَّ المسلمين من أَمريكة، لمنع الإرهابيِّين من الدُّخول إلى هذا البلد، وزاد في اقتراحه أن المسلمين بعد طردهم من أمريكة إلى

(١) وشاهدت ذلك بنفسي على شريط فيديو.

(٢) وصم الإسلام بالإرهاب رُدَّ عليه ضمن هذه السِّلسلة من الكتيبات، تحت عنوان: جرائم بحقِّ البشريَّة من يحاسب مقترفيها؟ وبكتيِّب: التَّفرُّد بالقرار.

الشَّرق الأَوسط، يجب تفجير المنطقة كلِّها بالقنابل النَّوويَّة، وقال في محاضرة له في جامعة هيوستون: أنا واحد من آلاف النَّصارى الَّذين يدعون في كلِّ ليلة سبت أن يسقط الإسلام.

نشر شوروس، مسيلمة أواخر القرن العشرين، كتابه عام ١٩٩٩م، والمنشور جزء من اثني عشر جزءاً ستصدر تباعاً، وتحمل الاسم نفسه، وأَوَّل نشره كان في موقع: americaonline.com، وبعد سنة أصدره باللُّغة العربيَّة، وتُرْجِم بعد ذلك إلى اللُّغة الإنكليزيَّة، وطُبِعَ بمطبعة وايس بريس Wisepress، سمَّاها (سوراً).

تمَّ توزيعه على المكتبات الأَمريكيَّة والأُوربيَّة الشَّهيرة، إضافة إلى المنتديات الرِّياضيَّة والفنِّيَّة الأَوسع انتشاراً، والمدارس الأَجنبيَّة في بعض الدُّول العربيَّة، الَّتي يدرس فيها النُّخبة من أبناء المسلمين.

لقد أُعدَّ (الفرقان الحقُّ) بمشاركة إسرائيليَّة مع الإدارة الأَمريكيَّة، واستغرق العمل فيه سنوات، منذ مُناظَرَتَيْ عام ١٩٨٠م، وبعد طبعه في مطبعة وايس بريس، تبنَّت نشره وتوزيعه Pressomega 2001 wine، والهدف هجمة جديدة على الإسلام، تلغي - كما يتوهَّمون - القرآن الكريم، بتقديم (الفرقان الحقُّ) بديلاً منه.

وتقوم جماعة يهوديَّة متطرِّفة في الأرض المحتلَّة بإعداد تفسير لهذا الكتاب، والمقارنة بينه وبين القرآن الكريم، ظنّاً منهم ومحاولة يثبتون من خلالها بشريَّة القرآن.

ومما جاء في (الفرقان الحقِّ)

يهدف مسيلمة من وراء (فرقانه) إلى ترسيخ عقيدة التَّثليث، وبأنَّ رسالة عيسى هي الخاتمة، وأنَّه لا رسالة، ولا نبيَّ بعده، مستخدماً أقسى

عبارات القذع والقدح والشَّتم ضد المسلمين، ويصفهم بأبشع الأوصاف، ويقدح في إلههم، ودينهم، ونبيِّهم، وقرآنهم، بعبارات العداء واللَّدَد[١] والحقد، والخصومة بما يفوق الوصف، حتى أسماء الموضوعات (السُّور) تنضح بهذا الحقد والعداء، مثل: (سورة) الماكرين (١٨٨ - ١٩٤) والمفترين (٢٠٠ - ٢٠٢)، والطَّاغوت (٢٠٩ - ٢١٣)، والكبائر (٢٤٩ - ٢٥٤)، والمحرِّضين (٢٦٨ - ٢٧٣)، والبهتان (٢٧٤ - ٢٧٧).

لقد وصف المسلمين - حسب زعمه وحقده - بالشيطان: «.. وقام منكم ناع ينعق بنقمة الباطل على الحقِّ، وحقد الكفر على الإيمان، ونصرة الشَّرِّ على الخير، فكان لوحي الشَّيطان سميعاً» (سورة المسيح ١٥ - ٤٠)، «يا أيُّها النَّاس إنَّما تُتلى عليكم آيات الشَّيطان مضلِّلات، ليخرجكم من النّور إلى الظُّلمات، فلا تتَّبعوا وحي الشَّيطان، واتَّخذوه عدوّاً لدوداً»، (سورة الإخاء ١٥ - ١٧٤).

ويصف سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوصاف قبيحة، من مثل الإفك: «وحذَّرنا عبادنا المؤمنين من رسول أفَّاك تبيَّنوه من بيِّنات الكفر، وعرفوه من ثمار أفعاله، وكشفوا إفكه وسحره المبين، فهو رسول شيطان رجيم لقوم كافرين»، (الأنبياء ١٦ - ١٨٥).

ولا يقرُّ الكتاب برسالة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، ويقول: «وما بشَّرنا بني إسرائيل برسول يأتي من بعد كلمتنا، وما عساه أن يقول بعد أن قلنا كلمة الحقِّ، وأنزلنا سنة الكمال، وبشَّرنا النَّاس كافّة بدين الحقِّ، ولن يجدوا له نسخاً ولا تبديلاً إلى يوم يبعثون»، (الأنبياء ١٦ - ١٨٥).

ويقول شوروس (مسيلمة أمريكة): «وما نزَّلنا عليكم كتاباً، أو سورة، أو آية، ولا أوحينا إليكم قولاً بلسان أحد منكم، وما ألهمناه، ولكن شُبِّه

(١) اللَّدَد: شدَّة الخصومة، مختار الصِّحاح: لدد.

لكم فصدَّقتموه، فضللتم سواء السَّبيل»، (سورة التَّنزيل ٢ - ٣٢٤)، وزعم بأنَّ القرآن الكريم من الأساطير: «وقام منكم من انتحل أساطير الأوَّلين اكتتبها وأُمليت عليه بكرةً وأصيلاً، وهي إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون»، (سورة الأساطير ٢ - ٢٥٩).

كما يعد (شوروس) طاعة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم والرُّجوع له في التَّنازع، والإيمان به، وعدم خيانته، وعدم عصيانه.. من الشِّرك بالله، (سورة المشركين ٢٣٠ - ٢٤٠).

ويصف هذا الفرقان المزعوم المسلمين بالكفر والنِّفاق والافتراء، وغيرها من الأوصاف القبيحة: «لقد افتريتم علينا شرَّ فرية، فويل لكلِّ مفترٍ زنيم، وقلتم آمنّا بالله وبما أُوتي عيسى من ربِّه ثمَّ تلوون منكرين، ومن يتَّبع غير ملَّتنا فلن يقبل منه، وهذا قول المنافقين»، (سورة المسيح ١٨ - ٤١، و ٢٢ - ٤٢).

كما وصف المسلمين بأنهم مشركون: «ومن أكفر ممن افترى الكذب وأشرك نفسه بنا، وزعم أنَّه الموحِّد، وأنَّ عبادنا الموحِّدين هم المشركون»، (سورة الثَّالوث ٢١ - ٦٧)، ويوغل في ذمّ المسلمين ووصفهم بأقبح الأعمال: «فسيماؤكم كفر وشرك وزنى وغزو وسلب وسبي وجهل وعصيان»، (سورة الكبائر ٢٥٩ - ٢٦٠)، كما وصف الدِّين الإسلامي بأنَّه دين لقيط: «ولا تغلوا في دين لقيط، ولا تقولوا علينا غير الحقِّ المبين»، (سورة الفرقان ٢٩ - ٦٩).

ويعمد شوروس إلى تحريف الآيات لتحويرها عن مدلولاتها ومقاصدها، كما في قوله: «ومثل الَّذين كفروا وكذَّبوا بالإنجيل الحقِّ أعمالهم كرماد، اشتدَّت به الرِّيح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضَّلال الأكيد»، (سورة الثَّالوث ١٨ - ٦٦)، «يا

أيُّها الَّذين آمنوا من عبادنا، ها أنتم أُولاء تحبُّون الَّذين يعادونكم، وهم لا يحبُّونكم، وإذا لقوكم قالوا: آمنّا بما آمنتم، وإذا خلوا عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ، وإن تمسُّكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيِّئة يفرحوا بها، وإن تصبروا وتتَّقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئاً، ولا يضرُّون إلاَّ أنفسهم وما يشعرون»، «سورة الخاتم ١٢ - ٣١).

ويعد شورروس الصَّلاة في المساجد والأماكن العامَّة من الرِّياء: «إنَّ الَّذين يقيمون الصَّلاة في زوايا الشَّوارع والمساجد رياءً كي يشهدهم النَّاس، ذلك هم المنافقون، وهم في الحقيقة لا يصلُّون»، (سورة الصَّلاة، ٢٠٣ - ٢٠٤).

ثمَّ يصف الفرقان المزعوم شرعة المسلمين فيقول: «فشرعة أهل الكفر شرعة قوم حفاة وعراة، غزاة زناة، أُميِّين مفترين ومعتدين ضالين ظالمين»، (سورة الجنَّة ١٤ - ٢٦٦).

القرآن الكريم

(الفرقان الحق) زيف وكذب وافتراء وتشويه وطمس للحقائق، لتشويه القرآن الكريم ورسالته السَّامية النَّبيلة الإنسانيَّة.

وهذه المحاولة للدَّسِّ والافتراء على كتاب الله المجيد ليست الأُولى، ولن تكون الأخيرة، ولكنَّها يقيناً محاولة فاشلة، يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ١٥/٩]، ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ [العنكبوت: ٢٩/٤٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨﴾ [آل عمران: ٣/١١٨].

فمع **الإعجاز البلاغي اللُّغوي** للقرآن الكريم، والَّذي نزل لقوم يتباهون بالفصاحة، فبذَّهم في ميدان تفاخرهم ومباهاتهم، يقومُ **إعجاز عددي** أُلِّفت فيه عشرات الكتب، فكلُّ حرف، وكلُّ كلمة محسوبة ومحدَّدة في مكانها، **وإعجاز علمي** ظل كامناً في النَّظم القرآني عدَّة قرون، لأنَّ الحقيقة العلميَّة المدلول عليها كانت خارج منطقة الإدراك البشري ووعيه، فلمَّا ارتقت العلوم والمدارك البشريَّة، وتهيّأت العقول، اهتدت إلى اكتشاف الحقائق العلميَّة، ففسَّرت هذه الآيات دون تأويل أو لَيٍّ عنق أو احتمالات وممكنات..

الإعجاز متروك لكسب العقل البشري وتحصيله العلمي، فالقرآن الكريم يتضمَّن الكنوز الَّتي تغطِّي الحياة عبر أجيالها بالهدى، ولكلِّ جيل جديدُهُ منه، لأنَّه: «لا تنقضي عجائبه»، ولن نقدِّم أمثلة على الإعجاز العلمي، كي لا نكرِّر ما كتبناه في كتابَيْ: الإنسان بين العلم والدِّين، والحوار دائماً، وحوار مع مستشرق.

وهناك **إعجاز غيبي** تحقَّق بعد قرون، مع **إعجاز تشريعي**، حيث النَّظرة المتناسقة المنسجمة الحقيقيَّة للكون والإنسان والحياة. فأنَّى لسجعات، وكتاب يصطنع رسم القرآن الكريم، ويحاول أن يترسَّم خطا أساليبه أن يدنو من إعجازه؟

وما دام وحياً وإنجيلاً جديداً، فأين المؤمنون الغربيُّون، والأمريكيُّون خاصَّة، بهذا المتنبِّئ وفرقانه الموحى إليه به؟ هل صدَّقه واحد من قومه؟ طبعاً لا، لماذا؟ لأنَّهم يدركون أنَّه عبارات منمَّقة لم تحمل سوى الحقد والعداء والتَّبشير المكشوف، وليت شوروس أظهر براعته وإمكاناته في مناظرتَيْه أمام الشَّيخ ديدات، حيث ظهرت ضحالته وعجزه عن إجابات لأسئلة محدَّدة واضحة، اكتفى فيها بالتَّرتيل والنَّشيد.

بسملة (الفرقان الحق)

قل:

١- بسم الآبِ الكلمةِ الرُّوح الإله الواحد الأحد.

٢- مُثَلِّث التَّوحيد موحِّدِ التَّثليث ما تعدَّدَ.

٣- فهو آبٌ لم يلد.

٤- كلمة لم يُولد.

٥- روحٌ لم يُفْرد.

٦- خَلاَّقٌ لم يُخلق.

٧- فسبحانَ مالك المُلكِ والقوّة والمجد، من أَزَلِ الأزلِ إلى أبدِ الأبد.

(سورة الفاتحة) عند شوروش:

بسم الآب الكلمة الرُّوح الإله الواحد الأحد

١- هوذا الفرقانُ الحقُّ نوحيه مبلِّغه للضَّالِّين من عبادنا وللنَّاسِ كافَّة ولا تخشى القوم المعتدين.

٢- مهيمنٌ يَخطِمُ سيفَ الظُّلم بكفِّ العدلِ ويهدي الظَّالمين.

٣- ويهدمُ صرحَ الكفر بيد الإيمان ويَشيد موئلاً للتَّائبين.

٤- وينزع غِلَّ الصَّدر شذى المحبَّة ويشفي نفوسَ الحاقدين.

٥- ويطهِّرُ نجسَ الزِّنى بماء العفَّة ويبرئ المسافحين.

٦- ويفضح قولَ الإفك بصوتِ الحقّ ويكشف مكر المفترين.

٧- فيا أيُّها الذينَ ضَلُّوا من عبادنا توبوا وآمنوا فأبواب الجنَّة مفتوحة للتَّائبين.

ومحاكاة للقرآن الكريم، وتقليداً له، بدأ شوروس بعض (سوره) بأحرف كما في بدايات بعض سور القرآن الكريم: الم، الر.. مثل:

في بداية (سورة) الوصايا: المذ.

وفي بداية (سورة) المسلمون: المصم.

وممَّا جاء في (سورة) الوصايا: المذ، إنا أرسلناك للعالمين بشيراً ونذيراً، تقضي بما خطر بفكرك، وتدبِّر الأمور تدبيراً، فمن عمل بما رأيتَ فلنفسه، ومن لم يعمل فلسوف يلقى على يديك جزاءاً مريراً..

وفي (سورة) المسلمون: المصم، ثم ذكر أن الله اتَّهم نبيَّه محمداً بأنَّه يهلك أُمَّته ويجعلهم كافرين.

وفي (سورة) التَّجَسُّد: ذكر فيها أنَّ عيسى اسمه الأصلي هو (الله)، وأنَّ روح القدس هو إله واحد.

* * *

خاتمة

انتهت حروب الرِّدَّة في اليمامة بمقتل مسيلمة الكذَّاب، الَّذي سأله أتباعه من بني حنيفة قبل مصرعه وقد لاح النَّصر للمسلمين: يا أبا ثمامة، أين ما كنت وعدتنا؟ فقال مسيلمة: أمَّا الدِّين فلا دين، ولكن قاتلوا عن أحسابكم، فاستيقن القوم أنَّهم كانوا على غير شيء[1].

انتهت حروب الرِّدَّة في اليمامة، فقدم وفد من بني حنيفة، سبعة عشر رجلاً، وحينما قابلوا أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، قال لهم: أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة، فقالوا: أَوَ تعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لا بُدَّ من ذلك، ليسمع النَّاس ما قاله مسيلمة، ويقارنوا - تذوُّقاً بفطرتهم البلاغيَّة - بينه وبين القرآن المنزَّل على قلب المصطفى المختار صلَّى الله عليه وسلَّم، فقالوا: كان يقول: يا ضِفْدَعُ بنتُ ضِفْدَعَين، لحسن ما تنقنقين، لا الشّارب تمنعين، ولا الماء تكدِّرين، امكثي في الأرض حتَّى يأتيك الخفَّاش بالخبر اليقين، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكن قريشاً قوم يعتدون[2].

وكان يقول: والمبذِّرات زَرْعاً، والحاصدات حصداً، والذَّاريات قمحاً، والطَّاحنات طحناً، والخابزات خُبْزاً، والثَّاردات ثرداً[3]، واللاَّقمات لقماً، إهالة وسمناً.

---

(١) الاكتفاء ٢/ ١٣.

(٢) الاكتفاء ٢/ ١٦، الكامل في التَّاريخ ٢/ ٢٤٤، البداية والنهاية ٦/ ٣٢٦، الطَّبري ٣/ ٢٨٤.

(٣) ثرد الخبز ثرداً: فتّه ثمَّ بلّه بمرق.

وقال: لقد فُضِّلتُم على أهل الوَبَر، وما سبقكم أهل المَدَر[١]، رفيقكم[٢] فامنعوا، والمعترَّ[٣] فآووه، والنَّاعي فواسوه[٤].

وكان يقول: والفيل وما أدراك ما الفيل، له ذنب قصير، وخرطوم طويل.

وقال: واللَّيل الدَّامس، والذِّئب الهامس[٥]، ما قطعت أسيِّد من رَطْب ولا يابس.

فاسترجع أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، أي قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٢/١٥٦]، ثمَّ قال رضي الله عنه: ويحكم، أيُّ كلام هذا؟

لقد استرجع أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه لموتِ بلاغتهم، وفصاحتهم، وموت ذوقهم الأدبي، وإلاَّ فكيف يقبلون مثل هذه السَّجعات على أنَّها قرآن.

وإصراره رضي الله عنه أن يسمع - ويسمع النَّاس معه - إنَّما كان ليقارنوا ويتأكَّدوا من كذب مسيلمة.

ومما يذكر: أن عمرو بن العاص وفد إلى مسيلمة، فقال له مسيلمة: ماذا أُنْزِل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أُنْزِل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال: وما هي؟ قال عمرو: أُنزل عليه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١٠٣/١-٢] السُّورة، ففكَّر مسيلمة ساعة، ثمَّ رفع رأسه فقال: ولقد أُنزِلَ عليَّ مثلها، فقال له عمرو: وما

---

(١) أهل الوبر: أهل الرِّيف، وأهل المدر: سكان المدن، الحضر.

(٢) في (الكامل في التاريخ ٢/ ٢٤٤): ريفكم: أي امنعوا ريفكم لئلا يغلب عليه غالب.

(٣) رجل مُعتَرّ: غليظ كثير اللحم.

(٤) وفي الطَّبري ٣/ ٢٨٤: والباغي فناوئوه.

(٥) الذِّئب الهامس: الشَّديد، وفي الطَّبري ٣/ ٢٨٣ و ٢٨٤ نماذج أخرى من سجعه.

هي؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنَّما أنت إيراد صدر، وسائرك حفر نقر، ثمَّ قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنَّك لتعلم، أنِّي أعلم أنَّك تكذِّب.

فتذوَّق الفصاحة والبلاغة فطرة عند العربيّ.

قال الأصمعيّ: إنَّه رأى جارية صغيرة السِّنِّ وهي تقول: استغفر الله من ذنوبي كلِّها، قال الأصمعي: فقلت لها: مِمَّ تستغفرين وأنتِ صغيرة لم يجرِ عليكِ قلم؟ فقالت:

أَستغفرُ اللهَ لذنبي كلِّهْ قَتَلْتُ إِنْساناً لِغَيْرِ حِلِّهْ
مِثْلَ غَزالٍ ناعِمٍ في دَلِّهْ انْتَصَفَ اللَّيْلُ ولَمْ أُصِلِّهْ

فقال لها الأصمعيّ: قاتلكِ الله ما أفصحكِ!

فقالت: أتعدُّ هذا فصاحة بعد قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: ٢٨/٧]، فجمع في آية واحدة بين أمرَيْن ونهيَيْن وخبَرَيْن وبشارتَيْن، فالأمران: أن أرضيعه وألقيه، والنَّهيان: ولا تخافي ولا تحزني، والخبران: وأوحينا، فإذا خفتِ، وقيل الخبران والبشارتان: إنّا رادُّوه إليك، وجاعلُوهُ من المرسلين، فهو خبر من جهة، وبشارة من جهة أخرى.

لبيد بن ربيعة العامري، كان شاعراً من فحول الشُّعراء، لمَّا أسلم ترك قول الشِّعر، قال له عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يوماً: أنشدني شيئاً من شعرك يا لبيد، فقال: ما كنتُ لأقولَ شعراً بعد أن علَّمني الله سورة البقرة وآل عمران، (أسد الغابة، ٤/ ٥١٤).

* * *

وأخيراً ..

لا خوف من فرقان شورروس، فكلُّ ذي إلمام متواضع محدود باللغة العربيَّة يلمس كذبه بسهولة، ويدرك الهدف المرجو من ورائه، فما بدأنا به: مليونا دولار لرئيس تحرير (صوت العروبة) قُبالة نشر (الفرقان الحقّ) على حلقات دليل خَطِر، فالمال السَّخي الَّذي يُدْفع للتَّرويج وراءه ما وراءه، سيذهب هباء منثوراً، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٨/ ٣٦].

وليت رئيس التَّحرير سأل (إيلياهو): لكلِّ نبيٍّ معجزة، فما معجزة شيروس الَّذي يدَّعي أنَّ (الفرقان الحقَّ) مُوحى إليه؟!

هذه المحاولات الَّتي تستهدف الإسلام، لا خوف منها عليه، فهو محفوظ من الَّذي أنزله، وأثبتت السِّنينُ ذلك، فقد مرَّت عليه أحداث خطيرة، من حروب الرِّدَّة، إلى الحروب الصَّليبيَّة، إلى الغزو التَّتري والمغولي، إلى الاستعمار الحديث، وخرج الإسلام منها أقوى ممّا كان، إنَّما الخوف في جهل المسلمين، وفي عزوفهم عن نصرة دينهم، والغَيْرة على نبيِّهم.

إبداعات الحضارة الإسلاميَّة، الَّتي شهد لها كثيرون، هل تحقَّقت من فراغ، ما الَّذي أرسى أركانها وشجَّع حوافزها وتبنَّى رجالاتها؟

إنَّ انتشار الإسلام لم يتوقَّف لحظة، ولن يتوقَّف:

- لمتانة أُصوله ومخاطبتها للعقل، وحرصها على العلم والمحاكمة.
- ولبلاغة القول، وحسن البيان.
- ولاستقامة الدُّعاة وتحلِّيهم بما يدعون إليه من خير.
- وللحوار بالَّتي هي أَحسن، والَّذي يجعل الحوار منهجاً، واثق من صحة عقيدته وسلامتها، يملك الحجَّة، ويعشق العلم.
- ولشعور من أَسلم أَنَّ خطاب القرآن الكريم موجَّه إليه، إلى فطرته مهما كان جنسه، أو عِرْقُه، أَو لونه.

لن يعود (إيلياهو) إلى رئيس تحرير (صوت العروبة)، لأنَّ الباطل لا يقوى على مواجهة الحقيقة، إنَّه يحرص على أن يتوارى، لأنَّ بلقائه الحقَّ المحاورَ فضيحته.

يقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٣/١٧].

صدق الله العظيم

وماذا عن المناهج؟

تَمهيدٌ

ما يعرف اليوم بالتَّجديد الدِّيني، يُعَدُّ أحد أكبر التَّحدِّيات، يؤكِّد ذلك، عدد المؤتمرات والنَّدوات الَّتي خُصِّصت له، فقد أحصت صحيفة الأهرام القاهريَّة نحو خمسة وثمانين عنواناً عن تجديد الخطاب الدِّيني، أو تجديد الخطاب الثَّقافي، وذلك في الفترة الممتدَّة ما بين ٧/ ١١/ ٢٠٠١م، و٢١/ ١١/ ٢٠٠٣م.

ومن العجيب أنَّ هذه المؤتمرات، وهذه النَّدوات يُدْعى إليها علمانيُّون حداثيون للتحدُّث عن الإسلام، ويرى عقلاء القوم بداهة؛ أنَّ مسار هذه النَّدوات يتماشى مع أحدِ أوجه الخطَّة الأمريكيَّة، فيما أصبح يُسمَّى بالحرب على الإرهاب، إنَّها ندوات ومؤتمرات فيها حوار الطُّرشان، حوار من جانب واحد، علمانيُّون حداثيون مع من يتحاورون؟ إنَّهم يتحدثون مع أنفسهم.

لقد رأت الولايات المتحدة الأمريكيَّة أنَّ إنهاء الإرهاب يتمُّ بما أسمته (تجفيف الينابيع)، وهو الإصلاح في مناهج التعليم، وخصوصاً الدِّيني والتَّاريخ الإسلامي منها، لإعادة صياغة المفاهيم الَّتي تغذِّي أعمال العنف والإرهاب، بما يتوافق مع مصالحها، وبما يحقِّق لها الأمن، وبما يستجيب مع عمليَّة الإصلاح السِّياسي المفترض، والمتعثِّر بفضل الثَّقافة الدِّينية السَّائدة، وخصوصاً الجهاد، مع الحديث عن الدِّيمقراطية، والإصلاح السياسي، وحقوق المرأة وحرِّيتها.

دونالد رامسفيلد أَسمى ذلك كلَّه: (حرب الأفكار)، وقد آتت أُكلها، إلى درجة أنَّ قراءات الآيات القرآنيَّة في شاشات بعض الفضائيَّات العربيَّة، أصبحت تتحاشى قراءة الآيات التي تتعرَّض لليهود وللنصارى، إنَّنا أمام ضغوط تهدف لأن يتحوَّل الإسلام إلى طقوس وعبادات، لابُدَّ أن تسطَّر خطوطها العريضة وأهدافها من قِبَل الغرب، حتَّى صار شعار إحدى الدُّول العربيَّة الإسلاميَّة: نحن نحتاج إلى عامل في كلِّ بيت، ولسنا بحاجة إلى فقيه في كلِّ بيت.

حداثة، ديمقراطيَّة، حقوق الإنسان، حرِّيَّة المرأة، المناهج... تغيير بما يضمن المصالح الغربيَّة، مشروع لهندسة أمريكيَّة للإسلام عقيدةً وقيماً وقواعد وسلوكاً، وما علينا إلاَّ أن ننصاع لمثل هذه الهندسات الجديدة.

وممَّا طُرِحَ قراءاتٌ جديدة للقرآن الكريم، والفضيحة الكبرى: (الفرقان الحقُّ)، قرآن جديد، هو - حسب ادِّعائهم ومرادهم - القرآن الحقيقي، الكتاب المقدَّس للقرن الحادي والعشرين، أو كتاب السَّلام، أو مصحف الأديان الثلاثة.

أحدث هرطقة قدَّمها العقل الغربي في مواجهة القرآن الكريم ومعارضته، إنَّه بقايا هَوَسٍ قديم لمعارضة القرآن الكريم، مع استخفاف بعقل القارئ، صدر هذا الكتاب سنة ١٩٩٩م من مؤسَّسة تبشيريَّة اسمها: (بروجيكت أُوميغا)، وبمجرَّد صدوره سارعت المواقع الصُّهيونيَّة والصَّليبيَّة على الإنترنت إلى الترويج له، وتمَّ توزيعه على سفارات البلدان الإسلاميَّة، وعلى دوريَّات عربيَّة وإسلاميَّة، والهدف: أَن يكون ثغرة إلى اختراق العالم الإسلامي للتَّنصير.

يقع (الفرقان الحقُّ) في ثلاث مئة وست وستين صفحة، وسبع وسبعين سورة، واثني عشر جزءاً، صدر منها الأوَّل، تُرْجِمَ إلى العربيَّة، ووزِّع في دولة عربيَّة على الطُّلاب المتفوِّقين في المدارس الخاصَّة.

وقررت مجموعة من المتطرِّفين اليهود وضع تفسيرٍ له، والمقارنة بينه وبين القرآن الكريم، لتصل في النِّهاية - في زعمها - إلى هدفها الواضح: إنَّ القرآن هو كتاب بشري، وليس سماويّاً.

جاء في مقدِّمة (الفرقان الحقّ): «لقد كشفت الأحداث الأخيرة بجلاء واضح أنَّ الحرب على قرآنهم يجب أن تكون معلنة، وأن يشارك فيها كلُّ طفل وشاب وشيخ وامرأة من أُمَّة المسيح العظيم، وأُمَّة موسى الضَّحيَّة، لأنَّه لم يعد هناك خيارٌ آخر سوى الحرب، وتخليص العالم من هؤلاء الأشرار الآثمين، وهذا الشِّعار لا يمكن تحقيقه بظلِّ وجود القرآن».

بدأ هذا القرآن المزعوم ببسملة: «بسم الآب الكلمة الرُّوح الإله الواحد الأحد مثلث التَّوحيد، موحّد التَّثليث ما تعدَّد». وهذا نصٌّ واحد كافٍ من سورة سمَّوها سورة السَّلام، ليتذوَّق القارئ سخافتهم وضلالتهم: «والَّذين اشتروا الضَّلالة، وأكْرَهوا عبادنا بالسَّيف لينكروا بالحقِّ، ويؤمنوا بالباطل، وأُولئك هم أَعداء الدِّين القيِّم، وأعداء عبادنا المؤمنين».

مع أن المطَّلع العادي يعلم كيف كسب الإسلام القلوب بلا إكراه في الدِّين، وكيف نشر الغربيون عقيدتهم في أنحاء العالم بسيل متدفِّق من الدِّماء، التَّنصير أو الموت، وهذا ما قدمناه في كتاب: (الإسلام في قفص الاتّهام) وكتاب: (التَّسامح في الإسلام، المبدأ والتَّطبيق) موثقاً من كتبهم.

دمشق في ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

الموافق ١٠ أيار (مايو) ٢٠٠٦م

* * *

المناهج

إسلام محدَّث مفرَّغ من محتواه

- قمَّة مجلس التَّعاون الخليجي الرَّابعة والعشرون؛ انعقدت في ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٣م، طُرِح فيها تغيير المناهج (أُم القضايا)، وقَّع عليه وزراء الخارجيَّة.

- غُيِّرت المناهج في الإمارات والكويت، والمناهج هنا مناهج الدِّيانة واللُّغة العربيَّة، والعلوم الإنسانيَّة ليس غير، فالرِّياضيات والفيزياء والكيمياء لا يتدخَّل في أمرها، فجداول الرِّياضيات ثابتة، وليست عندنا ذرة ماء إسلاميَّة التَّركيب وأُخرى غربيَّة التركيب.

- وفي الأُردن قدَّمت الحكومة تسعين صفحة، أَوامر نصَّت على الاعتراف بالآخر، خصوصاً الإسرائيلي، ونبذ العنف، ونشر حقوق الإنسان، وسُمِّي التَّقرير المقدَّم من الحكومة: (وثيقة السَّلام).

وخُفِّضت حصص التَّربية الدِّينية الإسلامية في الأُردن، وحُذفت آيات وأحاديث تتعرَّض لليهود.

- وفي مصر، وزارة الثقافة طالبت بتجديد الخطاب الدِّيني مع وزارة الأوقاف، والمجلس الأعلى للشُّؤون الإسلامية، وشيخ الأزهر رحَّب بمعاهدة السَّلام مع إسرائيل، واستقبل سنة ١٩٩٧م السَّفير الإسرائيلي في الأزهر الشريف، ثمّ استقبل كبير الحاخامات في إسرائيل، واسمه (إِسرائيل لادي) في ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٢م.

مع حذف أو تبديل ما يحمل طابعاً دينياً أو إسلاميّاً، فموضوع (الخمر

حرام) يصبح عنوانه: (الخمر ضار)، أو (الخمر ممنوع)، وتحذف كلمة (حرام) أينما وردت، ويوضع موضعها: (ضار)، أو (ممنوع)، ومقال للمطالعة عن (عمر بن عبد العزيز)، يحلُّ محلَّه مقال عن (نجيب محفوظ)، وهكذا...[(١)]

- وعقد مؤتمر في السُّودان حول الإسلام والغرب في عالم متغيِّر ما بين ١٣ و١٥/ ١٢/ ٢٠٠٣م.

- ومؤتمر دور الجماعات الإسلاميَّة في الشَّرق الأوسط في الكويت بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠٠٣م، (عشرون ورقة عمل)، برعاية مجلة الوطن الكويتية.

- ومؤتمر دافوس الاقتصادي، بحث الحوار بين الأديان تحت عنوان: (الإسلام والغرب).

- مؤتمر الحوار الأمريكي - الإسلامي في الدَّوحة ١١/ ١/ ٢٠٠٤م، جلسات مغلقة، نظَّمه معهد (بروكينغر) بالتَّعاون مع الخارجيَّة القطريَّة، وبحث سُبُل تضييق الهوَّة بين واشنطن والعالم الإسلامي، وقدَّم ريتشارد هولبروك السَّفير الأمريكي السَّابق لدى الأمم المتحدة في هذا المؤتمر، مداخلة قال فيها: لم آتِ إلى هنا للاستماع مجدّداً إلى الشَّكاوى المعتادة عن الموقف الأمريكي من قضية الصِّراع العربي - الإسرائيلي، أو للشكوى من الدَّعم الأمريكي لإسرائيل، أو الوضع في العراق، نحن هنا لنبحث في قضايا وهموم مشتركة تكون جسراً للحوار بيننا، مثلاً هناك قضايا ملحَّة كانتشار الإيدز في المنطقة، أو ضعف الرِّعاية الصحيَّة، أو البيئة، وغير ذلك.

---

(١) فُصلت الطالبة آلاء فرج من المدرسة في بلدة شربين-محافظة الدقهلية لأنها هاجمت في موضوع الإنشاء سياسة أمريكة في المنطقة، وحُقق معها بتهمة الانضمام إلى تنظيم سري.

- منتدى المستقبل في المغرب، اختُتِمَ في ١١/ ١٢/ ٢٠٠٤م، ويريد الإصلاح السِّياسي، والتَّعليمي (المناهج)، والإصلاح الاجتماعي.

- وفي الوقت نفسه عُقِدَ (المنتدى الأوَّل للمرأة) في صنعاء اليمن، ومحاوره عن الدِّيمقراطيَّة، وحقوق الإنسان، والمرأة..

* * *

وماذا في مناهجهم؟

التَّعليم في المدارس الإسرائيليَّة أربع مجموعات:

١- المدارس الَّتي يدرس فيها غالبيَّة التَّلاميذ، (ثلث الطُّلاب في مدارس الدَّولة).

٢- المدارس الرَّسميَّة الدِّينيَّة الَّتي تلقن طلبتها الدِّراسات اليهوديَّة.

٣- مدارس الطُّقوس الدِّينيَّة.

٤- المدارس التَّوراتيَّة المستقلَّة، الَّتي يلتحق بها يهود صهاينة متطرِّفون.

في المرحلة الثَّانوية تدريب عسكري يجعل الطَّالب مستعداً للانتظام في صفوف الجيش، ويلقَّن في هذه المرحلة التَّعاليم التَّوراتيَّة، وطريقة الحياة اليهوديَّة.

وزير المعارف آهرون يدلين يقول: علينا إعداد الشَّباب أثناء دراستهم للمهام الصُّهيونيَّة الأساسيَّة.

لقَّنت مدارسهم طوال عقود تعاليم الحقد والكراهية لكلِّ ما هو عربي، وحكومة العمل الَّتي شاركت في دعم هذه المدارس اليهوديَّة فوجئت باغتيال رئيس الوزراء إسحاق رابين، من قبل أحد أبناء المدارس اليهوديَّة وسط أحد الميادين العامَّة في تل أبيب.

ووزير الشُّؤون الدِّينية الإسرائيلي يفسِّر في الكنيست سبب انتصار ١٩٦٧م: إنَّنا آمنا بعقيدة التَّوراة، ثمَّ خدمنا هذه العقيدة بأساليب علميَّة.

إنَّ تجريد الصِّراع العربي - الإسرائيلي من الدَّافع الديني، يخدم اليهود خدمة مجَّانيَّة كبرى، لأنه يفرِّغ الجانب العربي فقط من التَّعبئة الرُّوحية المكافئة، في حين يستغل اليهود التَّطرُّف الدِّيني التَّوراتي، فخرِّيجو المدارس الدينية يحتكرون المناصب القياديَّة في الجيش الإسرائيلي، وهم الذين وضعوا فكراً دينيّاً بالغ التَّطرُّف، وبعد هذا كلِّه، تأتي دعوى صفة الإرهاب للمؤسَّسات الخيريَّة الإسلاميَّة التَّعليميَّة، وللتَّعليم الدِّيني الرَّسمي بأنَّه يغذِّي الإرهاب.

وفي أوربة

قدَّم الدكتور عبد الجواد الغلاتوري من الأكاديميَّة الإسلاميَّة للعلوم في كولن بألمانية، مع زميله الألماني أُودوتورشكا، عملاً هائلاً؛ فقد قاما بتحليل ما جاء عن الإسلام في مئات الكتب الدِّراسيَّة الألمانية، وحدَّدا التَّشويهات الكبرى، واقترحا التَّصحيحات اللازمة، كما فحصا الكتب المدرسيَّة في الدِّنمارك وفنلندة وهولندة وإيطالية[1].

وهذا ما قام به الدكتور علي جمعة مفتي مصر، حيث زار عدداً من سفراء أُوربة في مصر دورياً، وسألهم: وماذا في مناهجكم؟ فطلب السَّفير الأمريكي في القاهرة تحيده وتجميده.

الإرهابي في مترو طوكيو آذار (مارس) ١٩٩٥م نُسِبَ إلى راديكاليين - داعية لإصلاحات جذريَّة - أمّا في الشَّرق الأوسط فينسب العمل، إن حدث، إلى مسلم متعصِّب، ولو كان ذلك العربي ملحداً علمانياً.

---

(١) الإسلام عام ٢٠٠٠م، مراد هوفمان، مكتبة الشُّروق، ترجمة عادل المعلم ط١/ ١٩٩٥م.

مؤتمر بكّين

عُقِد مؤتمر القاهرة بشأن المرأة وحرّيتها، ثمَّ عُقِد مؤتمر بكّين في ٤ أيلول ١٩٩٥م، بمشاركة مئة وخمسة وثمانين وفداً حكوميّاً، وحضور ما يقارب الخمسين ألف امرأة، بينهن ٣٢٠ شخصية رسميَّة، و٤١٠٠مندوبة.

ومن مقرَّرات وتوصيات مؤتمر بكّين: الزَّواج رباط مدني غير شرعي، تأخير الزَّواج مع الحرّيَّة الجنسيَّة للفتاة والمراهقة، وعبارة (الوالِدَيْن) غير مهمة في حياة الطِّفل ونشأته، مع إباحة الإجهاض بغرض الحفاظ على حياة المرأة، والدَّعوة إلى التحرُّر من القيم والضوابط الدِّينية، فالدِّين من العوائق التي تمنع تقدُّمها، فلابدَّ من إلغاء أوتعديل القوانين الدِّينيَّة، وإشاعة قيم عالميَّة تنسجم مع عام ٢٠٠٠م.

الوفود الإسلاميَّة قدَّمت صورة حقيقيَّة لمكانة المرأة في الإسلام، ونجحت في تعديل بعض الأمور، أهمُّها: عدم إلزام الحكومات والدُّول والجهات المعنيَّة بما صدر عن المؤتمرين، وأعلنت خمسون دولة تحفظاتها، وعدم عزمها على تنفيذ التوصيات والقرارات.

الهيئة الدَّوليَّة للحرّيَات الدِّينيَّة

(من واشنطن)، البرنامج الأسبوعي الذي يقدِّمه حافظ الميرازي من قناة الجزيرة الفضائيَّة، والذي أُذيع الخميس ١٢/ ٥/ ٢٠٠٥م، وأُعيد الجمعة ظهراً السَّاعة ٢,٠٥ بتوقيت دمشق، ناقش تقريرين صدرا في يوم واحد، أحدهما عن معاملة الأقليّات الدِّينية خارج الولايات المتحدة الأمريكيَّة حصراً، أصدرته: (الهيئة الدوليَّة للحريَّات الدّينيَّة)، وبحث في حقوق غير المسلمين في البلاد الإسلاميَّة.

التقرير في مئة وثمانين صفحة، وليس فيه توصيف عن الأقليَّات الإسلاميَّة في أوربة وأمريكة مثلاً، وقسَّم الدُّول إلى:

١- دول ذات وضع مُقْلق: مثل السُّودان والسُّعودية وباكستان وأوزبكستان وتركمانستان..

٢- ودول على قائمة المراقبة: مثل مصر وبنغلادش ونيجيرية..

٣- ودول تُراقَب عن كثب: مثل العراق وأفغانستان والهند ولاوس وروسية..

استضاف الميرازي (مايك يونغ)، عضو الهيئة الدوليَّة للحرِّيَّات الدينية، التي يختار أعضاءها بوش والكونغرس الأمريكي.

واستضاف الميرازي أيضاً الدكتور خالد أبو الفضل، وهو قانوني رشَّحه بوش للهيئة الدَّوليَّة للحريات الدينية، وعضو فيها، فهو المسلم الوحيد فيها من أصل عشرة أعضاء.

طالب التقرير ونص على عدم تطبيق الشريعة الإسلاميَّة على الذين لا يرغبون بها من المسلمين، ولو وافقت الأغلبية على تطبيقها، وللكنيسة حقٌّ دولي بالتَّبشير، فالقانون الدَّولي لا يدين التبشير، ولكنَّه لا يكفل حقَّ التبشير، ولا ينصُّ على فرضه.

(إسرائيل) دولة دينية (يهوديَّة) كما عرَّفها الغرب، وقالها بوش واضحة جليَّة، وهذا يمهد لتهجير عرب ١٩٤٨م.

وطالب التَّقرير بتنقيح مناهج التعليم في البلاد العربيَّة والإسلاميَّة من كلِّ ما يعادي الأديان الأخرى، أمَّا ما في مناهج الغرب، ومناهج العدو الصُّهيوني فلا حرج، ولا تدخُّل.

وطالب التَّقرير أيضاً بوقف الهجوم على اليهود والبهائيَّة في وسائل

الإعلام[1]، مع تهديد بقطع المعونات الاقتصادية، وإلغاء كتابة (الدِّين) في الهويَّة الشخصيَّة، ويوضع بشكل اختياري لمن يريد، وإلغاء الخط الهمايوني، أي رفع الحظر على بناء الكنائس القبطية، دون مرسوم رئاسي جمهوري[2].

وحينما تكلم الدكتور خالد أبو الفضل وسأل مايك يونغ عضو الهيئة الدَّوليَّة للحرِّيات الدِّينية:

- لماذا سكت التقرير عن حقِّ الأقليَّات الدينية المسلمة في الغرب وأمريكة؟

- ولماذا اعترف بإسرائيل دولة دينيَّة يهوديَّة؟

- ولماذا تمنع فرنسة العلمانيَّة الحجاب للفتيات المسلمات؟ أين الحريَّات الدِّينية؟

- وكم دولة لا تسمح ببناء المساجد؟

- وأين حقوق المسلمين في كشمير؟

- وأين الإشارة إلى هدم المساجد في إسرائيل وإغلاقها، ولا يسمح للمصلِّين في الأقصى إلاَّ لمن تجاوز الأربعين من عمره؟

- كثير من الدُّول الإسلاميَّة لا تحترم شعوبها بكلِّ عقائدها، وتطالب الهيئة بإنصاف الأقليَّات فقط، وتتكلَّم عن اضطهاد المسيحيِّين.

وبدل الإجابة عن هذه الأسئلة، انسحب مايك يونغ وترك شاشة التلفاز في (الاستديو)، لأنَّه لم يرق له ما قيل من الدكتور أبو الفضل، لقد انسحب دون إذن أو تمهيد.

---

(١) اعترُف بالبهائيَّة رسمياً بمصر مع بداية عام ٢٠٠٦م.

(٢) بنى الأقباط خمس مئة كنيسة حديثة في مصر جُلُّها إلى جانب المساجد مع التَّطاول بالبنيان.

لجنة كير

لجنة كير، لجنة إسلاميَّة ترصد انتهاكات حقوق المسلمين في أمريكة، ولها مكاتب في ولايات أمريكية، صدر تقرير لها بعد ساعتين من صدور تقرير الهيئة الدَّولية للحرِّيات الدِّينية، ومما جاء فيه:

أمريكة لا تعطِّل في عيد الميلاد بالتَّوقيت الشَّرقي الأرثوذكسي، وتعطِّل مصر وسورية ومعظم الدُّول العربيَّة، وحالات التَّمييز ضد المسلمين الأمريكيين ازدادت، في عام ٢٠٠٤م انتهاكات لحقوق الإنسان المسلم في أمريكة عددها ١٥٢٢ حالة، بزيادة ٤٩٪ عن عام ٢٠٠٣، مع ازدياد في حالات (حملات الكراهيَّة) بزيادة عام ٢٠٠٤م ١٥١٪ عن حالات ٢٠٠٣م.

بالإضافة إلى كتب وأفلام ونشرات وبرامج... تهاجم الإسلام بشكل مريع، مع الترويج ونشر (الإسلاموفوبيا)، أي الخوف من الإسلام.

فأين الحريات الدينية، وما عدد المكاييل التي يكيلون بها؟ أين الضوابط؟ وأين المعايير الثابتة التي نعامل الجميع بها؟

والعربيَّة تُحارب

علماً أنَّ محاربة اللُّغة العربية معلنة، فالمؤتمرات التي تعقد في الدُّول العربيَّة معظمها لغتها الرسمية الإنكليزية، والتدريس في الجامعات والكثير من المدارس والمعاهد بالإنكليزية أيضاً، مع أنَّ اللغة وجدان الأُمَّة.

الإصلاح بمشرط جرّاح لا بفأس حطّاب

يريدون حذف الجهاد من مناهجنا، وجهادنا بنصّ القرآن الكريم لرفع الظُّلم فقط: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٢٢/ ٣٩].

وحمي الحديث عن التجديد فجأة، والقول: من خصائص الإسلام التجديد، لنفي الاشتباه بالخضوع للإملاءات الخارجيَّة، ولرياح العولمة، والأشد خوفاً من العولمة، الطَّابور الخامس، فالتجديد في نفوس المسلمين، وفي أساليب تقديم الحقائق، وليس في الإسلام: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٥/ ٣].

الأُمَّة العربيَّة لم تتبوّأ مكانتها الحضاريَّة إلاَّ بالإسلام، فإذا تبرمت به اليوم بضغوط خارجيَّة، وضاقت بأحكامه، فلابدَّ أن تهوي عائدة إلى الحضيض الذي كانت فيه.

* * *

خاتمة

حينما تفرَّغ وينستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانية في أثناء الحرب العالميَّة الثَّانية، في أحد الملاجئ في لندن، لرسم خطَّة نزول الحلفاء على شواطئ فرنسة الشَّماليَّة لحرب ألمانية، راحت ألمانية تقصف لندن برشقات رتيبة مؤلمة، فتردَّد خبراء الحرب العسكريُّون على تشرشل يعلمونه أن القصف المتكرر يدمر أنحاء متفرقة من لندن، وتكرَّر تردُّدهم وتذمُّرهم، وتشرشل يرسم خطَّته دون أن يعبأ بأخبارهم، ولما كرَّروا أخبار دمار لندن سائلين ما العمل؟! سألهم ببرود أعصاب:

كيف القضاء؟ وكيف التَّعليم في البلاد؟

أجابوا: القضاء في قمة العدل، وهيبته لا تخرق، والتَّعليم بخير، يتولاَّه خير رجالنا وأنبلهم علماً وسلوكاً لتعليم أغلى ما نملك، أبنائنا.

عندها قال تشرشل: مادام القضاء بخير، والتَّعليم بخير، فنحن بخير، ويمكننا بعد النَّصر على ألمانية إعادة بناء لندن بسهولة.

فهل آن لنا أن ننتبه إلى مناهجنا؟ وإلى ما نقدِّم لأبنائنا الَّذين هم في الحقيقة أغلى وأثمن ما تملك الأُمَّة؟

وهل ا نتبهنا إلى ماذا يقرؤون، وماذا يشاهدون؟

وهل انتقينا لهم ما يقرؤون؟ اللهم إن ربيناهم على حبِّ القراءة!!



أمريكة

القطب المتفرد، ولكن..

عودة هولاكو

رحلة الكتاب

بسم الله، والحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد

فقد وقف الأمير شارلز وليُّ عهد بريطانية، بمناسبة زيارته إلى مركز أُكسفورد للدِّراسات الإِسلاميَّة، يوم الأَربعاء السَّابع والعشرين من شهر تشرين الأَوَّل، عامَ ألفٍ وتسع مئة وثلاثة وتسعين، ليقول في محاضرة بعنوان: (الإِسلام والغرب)[1]: «لقد تمَّ الاعترافُ منذ عهد طويل بمساهمة إسبانية في ظلِّ الحكم الإِسلاميِّ في الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكيَّة خلال عصور الظَّلام، وفي وضع اللَّبنات الأُولى للنَّهضة الأُوربيَّة.. فإسبانية في عهد المسلمين لم تَقُمْ بجمع وحفظ المحتوى الفكريِّ للحضارة اليونانيَّة والرُّومانيَّة، بل فسَّرت تلك الحضارة وتوسَّعت بها، وقدَّمت مساهمةً هامَّة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإِنساني، في العلوم، والفلك، والرِّياضيَّات، والجبر (الكلمة نفسها عربيَّة)، القانون، التَّاريخ، الطِّب، علم العقاقير، البصريَّات، الزِّراعة، الهندسة المعماريَّة، الدِّين، الموسيقا..»[2].

---

(١) مركز أوكسفورد للدِّراسات الإِسلاميَّة، ١٠ شارع سانت كروس، أوكسفورد، بريطانية، طُبع في بريطانية من قبل شركة يونيسكيل، إينشام، أوكسفورد، (الطَّبعة الأُولى ١٩٩٣م).

(٢) المرجع السَّابق ١٨.

لقد تكلَّم الأمير شارلز بالكثير على حضارتنا العربيَّة الإسلاميَّة، ونبَّهَ على التَّوحيد والتَّسامح في الإسلام، وقال: «لقد أصبحت الحضارةُ الغربيَّة مولعةً بالكسب واستغلاله على نحو متزايد. بما يتنافى مع مسؤوليَّاتنا البيئيَّة، إنَّ هذا الشُّعور الهام بالوحدانيَّة، والوصاية على الطَّابع القدسيّ والرُّوحيّ للعالم من حولنا شيءٌ مهمٌّ يمكن أن نتعلَّمه من جديد من الإسلام»[١].

لقد أشعل الغربُ سراجَ نهضته من ضياء حضارتنا العربيَّة الإسلاميَّة، دراسةً في جامعاتنا، ونقلاً عن كتبنا، حينما بدأت عقول أُوربيَّة في قراءة علومنا، الَّتي دُوِّنت بعناية، وحُفِظَت في مكتبات عامَّة وخاصَّة، وأقبل النَّاس في حضارتنا على اقتناء الكتب، لازدهار صناعة الورق في كلٍّ من سمرقند، وبغداد، ودمشق، والقاهرة، والأندلس..

ومن الملاحظ، أنَّ عدداً من الورَّاقين[٢]، كانوا باعة كتب وأُدباء أيضاً، كابن النَّديم[٣] صاحب كتاب (الفِهْرست)، وياقوت الحَمَوي (- ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) صاحب (معجم البلدان)، و (معجم الأُدباء)، وزين الدِّين الآمدي (- ٧١٤هـ/ ١٣١٥م) ورَّاق، تقدَّم به العمر فعميَ أواخر حياته، فلم يدع الكتاب، الَّذي هو وعاء لاحتواء المعارف والعلوم الإنسانيَّة، ووسيلة لنقلها بين النَّاس والأجيال، ملبِّياً حاجة شداة العلم، لتنمية معارفهم وعلومهم والاستزادة منها، الآمديُّ لم يترك الكتاب وهو أعمى، فبقي في خدمة الكتاب، وهو أوَّل من صنع الحروف البارزة، قبل لويس برايل الفرنسي بقرون[٤].

(١) المرجع السَّابق ٢٠.

(٢) ازدهر الخطُّ والخطَّاطون إلى جانب الورَّاقين.

(٣) النَّديم (محمد بن إسحاق البغدادي)، - ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م.

(٤) وُلِدَ برايل سنة ١٨٠٩م، وتوفِّي سنة ١٨٥٢م، وفي ترجمات سيرته: فَقَد بصره وهو في الثَّالثة من عمره، فاخترع لتعليم العميان الحروف والعلامات الموسيقيَّة النَّاتئة، الَّتي عُرِفَت باسمه، والفضل لمن سبق.

طرق انتقال الكتاب العربي إلى الغرب

من يقرأ مسيرة الحضارة الإنسانيَّة، يَرَ بوضوحٍ أنَّ الغرب عاش ألفاً وأربع مئة عام في عصور تخلُّف، اتَّسمت بمحاربة العلم، حتَّى أحرقوا العلماء أحياءً، وبدأ عصر النَّهضة الأوربيَّة حينما عَبَرَت علومُ الحضارة الإسلاميَّة إلى أوربة عَبْر أربع قنوات:

١- الأندلس الَّتي فُتِحَت عام ٧١١م.

٢- صِقِلِّيَّة الَّتي فُتِحَت عام ٨٢٧م.

٣- الحروب الصَّليبيَّة الَّتي بدأت عام ١٠٩٦م، وانتهت عام ١٢٩١م، بدخول الأشرف خليل بن قلاوون المملوكي عكّا محرِّراً، وبقيت جيوب صغيرة صُفِّيت على طول ساحل بلاد الشَّام، كصور وصيدا وبيروت وطرطوس وعتليت، ولم يبقَ وجود للصَّليبيِّين على السَّاحل الشَّامي إلاَّ جزيرة أرواد، الَّتي حُرِّرت سنة ١٣٠٣م، فكُتِب السَّطر الأخير في قصَّة الحروب الصَّليبيَّة.

٤- وعَبْر جنوب إيطالية ومراكزها الَّتي أُسِّست لترجمة المخطوطات الإسلاميَّة، وكانت إيطالية هي السَّبَّاقة في مجال طبع الكتب العربيَّة، وأَوَّل كتاب عربيٍّ طُبع في أوربة، بأحرف عربيَّة، طُبِع في البندقيَّة (فينيسية) سنة ١٤٩٩م، أو ١٥٠٩م، وهو القرآن الكريم، الَّذي طُبعَ بمطبعة (باغانيني) المشهورة.

أربعة عشر قرناً وأوربة في تخلُّفها[١]، وحينما تجاوزت سيطرة الكنيسة

---

(١) منذ القرن الميلادي الأول إلى عصر النَّهضة.

وفصلتها عن أُمور الحياة والعلوم والفلسفة، واتَّصلت بحضارتنا العربيَّة الإِسلاميَّة، دخلت عصر النَّهضة، بينما نقرأ في مسيرة حضارتنا، أنَّ رسول الله ﷺ، انتقل إلى جوار ربِّه عام ٦٣٣م، وخلال قرنَيْن اثنين فقط، بلغت حضارتنا قمَّتها، هضمت هذه الحضارةُ الحضاراتِ السَّابقة، فنقلت وترجمت، ثمَّ نقدت وصوَّبت، ثمَّ أَبدعت وابتكرت.

قرنان اثنان ليس غير، الأوَّل قرن فتوح حتَّى زمن الوليد بن عبد الملك الأُموي (- ٩٦هـ/ ٧١٤م)، والثَّاني امتدَّ إلى وفاة المأمون العباسي، المتوفَّى عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، بلغت الحضارة الإنسانيَّة عصرها الذَّهبي في العالم كلِّه آنذاك.

في الغرب - بعد أربعة عشر قرناً - تركوا عقيدتهم فنهضوا، وأَدركوا أنَّ المسلمين أكثر تحضُّراً منهم بما لا يقاس، وأنَّ هزيمة المسلمين بقوَّة السِّلاح مستحيلة[1]، وأَنَّهم إذا أَرادوا أَن يتغلَّبوا على المسلمين، فعليهم أَن يحاربوهم بسلاح المعرفة والعلم، ولما كان العلم آنذاك عربيّاً إِسلاميّاً، فقد قرَّر القوم نقل روائع الآثار العربيَّة الإِسلاميَّة إلى لغتهم اللاَّتينيَّة، يقول (سارتون) معترفاً: إنَّ القسم الأَعظم من تقدُّم الجناح الغربيِّ لأُوربة، إنَّما تمَّ بسبب الجمع الحكيم لثمار الثَّقافة الإِسلاميَّة، فبهذه الطَّريقة، انتقلت مئاتٌ من أُمَّات الكتب العلميَّة العربيَّة إلى تُرْبة أُوربة المجدبة، وتأَسَّست مراكز لنقل الكتب.

سؤال وإِجابته

في الغرب تركوا عقيدتهم، فنهضوا بعد أَربعة عشر قرناً.

ولكنْ، لماذا نحن في قرن واحد من الاستقرار بلغنا ما بلغنا، فبقايا

(١) بعد فشل أُوربة مجتمعة في تحقيق أَهدافها في حروبها الصَّليبيَّة عسكريّاً.

مخطوطات حضارتنا خمسة ملايين مخطوطة، منتشرة في جميع أرجاء العالم؟

والإجابة عن هذا السُّؤال:

لم تعرف البشريَّة ديناً مثل الإسلام، عُنِيَ بالعلم أبلغ العناية وأتمَّها، دعوةً إليه، وترغيباً فيه، وتعظيماً لقدره، وتنويهاً بأهله، وحثّاً على طلبه وتعلُّمه وتعليمه، وبياناً لآدابه، وتوضيحاً لآثاره، وترهيباً من القعود عنه، أو الازورار عن أصحابه، أو المخالفة لهدايته، أو الازدراء بأهله[1].

فطلب العلم فريضة، ولم يعرف الإسلامُ الصِّراعَ بين العلم والدِّين في تاريخه، كما عرفته أُوربة، حيث وقفت الكنيسة في العصور الوسطى تؤيِّد الخرافة، وتحارب العلم، وتناصر الجمود، وتقاوم التَّفكير الحرَّ، والابتكار المبدع، فـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أوَّل كلمة نزلت على قلب المصطفى ﷺ، وهي بَدْءُ حضارة خالدة، ففي الوقت الَّذي ساد فيه أُوربة الأمر بالتَّسليم دون محاكمة، وأَطِعْ وأنت أعمى، ودَعْ عقلك وأَقبِل، وأَغمض عينيك ثمَّ اتَّبعني، قُبالة هذه الصُّورة القاتمة الممزَّقة، حفظ مجتمعنا المسلم قول الله تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ١١١]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٢٠].

وقال رسول الله ﷺ: «ليس منِّي إلاَّ عالم أو متعلِّم»، [رواه ابن ماجه في سننه]، «طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم»، [رواه ابن النَّجار والدَّيلمي في الفردوس، كنز العمال ٢٨٨٠٤].

---

(١) الرَّسول والعلم، د. يوسف القرضاوي، الدَّار المتَّحدة، بيروت، ط ٥، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

وجعل الإسلامُ العلمَ ضمن أَخلاقيَّات

العمل بمقتضاه.

والشُّعور بالمسؤوليَّة.

مع الحرص على نشره.

ومع الأمانة العلميَّة.

والتَّواضع مع العزَّة[١].

الجانب الروحي - الأَخلاقي في الحضارة

للحضارة رموز تعرف بها، وروائز يختبر بها ما عندها، أَهمُّها الجانب الرُّوحي الإنساني الأخلاقي، إنَّ التَّقدُّم العلميَّ قد يشبع حاجات الأَجساد، ولكنَّه لا يطفئ ظمأَ النُّفوس، لقد صحب التَّقدُّم العلميَّ في الغرب تأَخُّرٌ ملموس، وانحطاط مريع في الأَخلاق، فويلٌ للشُّعوب من ذلك الوحش الكاسر الَّذي لا يعرف قيماً إلاَّ قيم الكسب والمادَّة، يقول السِّيناتور الأَمريكي وليم فولبرايت في كتابه (حماقة القوَّة): لقد وضعنا رجلاً على سطح القمر، ولكنَّ أقدامنا غائصة بالوحل.

هَجْرُ القراءة

والعجيب اليوم: العزوف عن اقتناء الكتاب، وهجر القراءة في العالم العربي والإسلامي، والغريب اليوم تفريطنا واهتمامهم.

إنَّ ما أَصاب العالم العربي والإسلامي من جهل وجمود، وقلَّة اكتراث بالكتاب، جعل العديد من النَّاس يفرِّطون في تراثهم المخطوط، ولا

(١) المرجع السَّابق.

يبالون تلف أَم سُرِق أَو حُرِق، أو أَخذه القُنْصل الفلاني، أو المبشِّر العلاَّني، بل وُجِد كثيرون ممَّن ساهموا كلَّ المساهمة في عمليَّة تسرُّب التُّراث المخطوط إلى ديار الغرب بوسائل قبيحة، وبثمن بخس دراهمَ معدودات.

لقد تنقَّل العملاء الَّذين كانوا يجوسون خلال الدِّيار بحثاً عمَّا تطوي أَرضها من آثار، يتسابقون لشراء الآثار والمخطوطات، بدعم من قناصل أُوربة وتجَّارها في تتبُّع ما يعثر عليه.

ولم تنتهِ هذه المرحلة قبل منتصف القرن العشرين، إلاَّ بعد أن تسرَّبت ذخائر العرب من بلادنا، وتقاسمتها دول الغرب من شيكاغو إلى بطرسبورغ، ومن فلورنسة إلى أُوسلو[١].

الأَوقاف والتَّعليم

ومن الحقائق في حضارتنا الإِسلاميَّة، أنَّ التَّعليم فيها وقعت معظم نفقاته: المكان، الأساتذة، الأثاث، الكتب.. على عاتق الأَوقاف، الَّتي أوقفها الأغنياء الغيارى على نشر العلم، فمن الأَوقاف:

- وقف للصِّبيان يوم الخميس، لمن حفظ دروسه وتفوَّق، مع جوائز نقديَّة باحتفال، حتَّى فكَّروا بالتَّعزيز الإيجابي، فأَوقفوا أوقافاً يُشترى بثمنها (القِضَامَة)، وهي نوع من المكسَّرات تصنع من الحِمِّص، توزَّع على التَّلاميذ الَّذين وصلوا صباحاً إلى المدرسة مبكِّرين.

- مع أَوقاف لمدارس من الحضانة إلى التَّخصُّص (كالمدرسة العمريَّة في دمشق، الَّتي ترمَّم اليوم).

(١) رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكراً ومادَّة، د. محمد ماهر حمادة، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- حتَّى في حوض نهر النَّيجر، أَوقاف سخيَّة، تعطي الطالبَ كتبه ونفقات سفره وإقامته، وثمن ثيابه، وأُجرة ذهابه إلى الحمَّام، فأين أسخياء عصرنا؟

الكِتْبِيَّة

كانت في كلِّ بين عربيٍّ في حائط الغُرف ما يُعْرَف بالكِتْبِيَّة، ولو كان صاحب البيت نجّاراً أَو حدّاداً أو بقّالاً أو تاجر قماش، أو بائع توابل، واندثرت هذه الكتبيَّة في دورنا، إلاَّ من رحم ربُّك، مع أن ﴿ٱقْرَأْ﴾ منهج حضارتنا وشعارها، إنَّها أوَّل فعل أمر في كتاب الله المجيد نزولاً، وفي نهاية السُّورة: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾، بعد ﴿ٱقْرَأْ﴾ أوَّلاً.

وعلى الرَّغم من ﴿ٱقْرَأْ﴾، حوالي ٤٠٪ في العالم الإسلامي أميُّون!

* * *

خاتمة

قيل لهولاكو: لقد دمَّرنا كلَّ ما يمكن تدميره في بغداد، وخَرِسَت منها جميع الأصوات، فماذا بعد ذلك؟!

قال مجيباً: هل دمَّرتم الكتب والمكتبات؟

قالوا: لا، وما حاجتنا إلى ذلك؟

قال: لن أستطيع تحطيم هذه الأُمَّة إلاَّ إذا حطَّمتُ علومها.

فذكر التَّاريخ أنَّ مياه دِجْلَة ظلَّت تتدفَّق سوداءَ من حبر الكتب أربعين يوماً.

وما أَشبه اليوم بالأمس، دبابة واحدة كانت كافية لحماية متحف بغداد حينما دخلها الأمريكيون، كالدَّبابة الَّتي وقفت أمام بناء وزارة النَّفط، علماً أنَّ آثار العراق تُعدُّ من أهمِّ كنوز العالم، حيث حضارات بلاد الرَّافدين منذ حضارة السُّومريِّين ٤٠٠٠ ق.م، وكما قال الدكتور (دوني جورج)، الرَّئيس السَّابق للهيئة العامَّة للآثار في العراق، يوم الإثنين ٩/ ١٠/ ٢٠٠٦م في محاضرته في المتحف الوطني بدمشق:

١٥٠٠٠ قطعة أَثريَّة سرقت من متحف بغداد، أُعيد منها ٣٧٠٩ قطع، مع تهشيم آثار أُخرى هامَّة، وتهريب الكثير منها إلى خارج العراق، وحطَّم اللُّصوص ما لا يقل عن ١٢٠ باباً للمتحف، فهل هذه من المصادفات؟

لقد رافق الجيش الأمريكي شاحنة فارغة ورافعة، دخلت الرَّافعة متحف بغداد، وحملت صخرة تزن أطناناً نُحِتَ عليها (السَّبي البابلي)، وبعد وضعها على الشَّاحنة بعناية، غُطِّيت، وعبرت الحدود العراقيَّة إلى الأردن، ومنه إلى الأرض المحتلَّة، وهذه المنحوتة لا تقدَّر بثمن!

ناهيك عن نهب المكتبات بمخطوطاتها النَّادرة، حتَّى مكتبات الجامعات والكلِّيَّات، الَّتي استغاثت تستنجد بدور النَّشر العربيَّة، وتطلب تزويدها بالكتب لإنشاء نواة مكتبة جديدة.

قد نقدر أن نطير في الهواء كالطُّيور، ونسبح في الماء كالسَّمك، ولكنَّنا لن نعرف كيف نمشي على الأرض إلاَّ بالكتاب، إلاَّ بالقراءة، إلاَّ بالمعرفة.

فأين الإعلام، وأين التَّربية، وأين أسخياء الأُمَّة، لنعيدَ إلى الكتاب مكانته في حياتنا، وننهضَ في موكب الحضارة؟

فالكتاب يا أُمَّة ﴿اَقْرَأْ﴾ طريق الحضارة، وطريق بناء الإنسان الخام، ليصبح إنساناً فعَّالاً خيِّراً لنفسه ولأُمَّته، ونتمنَّى أن نرى عودة الكتبيَّة - المكتبة المنزليَّة - لكلِّ بيت مسلم، مهما كانت مهنة صاحب البيت.

وأخيراً..

إذا عُرِفت أُمَّة باعتنائها ببطنها وشهواتها، فهذا مؤشِّر على اهتمام بعينه، يدلُّ على بنائها الاجتماعي وثقافتها المتهاوية.

وإذا اعتنت الأُمَّة بقشور من لباس ومظهر، فمؤشِّر على شيء هام في سلوكها وحياتها المتداعية.

وإذا اعتنت الأُمَّة بالثَّقافة والعلوم، وشُغِفَت بوعائهما (الكتاب)، وجعلت العلماء أَسمى منزلة من الغانيات، كما فعل الرَّشيد مع أَبي

معاوية الضَّرير، حينما سكب على يديه الماء، تعظيماً للعلم في شخص رجالاته، فمؤشّر حضاري كبير، وأمل واعد في بناء نهضة حضاريَّة، علميَّة، روحيَّة، أخلاقيَّة، مرتبطة بقيم ضابطة.

دمشق ٦ شوّال ١٤٢٧ هـ،

٢٨ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ٢٠٠٦م

«ليبارك الرب أمريكة»!

رحمة عجيبة

بسم الله، والحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتَّبع هداه، وبعد..

فقد وافق الكونغرس الأمريكي يوم الجمعة ٢٠٠٦/٨/٤م، على مشروع قانون يلزم وكالات الإغاثة بإبعاد الحيوانات الأليفة عن مناطق الكوارث (الأعاصير).

أمَّا نقل الجرحى في حرب لبنان الأخيرة؟

أمَّا استخراج النَّاس من تحت أنقاض بيوتهم المهدَّمة؟

أمَّا دفن جثث المدنيِّين والأطفال والنِّساء؟

أمَّا القنابل الذَّكيَّة الَّتي نُقِلَت إلى إسرائيل عبر بريطانية؟

أمَّا تأخير وقف إطلاق النَّار لأكثر من ثلاثة أسابيع، ليسقط أكثر من ألف مدني، ظنّاً بأنَّها المدَّة الكافية لسحق المقاومة؟

أمَّا كلُّ ذلك فمسألة فيها نظر.

ذكرت (رويترز) من واشنطن: في أوَّل يوم بموسم الأعاصير، قال مسؤولان كبيران في الولايات المتَّحدة: إنَّ رعاية الحيوانات الأليفة يجب أن تكون جزءاً من الاستعداد لكوارث محتملة، وقال جورج فوريسمان

وكيل الوزارة المكلَّف بالاستعداد للطَّوارئ في وزارة الأمن الدَّاخلي: النَّاس لن يغادروا ما لم يتمكَّنوا من أخذ حيواناتهم الأليفة معهم، أو يتيقَّنوا من توفير الرِّعاية لها.

وقال (رون دي هيفن) رئيس الوكالة المسؤولة عن رفاهية الحيوان في وزارة الزِّراعة: إنَّ نصف أصحاب الحيوانات الأليفة قالوا في أحد استطلاعات الرَّأي: إنَّهم سيرفضون الجلاء عن منازلهم دون حيواناتهم، وبحث فوريسمان ودي هيفن ربط الأمريكيين والحيوانات الأليفة في مؤتمر (الحيوانات وقت الكارثة)، الَّذي رعته الجمعيَّة الإنسانيَّة، وتسبَّب الإعصاران: كاترينا وريتا في حصار ألوف الحيوانات الأليفة، في إطار دمار شاسع بنيو أورليانز، وساحل خليج المكسيك في عام ٢٠٠٥م.

وقال فوريسمان وهو يحثُّ أصحاب الحيوانات الأليفة على التَّخطيط بشأن كيفيَّة أخذ حيواناتهم معهم إذا ما تعرَّضت مناطقهم لكارثة: الحيوانات جزء هام من الحياة اليوميَّة، وقال دي هيفن: إنَّ على الحكومة أيضاً أن تأخذ الحيوانات الأليفة في الحسبان، ويتعيَّن على جهود الطَّوارئ أن تهتمَّ برعاية الحيوانات الأليفة.

رحمة عجيبة، ورأفة في القمم، تشغل الكونغرس وكبار المسؤولين الأمريكيِّين، فحياة الحيوانات الأليفة أمر هام جدّاً، لابدَّ من موقف وتدابير حماية وإنقاذ، أمَّا الأورانيوم المستنفد، والقنابل الذَّكيَّة، والقنابل العنقوديَّة في أفغانستان والعراق ولبنان، وأحدث الأسلحة المتقدِّمة لإسرائيل برّاً وجوّاً لقمع ثورة شعب يردُّ عدوان محتل، تؤيِّده في ثورته الشَّرائع الدَّوليَّة فغير مقبول، مع أنَّ القرار رقم ٢٠٣٤ الصَّادر بتاريخ ١٨/ ١٢/ ١٩٧٢ عن الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة نصَّ على: «أنَّ أيَّة محاولة لقمع الكفاح ضد السَّيطرة الاستعماريَّة والأجنبيَّة والأنظمة العنصريَّة، هي مخالفة لميثاق الأمم المتَّحدة، ولإعلان مبادئ القانون الدَّولي الخاصَّة

بالعلاقات الودِّيَّة والتَّعاون بين الدُّول، وفقاً لميثاق الأُمم المتَّحدة، وللإعلان العالمي لحقوق الإنسان»، فكلٌّ هذا لا يتنافى مع رحمة أَمريكة الَّتي شملت الإنسانيَّة كلَّها، ووصلت إلى رعاية الحيوانات الأليفة!

هذه السِّياسة الَّتي يدعو بوش الابن في نهاية خطاباته قائلاً: «ليبارك الرَّبُّ أمريكة»، لتبقى رحيمة بالحيوانات الأليفة، ساحقة للشُّعوب، مدمِّرة لبناها التَّحتيَّة بأحدث سلاح فتَّاك، شاغلة شعبها عن فضائح رئيسها الَّتي قُدِّمت في كتاب: (كارتل بوش)، علماً أنَّ أثر دعمها المطلق لإسرائيل - مع فعال إسرائيل الوحشيَّة الَّتي لا يطالها القانون الدَّولي برعاية أَمريكيَّة - قد بدأ يتبدَّل، لينقلب السِّحر على السَّاحر، وهذا ما نقدِّمه في هذا الكتيِّب:

«ليبارِكِ الرَّبُّ أمريكة...»

دمشق: ١٠ رمضان المبارك ١٤٢٧هـ،
٢ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ٢٠٠٦م

* * *

«كارتل[١] بوش»

الكتاب الفضيحة

صدر هذا الكتاب في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٩٩، فتمَّ وأده حيّاً قبل انتشاره، ولكنه عاد ليظهر من جديد، ووزِّع بشكل واسع في أُوربة، انطلاقاً من سويسرة.

إنَّه سيرة ذاتيَّة لبوش، حقائق موثَّقة لشخص تهيمن دولته على مجلس الأمن، وتدعم إسرائيل بلا حدود، جاعلة معادلتها: لن نسمح للجيوش العربيَّة مجتمعة أن تتفوَّق على إسرائيل.

في عام ١٩٩٩م، وفي وطيس الحملة الانتخابيَّة للرِّئاسة الأمريكيَّة، طرحت دار النشر (سانت مارتن) الأمريكيَّة في الأسواق، كتاباً عنوانه: (جورج بوش الابن المحظوظ، وآلية صنع رئيس الولايات المتَّحدة)، للكاتب الصَّحفي (جيمس هاتفليد)، ضمَّ الكتاب بين دفَّتيه ٤٩٦ صفحة، فيها حياة الابن المدلَّل للعائلة بوش، منذ نشأته وترعرعه في تكساس، وما يحيط بهذه الشَّخصيَّة، وما يحيط بالعائلة ذاتها من علاقات مع أوساط الأعمال، الشَّركات التِّجاريَّة العملاقة في مجالات البترول والطَّاقة والصِّناعات الحربيَّة، ووسائل الإعلام، فالابن المدلَّل على الرَّغم من كلِّ

---

(١) الكارتل: اتفاقات دائمة بين عدَّة مشاريع (شركات)، تهدف إلى الاحتكار لرفع الأسعار، مع احتفاظ كلٍّ منها باستقلاله الحقوقي، وللكارتل Cartel أشكال تتناول شروط البيع، والأسعار، وكميَّة الإنتاج، على العكس من التُّروست Trustee حيث اندماج مشاريع مستقلَّة عديدة اندماجاً يؤدِّي إلى فقدانها استقلالها التِّجاري والمالي لتصبح مشروعاً واحداً موحَّداً، (مبادئ في علم الاقتصاد، ص٣٠٠، الدكتور فؤاد دهمان، مطبعة جامعة دمشق: ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).

العناية الَّتي أَحاطته بها عائلته منذ طفولته، لم يتقن لغته القوميَّة جيداً، ولم يكن يعرف شيئاً حتَّى وصوله سدَّة الحكم لولاية تكساس عن باقي دول وشعوب العالَم، كان يشرب الخمر كثيراً، ويتعاطى المخدِّرات.

ويذكر الكاتب (جيمس هاتفليد) محضر ضبط شرطة تكساس الَّتي أوقفته في شهر تشرين الأوَّل (أُكتوبر) عام ١٩٧٢م، لحيازته كمِّيَّة من الكوكائين بعد تعاطيه جزءاً منها، والحادثة لم تأخذ مداها أبعد من محضر الشُّرطة، لأنَّ العائلة المتنفِّذة، أَلقت بثقلها على النِّيابة العامَّة، فاحتوت الموضوع، ودفنته في محفوظات الشُّرطة، بهدف أن تجنِّبَهُ صدور أيٍّ حكم قضائي قد يحرمه من حقوقه المدنيَّة.

أُثيرت القضيَّة من جديد عام ١٩٩٩م، والابن المدلَّل مقبلٌ على أعتاب البيت الأَبيض، وكان إِحياء هذه المسأَلة كافياً لإثارة غضب عائلة بوش وسخطها، فجمعت قواها لخوض معركة شرسة، مع كلٍّ من له علاقة في إثارة هذه القضيَّة من جديد، خصوصاً وأنَّ (جيمس هاتفليد) أَضحى بمجرَّد طرح كتابه للبيع، أَهمَّ مادَّة للحوار والجدل عبر الصَّفحات الأُولى للصُّحف الأَمريكيَّة، وعبر الشَّاشات المختلفة، وبسبب الجدل الَّذي أثاره بين الأَوساط المثقَّفة، حقَّق منذ أَيَّامه الأُولى أَفضل المبيعات (بيست سيلس Best Sales)، وراح ينتشر انتشار النَّار في الهشيم.

شكَّلت عائلة بوش برئاسة الأَب (خليَّة أَزمة) لمواجهة الكارثة، وتمكَّن (جيمس هاتفليد) من خداع (كارل روف) المنسِّق العام للحملة الانتخابيَّة آنذاك، وسكرتير عام البيت الأَبيض الآن، بإخفائه تفاصيل ما كتبه في كتابه، وطمأنه بأَنَّه دوَّن السِّيرة الذَّاتيَّة الحميدة لمرشَّح الرِّئاسة جورج بوش الابن.

ولمَّا صدر الكتاب، راح فريق يتَّصل بوسائل الإِعلام والمثقَّفين لاحتواء فضيحة تعاطي المخدِّرات، إِنَّها (طيش شباب) تحصل في أَيَّة

عائلة، ما من شاب إلاَّ ويتعرَّض لمثل هذه المنزلقات في بداية حياته، لكنَّه سرعان ما يعود فيستقيم بفضل العين السَّاهرة للأَبَوَيْن، إنَّها مرَّة واحدة، والشُّرطة بالغت في تقريرها آنذاك.

وفريق آخر لازم صاحب دار النَّشر، فتمكَّن من إقناعه (ديمقراطيّاً) بسحب نحو مئة أَلف نسخة متبقيَّة في مكتبات الولايات المتَّحدة في يوم واحد، طبعاً قُبَالة مبلغ من المال يعادل أَرباح صاحب الدَّار النَّاشرة للسِّنين المتبقيَّة من حياته، كان العَرْض بهذه الصِّيغة: خُذ تقاعدك منّا، اسحب النُّسخ المتبقيَّة وأَغلق دار النَّشر، ووقِّع على تعهُّد تصرِّح فيه أنَّ قيامك بهذه الإجراءات كان لثبوت مغالطات في الكتاب، وهذا ما حصل، مع أنَّ مغالطات الكتاب إن وُجِدَت، فالمؤلِّف هو مسؤول عنها، ولماذا لم يتحقَّق منها قبل طبعه ونشره، وقبل هذا العَرْض السَّخي؟

وفي اليوم نفسه، كان فريق آخر أَكثر غلظة يفاوض المؤلِّف (جيمس هاتفليد) على التَّراجع عن بعض المعلومات المتضمَّنة في الكتاب، وإِعلان تلك الأَخطاء في مؤتمر صحفي، إلاَّ أَنَّ الإغراءات لم تجد نفعاً مع الكاتب مثلما أَفلحت مع صاحب دار النَّشر، فآثر الثَّبات على موقفه، وعدم جعل نفسه أُضحوكة أَمام قرَّائه في المؤتمر الصَّحفي الَّذي أَعدُّوه لهذه الغاية.

رفض (جيمس هاتفليد) العرض، وردَّ على تهديداتهم بإِعلان ما تلقَّاه من تهديدات وإِغراءات بهدف شرائه أَمام الصَّحافة لاحقاً، لكنَّهم كانوا أَسرع منه، لقد تمَّ العثور على جثَّة (جيمس هاتفليد) مقتولاً في أَحد الفنادق الصَّغيرة (الاستراحات: الموتيلات) بعد أَيَّام قليلة.

محضر ضبط الشُّرطة الَّتي حقَّقت في الحادث، عدَّتها عمليَّة انتحار، لكنَّ عائلة المغدور لا تزال ترافع في المحاكم لإثبات أَنَّ ما حصل كان اغتيالاً بدم بارد، ليقينهم بأَنَّ (جيمس هاتفليد) لا يمكن أن يُقْدِم على

الانتحار، لأنَّه لم يكن يعاني من مشكلة أو أزمة كما يعلم كلُّ من كان حوله، إنَّه اغتيل لرفضه أن يزوِّر التَّاريخ، وأن يبيع نفسه لهؤلاء القَتَلَة.

إنَّ عائلة (جيمس هاتفليد) ظلَّت تحتفظ سرّاً بنسخة عن المخطوطة الأصليَّة الَّتي تمَّ إتلافها في دار النَّشر، ورغبة منها في الانتقام من القاتل الَّذي يعدُّ نفسه فوق القانون، ويمنع أزلامه، أي قاضي تحقيق، تولِّي إعادة النَّظر بتقرير الشُّرطة وتشريح الجثَّة، وبعد ستّ سنوات من المحاولات واصطدام أُسرة هاتفليد بجدار من اليأس في تحقيق العدالة، في بلد يُصَدِّر أُنموذجه الخاص للحرِّيَّة والدِّيمقراطيَّة بالقوَّة المسلَّحة، قرَّرت إعادة فضح العائلة المجرمة، ولكن بعيداً عن شواطئ القارة الأمريكيَّة، حيث تولَّت دار نشر سويسريَّة ترجمة الكتاب إلى الفرنسيَّة، وطرحه في جميع مكتبات أُوربّة.

هل ستسكت العائلة (آل بوش) عن عودة الفضيحة من جديد؟ أم أنَّها ستفقد توازنها كما في المرَّة السَّابقة، ويكون العقاب ليس لدار النَّشر والمترجمين الجريئين فقط، بل ربَّما لسويسرة، إنْ في مهاجمتها تحت ذريعة محاربة الإرهاب، أو بمعاقبتها اقتصاديّاً تحت ذريعة أُخرى! فقد حفظ العالم المعزوفة (السِّيمفونيَّة) الَّتي تعزفها الخارجيَّة الأمريكيَّة، حينما تُقَرِّر معاقبة جهة في بلد ما، إذ تعاقب الشَّعب بأكمله[١].

لن ننسى القنابل العنقوديَّة

لم تبخل (إسرائيل) في حربها على لبنان بأيِّ نوع من الأسلحة لتدميره بحقد وتشفٍّ، فجسر (صوفر) قصفه الطَّيران الإسرائيلي فعطَّل المرور عليه كلِّيّاً، ولكنَّه عاد لقصفه أربع مرَّات، حتَّى دمَّر قواعده، وهذا دليل التَّدمير

(١) تشرين، الأحد ٢٧ آب ٢٠٠٦م، ثقافة وفنون، أ. سعيد هلال الشَّريفي.
Email: daily @ teshreen. com

للتّدمير بوحشيّة متميّزة، حتّى الفرن الّذي كان يقدّم الخبز للنّازحين إلى صيدا قُصِف.

ومع قتل أكثر من ألف مدني، واستهداف الأطفال الّذين شكّلوا أكثر من ٣٠٪ من ضحايا الحرب العدوانيّة الإسرائيليّة[١]، أعلن أسعد الذّر منسّق عمليّة نزع الألغام في برنامج الأمم المتّحدة في الجنوب اللّبناني، أنَّ (إسرائيل) ألقت خلال عدوانها على لبنان ٢٠٠ ألف قذيفة من أنواع مختلفة، وقال: إنَّ ٢٠ ألف قذيفة إسرائيليّة لم تتفجّر، هذا غير القنابل العنقوديّة الّتي أُلقيت بشكل عشوائي في أكثر من مكان في الجنوب، والّتي أدانها كوفي عنان في أثناء زيارته للمنطقة في ٣١/٨/٢٠٠٦م، ولكن دون عقوبات، ١٠٠ ألف قنبلة من القنابل الملقاة لم تنفجر بعد، ممّا جعل معظم بلدات الجنوب وقراها مزروعة بالألغام والقنابل العنقوديّة والقذائف غير المنفجرة.

إن اثني عشر شهيداً سقطوا منذ توقُّف العدوان الإسرائيلي، وأُصيب (٢٥) شخصاً بجروح مختلفة جرّاء انفجار القنابل العنقوديّة، والأجسام الغريبة في مناطق الجنوب اللّبناني.

في برلين أيّد (بيتر شتروك) رئيس المجموعة البرلمانيّة للحزب الاشتراكي الدّيمقراطي في ألمانية مطالبة (هايده ماريا فيتسوريك تسويل) وزيرة مساعدة التّنمية والتّعاون الاقتصادي، الّتي تنتمي إلى الحزب نفسه، أن تقوم الأمم المتّحدة بالتّحقيق في استخدام الجيش الإسرائيلي للقنابل العنقوديّة خلال حربها على لبنان.

وقال (شتروك) في تصريحات لصحيفة (فرانكفورتر روندشاو): إنَّ تحقيق الأمم المتّحدة الّذي طالبت به (تسويل)، من الممكن أن يفيد الجميع.

---

(١) بدأ العدوان في ١٢/٧/٢٠٠٦م، واستمر هذا حتّى قرار وقف إطلاق النّار في ١٤/٨/ ٢٠٠٦م، لقد استمر ٣٣ يوماً.

وكان المجلس المركزي لليهود في ألمانية قد شنَّ هجوماً ضد الوزيرة الألمانيَّة بسبب مطالبتها هذه.

وتقدَّم (فرانك آين) النَّائب الدِّنماركي، والنَّاطق باسم حزب لائحة الوحدة اليساري، بدعوى ضد وزيرة الخارجيَّة الإسرائيليَّة (تسيبي ليفني) الَّتي زارت الدِّنمارك، بتهمة ارتكاب جرائم حرب في لبنان.

ونقلت (أ. ف. ب) عن (فرانك آين) قوله: إنَّ (ليفني) تمثِّل (إسرائيل) الَّتي ارتكبت دون أدنى شكٍّ جرائم حرب في لبنان، حيث قُتِل عدد كبير من المدنيِّين الأبرياء، كما حصل في قرية قانا، وعلينا بحسب القواعد الدَّوليَّة، واجب ملاحقة المسؤولين عن جرائم الحرب.

وأشار النَّائب الدِّنماركي إلى أنَّه رفض أن يتناول الغداء مع (ليفني) مؤكِّداً أنَّه من غير المقبول دعوة شخص ربَّما يكون مسؤولاً عن جرائم حرب، مضيفاً: يجب ألاَّ نقبل بأن يزور مجرمو حرب الدِّنمارك بكلِّ طمأنينة(١).

كما طالبت ٥٢ منظَّمة وهيئة عربيَّة بتجميد عضويَّة (إسرائيل) في هيئة الأمم المتَّحدة، لأنَّها منذ قيامها ارتكبت المذابح والاعتداءات، إنَّها كيان يخرق القانون الدَّولي، قاعدةً ثابتة يوميَّة، لا يمكن أبداً قبوله عضواً في الأمم المتَّحدة، بل يستحقُّ أن يتزعَّم كتلة التَّنظيمات الإرهابيَّة الدَّوليَّة(٢).

يوستن غوردر: أغلقْ فمَكَ

أثارت مقالة الكاتب النَّرويجي العالمي (يوستن غوردر) عاصفة وجدلاً حامياً غير مسبوق في النَّرويج، وتلقَّى (يوستن) هجوماً فظّاً قاسياً، حتَّى

(١) تشرين، العدد ٩٦٥٢، الأربعاء ٣٠ آب (أغسطس) ٢٠٠٦م.

(٢) الثَّورة، العدد ١٣٠٩٩، الخميس ٢٠٠٦/٨/٣١م.

قيل له في مقالات مناوئة له: «أغلق فَمَكَ»، وقيل له أيضاً: هذا أسوأ نصٍّ كتابيٍّ يقع بين يدي منذ كتاب كفاحي لهتلر، وقال ثالث متَّهماً (يوستن) بأنَّه مريض بالشَّرِّ، أو الزَّهايمر، أو بالاثنين معاً.

الرَّأي العام في النَّرويج وصل إلى مناوءة السِّياسة الإسرائيليَّة بشكل ملحوظ، فحزب اليسار الاجتماعي وهو يشكِّل ٧ - ٩٪ من النَّاخبين جزء مهم من حزب العمَّال (٣٢٪ من النَّاخبين)، وهو أكبر حزب في النَّرويج، إضافة إلى الحزب الشُّيوعي، وإلى مثقَّفين وأُدباء، وأساتذة جامعات، وصحفيِّين وباحثين يختصُّون بالشَّرق الأوسط، وباللُّغة العربيَّة.

وبمناسبة النِّقاش المحتدم، أجرت صحيفة VG النَّرويجيَّة استطلاع رأي، أوضح أنَّ ٤٦,٦٪ من المستطلعين يدعمون (يوستن) في مناوأته للسِّياسة الإسرائيليَّة، بينما ٣٣,٦٪ لا يرون ذلك، وإن ٦٠,١٪ يرون أن لا حقَّ لإسرائيل في العدوان على لبنان، بينما يرى ٢٤,٤٪ أن لها هذا الحقّ، يحدث هذا في بلد كان وإلى عهد قريب داعماً حيويّاً لإسرائيل.

وعلى الرَّغم من شراسة الهجمات على (يوستن) فإنَّه لم يتراجع.

وأُرسلت ترجمة إلى دار الفكر، قدَّمها السَّيِّد محمَّد حاج صالح، وكانَ ممَّا جاء فيها: إنَّني لاحظت أنَّ الصَّحافة العربيَّة لم تهتمّ بالقدر الكافي بالمقال الحدث، والأهمُّ أنَّ أيّاً من الصُّحف العربيَّة الرَّئيسيَّة لم ينشر النَّصَّ، لذلك فإنَّني شديد التَّوق لأن أرى النَّصَّ كاملاً منشوراً باحترام يليق بهذا الكاتب الشُّجاع، ويليق أيضاً بخدمة الثَّقافة العربيَّة والعالميَّة، ويعطي إشارة بأنَّ العرب جديرون بالتَّفاعل مع الاتِّجاهات الثَّقافيَّة المستجدَّة في العالم، فكيف والأمر يتعلَّق بمصلحة ثقافيَّة مباشرة للعرب؟!

وقبل تقديم التَّرجمة كاملة، نعرِّف بالكاتب:

إنَّه (يوستن غوردر) في الرَّابعة والخمسين من عمره، وُلِدَ في أُوسلو عام ١٩٥٢م، لأبٍ يعمل مديراً، وأُمٌّ تعمل مدرِّسة ومؤلِّفة لكتب الأطفال، درس في جامعة أُوسلو اللُّغات الإسكندنافيَّة وعلوم اللاَّهوت، أوَّل كتاب نُشِرَ له: (التَّشخيص وقصص أُخرى) عام ١٩٨٦م، وتبع ذلك نَشرَ كتابين للأطفال بعنوان (ضفدع القلعة) عام ١٩٨٨م، والثَّاني بعنوان (غموض السُّوليتر) عام ١٩٩٠م، وقد حاز على جائزة من وزارة الثَّقافة والشُّؤون العلميَّة للآداب، ثم عبر إلى العالميَّة بسرعة قياسيَّة، إثر نشر روايته (عالم صوفي) عام ١٩٩١م، وهي رواية تقع بين الأُسلوب التَّعليمي الفلسفي والفنِّ الأدبي، بيع منها ٢٦ مليون نسخة، وترجمت لأكثر من خمسين لغة، وله أيضاً (مايا) الَّتي ترجمها إلى العربيَّة عن الإنكليزيَّة الأُستاذ ياسين الحاج صالح، وأخيراً رواية (سيركوس داريكت توزنر) عام ٢٠٠١م.

أَسَّس وزوجته (سيري داني فيغ) مؤسَّسة مبدعة رائدة أسماها (صوفي) من أجل بيئة قابلة للتَّعزيز، والمؤسَّسة تمنح جائزة (صوفي)، وهي ١٠٠ ألف دولار سنويّاً.

المقال تحت عنوان: شعب الله المختار، وهذا نصُّه:

لا درب للعودة: إنَّه الوقت المناسب للتَّمرُّن على وظيفة جديدة، نحن لم نعد نعترف بدولة إسرائيل، وما كان لنا أن نعترف بنظام الفصل العنصري في جنوب إفريقية، ولا بنظام طالبان الأفغاني، كثيرون منَّا لم يكونوا يعترفون بعراق صدام حسين، أو بالتَّطهير العرقي الَّذي قام به الصِّرب، والآن علينا أن نعتاد على الفكرة القائلة: إنَّ دولة إسرائيل الحاليَّة ما هي إلاَّ تاريخ.

نحن لا نعتقد بمفهوم شعب الله المختار، نحن نضحك من تولُّع ونواح هذا الشَّعب على آثامه، التَّبدِّي كشعب الله المختار، ليس غباوة وعجرفة فحسب، وإنَّما إجرام ضدّ الإنسانيَّة، نحن نسمِّيه عنصريَّة.

هناك حدود للتَّسامح: هناك حدود لتحمُّلنا، وحدود لتسامحنا، نحن لا نؤمن بالوعود الإلهيَّة كتبرير للاحتلال والعنصريَّة، نحن وضعنا القرون الوسطى خلف ظهورنا، نحن نضحك بشيء من الحرج من أُولاء الَّذين ما يزالون يعتقدون أنَّ إله النَّبت والحيوان والمجرَّة، قد اختار شعباً بعينه مفضَّلاً ومانحاً إيَّاه ألواحاً حجريَّة مضحكة، وأجمات متَّقدة، وإذناً للقتل[١].

نحن نسمِّي قتلة الأطفال بقتلة الأطفال، ولا نقبل أن تكون مملكة الرَّب، أو التَّفويض التَّاريخي عذراً لصنائع خزيهم، نحن نقول بتجرُّد: عار للعنصريَّة كلِّها، عار للتَّطهير العرقي، العار كلُّه لضربات الإرهاب ضد المدنيِّين سواء اقترفت من قبل حماس[٢]، أم من حزب الله[٣]، أم من دولة إسرائيل.

فنٌّ حرب وسواسي: نحن نعترف ونأخذ على أنفسنا عمق مسؤوليَّة أُوربة عن قسمة اليهود، وعن المضايقة المشينة، وعن المذابح والهولوكوست[٤]، كان من الضَّرورة تاريخيّاً وأخلاقيّاً أن يحصل اليهود على وطن خاصٍّ بهم، لكن دولة إسرائيل، وقد حازت على مهارة حربيَّة وسواسيَّة، وأسلحة ، ذبحت هويتها الخاصَّة، إنَّها أثمت بانتظام بحقِّ الشَّعب، وبحقِّ الاتِّفاقيَّات الدَّوليَّة، وبحقٍّ ما لا يُعَدُّ من قرارات الأُمم المتَّحدة، ولا يمكنها مجدَّداً أن تترقَّب حماية من الجهات نفسها، إنَّها قد خرقت بقصفها اعتراف العالم، لكن لا تفزعوا، ساعة الشِّدَّة قاربت النِّهاية، دولة إسرائيل أسَّست سويتو Soweto جديد.

---

(١) إشارات إلى استلام موسى للشَّريعة اليهوديَّة على جبل سيناء من الرَّبِّ.

(٢) لقد حصرت حماس عمليَّاتها العسكريَّة في الأرض المحتلَّة فقط، ولم تقصد قتل مدنيٍّ قط، وإن كان شعب إسرائيل شعباً عسكريّاً كلُّه رجالاً ونساءً، والجندي الأسير أُخذ من دبَّابته.

(٣) حزب الله ما وجَّه صواريخه لمدنيِّين مطلقاً، بدليل أنَّ نسبة القتلى المدنيِّين لا تتجاوز ٥٪ في الأرض المحتلَّة، وهي نسبة مقبولة جداً، فاحتمال خطأ الإحداثيَّات وارد، وقد اعتُذِر من ذويهم، أمَّا أن تكون نسبة القتلى المدنيِّين في لبنان بصواريخ إسرائيل أكثر من ٩٠٪ فهذا عمل مقصود مبيَّت.

(٤) إن صحَّت حوادثه وأرقامه (المقدَّسة) الَّتي لا تناقش.

نحن الآن عند الماء الفاصل[١]، ولا طريق للعودة، دولة إسرائيل قد اغتصَبَت اعتراف العالم، ولن تحصل على سلام ما لم تضع سلاحها.

بلا دفاع، بلا ستر: على الرُّوح والكلمة أن تنفخ على جدران إسرائيل العنصريَّة، لتقلبها رأساً على عقب، دولة إسرائيل لن تعيش، إنَّها بلا دفاع الآن، بلا ستر، لذا يتوجَّب على العالم أن ينظر بعين الرَّحمة إلى السُّكَّان المدنيِّين، لأنَّه ليس ضد أُناس بسطاء مدنيِّين يتوجَّه حكم نبوءاتنا[٢].

نحن نريد الخير لكلِّ الشَّعب في إسرائيل، كَلَّ الخير، لكنَّنا نحتفظ بحقِّنا بألّا نأكل برتقال يافا، طالما مادام طعمه كريهاً، ومادام سامّاً، وإنَّه لمن الممكن العيش سنين دون هذا العنب العنصري الأزرق.

إنَّهم يحتفلون بالانتصارات: نحن نعتقد أنَّ إسرائيل لا تتفجَّع على أربعين طفلاً لبنانيّاً مقتولاً من ندبها لثلاثة آلاف من السِّنين على أربعين سنة في الصَّحراء[٣]، نحن ندوِّن أنَّ كثيراً من الإسرائيليِّين يحتفلون بمثل هذه الانتصارات، مثلما احتفلوا مرَّة بالمعاناة الَّتي أرسلها الرَّب، كعقاب مناسب للشَّعب المصري[٤]، (في هذه الحكاية بدا السَّيِّد ربُّ إسرائيل كساديٍّ لا يكتفي)، نحن نتساءل إذا ما كان أكثر الإسرائيليِّين يرون أنَّ حياة إسرائيليَّة واحدة أثمن من حياة أربعين فلسطينيَّة أو لبنانيَّة.

---

(١) إشارة إلى حيول الماء بين بني إسرائيل والمصريِّين في أثناء هروبهم من مصر، حسب التَّوراة.

(٢) بنى الكاتب أسلوب كتابة النَّصِّ على تقمُّص نبي أو متنبئ أو حَبْر يهودي قديم، بعضهم يقول: إنَّه خليط من نبيٍّ عادي من أنبياء إسرائيل الكُثُر والسَّيِّد المسيح، وعلى لسان هذا النَّبيِّ الممزوج برؤية شخصيَّة عالِمة في القرن الواحد والعشرين يجري الكلام محذِّراً، بعضهم رأى أنَّ الصَّوت في النَّصِّ ما هو إلاَّ تقمُّص لصوت يسوع دون غيره.

(٣) إشارة إلى التِّيه اليهودي في الصَّحراء، والأربعون طفلاً لبنانياً قتلى قانا الثَّانية.

(٤) إشارة إلى أنواع العذاب العشرة الَّتي طبَّقها ربُّ موسى على المصريِّين، وهي عقوبات انتقاميَّة شديدة القسوة.

ولأنَّنا رأينا صوراً لفتيات إسرائيليَّات صغيرات وهنَّ يكتبن حقداً على القنابل الَّتي ستطلق على السُّكَّان المدنيِّين في لبنان وفلسطين، فإن هؤلاء الإسرائيليّات الصَّغيرات لسن عذبات، ما دُمْن يتبخترن من البهجة على الموت والعذاب في الجهة الأُخرى من الجبهة.

انتقام ثأر الدَّم: نحن لا نعترف بخطاب دولة إسرائيل، نحن لا نعترف بلولب الانتقام الدَّموي على طريقة «العين بالعين، والسِّنُّ بالسِّنِّ»، نحن لا نعترف بمبدأ: عشر عيون، أو ألف عين عربيَّة من أجل عين إسرائيليَّة واحدة، نحن لا نعترف بالعقاب الجماعي، أو بعلاج التَّنحيف للنَّاس كسلاح سياسي، ألفان من السِّنين ولَّت منذ أن انتقد متنبِّئ يهودي[1]، هذه العقيدة المتحجِّرة «العين بالعين، والسِّنُّ بالسِّنِّ»، قال: «مثلما هي رغبتكم في أن يعمل الآخرون لأجلكم، اعملوا أنتم أيضاً لأجلهم».

نحن لا نعترف بدولة تتأسَّس على مبادئ ضد الإنسانيَّة، وعلى يباب دين محلِّي عتيق، دين حرب، أو مثلما أوضح (ألبرت شفايتزر): «الإنسانيَّة لا تعني أبداً أن يضحِّي إنسانٌ من أجل قضيَّة».

رحمة وغفران: نحن لا نعترف بمملكة داود القديمة أُنموذجاً لخريطة الشَّرق الأوسط في القرن الواحد والعشرين، هذا المتنبِّئ اليهودي أكَّد قبل ألفي سنة أنَّ مملكة الرَّبِّ ليست تشييداً حربيّاً متجدِّداً لمملكة داود، وإنَّما مملكة الرَّبِّ فينا وبيننا، مملكة الرَّبِّ رحمة وغفران.

ألفان من السِّنين ولَّت منذ أن وضع هذا المتنبِّئ اليهودي سلاحه، وأنسن كلِّيّاً بلاغة الحرب القديمة، وسلفاً في زمنه، اشتغل أوائل الإرهابيِّين الصَّهاينة.

إسرائيل لا تصغي: خلال ألفي عام عبّأنا نحن منهاج الإنسانيَّة، لكن

(١) لعلها إشارة إلى المسيح.

إسرائيل لا تصغي، لم يكن الفريسيُّ[١] هو من ساعد الرَّجل[٢] الَّذي انطرح على حافة الطَّريق بين جمع اللُّصوص، لقد كان سامريّاً[٣]، وكنّا سنقول عنه اليوم: إنَّه فلسطيني، أوّلاً وقبل كلّ شيء نحن بشرٌ، مسيحي، مسلم، يهودي، أو مثلما قال ذاك المتنبِّئ اليهودي: أين الرِّفعة في أن تحيُّوا بودٍّ من يخصُّونكم فقط»، نحن لا نقبل اختطاف جنود، لكنَّنا لا نعترف بترحيل مجاميع من النَّاس، ولا بخطف أعضاء برلمان منتَخَبين وشرعيِّين، ولا أعضاء حكومة أيضاً.

نحن نعترف بدولة إسرائيل ١٩٤٨م، لكن ليس إسرائيل ١٩٦٧م، إنَّها هي دولة إسرائيل الَّتي لا تعترف، ولا تحترم ولا تنحني لدولة إسرائيل ١٩٤٨م الشَّرعيَّة، إسرائيل تريد مزيداً، تريد دماء أكثر، وبلدات أكثر، من أجل بلوغ هذا يريد بعضهم - وبمعونة الرَّب - حلاً نهائيّاً للمسألة الفلسطينيَّة[٤].

الفلسطينيُّون لديهم أوطانٌ أخرى كثيرة جدّاً، دفعت بهذا شخصيَّات إسرائيليَّة أساسيَّة [للقول]: نحن لدينا فقط وطن واحد.

أمريكة أَم العالم؟: أو مثلما يعبِّر المدافعون الغلاة عن دولة إسرائيل: «ليُبارك الرَّبُّ أمريكة»، لقد كانت طفلة صغيرة من غصَّ بهذا، فالتفتت نحو أُمِّها وقالت: «لماذا يختتم الرَّئيس دوماً خطاباته بالقول: ليُبارك الرَّبُّ أمريكة؟ لماذا لا يقول: ليُبارك الرَّبُّ العالَمَ؟»

---

(١) الفريسيُّ: واحد الفريسيِّين، فئة يهوديَّة ضيِّقة النَّظرة.

(٢) الرَّجل: المرجَّح أنَّه يقصد المسيح، وهذه إحدى عذاباته.

(٣) السَّامري: واحد السَّامريِّين، حسب التَّوراة هم سكَّان إقليم السَّامرة، أكثر اليهود لا يعترفون بالسَّامريِّين يهوداً، لا تزال مجموعة صغيرة منهم تعيش في فلسطين، للسَّامريِّين توراتهم الخاصَّة، وفي تاريخهم عداء لليهود، وفي تاريخ اليهود عداوة شديدة لهم.

(٤) وهنا وعلى الأغلب يستعير الكاتب المقولة النَّازيَّة عن الحلِّ النِّهائي للمسألة اليهوديَّة، وهو ما أدَّى عمليّاً إلى الهولوكوست.

ذات مرَّة أفشى شاعر نرويجي نهدة قلبيَّة بريئة كالتَّالي: «لماذا تتقدَّم الإنسانيَّة ببطء شديد؟»، وكان هو وبجمال خارق من كتب عن (اليهودي) و (اليهوديَّة)، لكنَّه هو أيضاً من رفض مفهوم شعب الله المختار، حتَّى إنَّه سمَّى نفسه بِ (المحمَّدي)[1].

تعقُّل وشفقة: نحن لا نعترف بدولة إسرائيل، لا اليوم، ولا في لحظة كتابتنا، ولا في ساعة الغضب والحزن، فيما لو كان على الوطن الإسرائيلي أن يسقط بسبب قسوة قبضته، وتوجَّب على مجاميع من السُّكَّان أن يفرُّوا من مناطقهم المحتلَّة عائدين إلى الشَّتات، فإنَّنا نحن نقول: يتوجَّب على المحيط أن يكون هادئاً وأن يظهر الحكمة في تلك اللَّحظة، إنَّها لجريمة أبداً ودوماً، ودون ظروف مخفَّفة أن توضع يدٌ على لاجئين بلا دولة.

سلاماً وأماناً للسُّكان المدنيِّين المرحَّلين الَّذين لم تعد لهم دولة تحميهم، لا تطلقوا النَّار على اللاَّجئين، لا تصوِّبوا نحوهم، إنَّهم الآن سريعو العطب مثل حلزون بلا قوقعة، سريعو عطب مثل قوافل بطيئة للاجئين فلسطينيِّين أو لبنانيِّين، إنَّهم الآن بلا دفاع مثل نساء وأطفال وشيوخ قانا، وغزَّة، وصبرا وشاتيلا، أعطوا اللاَّجئين الإسرائيليِّين غرفة سكن، أعطوهم حليباً وعسلاً!

لا تدعوا طفلاً إسرائيليّاً يغرَّم حياته، فقد قُتِل سلفاً أطفال ومدنيُّون أكثر من كثير.

* * *

(١) نسبة إلى النَّبيِّ محمَّد، في ثقافة الغرب الأقدم تعني النِّسبة محمَّدي: مسلم.

خَاتِمَةٌ

في مقابلة على فضائيَّة (الجزيرة)، قال مسؤول يهودي عند اجتياح غزَّة: أنا لا يهمُّني قتل الأطفال الفلسطينيِّين، لا يهمُّني إلاَّ أَمن إسرائيل، فردَّ عليه المحاور الفلسطيني: هنا اختلاف العقيدة والثَّقافة بيننا، أنا يهمُّني أن لا يؤذى أيُّ طفل في العالَم، ليس الطِّفل الفلسطيني فقط، إنَّه اختلاف في بنية الفكر والمعتقد.

هذا العدوّ الَّذي تأمره توراته بإبادة النَّاس، كلّ النَّاس، مع حيواناتهم وزروعهم، تدعمه أمريكة بأحدث أسلحة الدَّمار (القنابل الذَّكيَّة)، تشحنها علناً إلى الأرض المحتلَّة في أثناء حرب لبنان، «فليبارك الرَّبُّ أمريكة» الدَّاعمة لهذا الكيان العنصري، المتمرِّد على كلِّ القوانين والمعاهدات الدَّوليَّة، وبحماية أمريكة.

وعلى كلٍّ، الحمد لله الَّذي يعلم ما في القلوب، ولا تخفى عليه خافية، ويرى الفعال، فليس كلُّ من دعا تُسْتَجاب دعوته!



مجلس الأمن ومكاييل أمريكة

مقدِّمة

مجلس الأمن من أجهزة الأُمم المتَّحدة، غايته السَّهر على الأمن والسَّلام في العالم، يتألَّف من خمسة عشر عضواً، تصدر قراراته بتسعة أصوات، على ألاَّ يعارضها أحد الأعضاء الخمسة الدَّائمين، الَّذين لهم حقُّ (الفيتو): الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وروسية، وبريطانية، وفرنسة، والصِّين.

حقُّ النَّقض (الفيتو)، أي تقرير مصير العالم بمعارضة دولة واحدة فقط، ولو ارتأى أربعة عشر عضواً غير ذلك، ناهيك عن غياب تمثيل أمريكة الَّلاتينيَّة وإفريقية، والدُّول العربيَّة والإسلاميَّة.. من العضويَّة الدَّائمة.

ومن بين الدُّول دائمة العضويَّة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة الَّتي لا تخجل، وتصرُّ على تدليل (إسرائيل)، الَّتي تنتهك القانون الدَّولي في وضح النَّهار، وتستهزئ بالأُمم المتَّحدة، مع سجل إرهابي أَسود، تدافع عنه أمريكة بحقِّ (الفيتو)، وتنكر في الوقت ذاته على الشَّعب الفلسطيني ديمقراطيَّته، الَّتي أقرَّ بها جيمي كارتر رئيس أمريكة الأَسبق، والَّذي أشرف على الانتخابات الفلسطينيَّة.

(إسرائيل) حتَّى عام ١٩٩٨م ضربت بِ٦٩ قراراً دوليّاً ضدها في الأُمم المتَّحدة عُرْض الحائط، وحمتها الولايات المتَّحدة بحقِّ (الفيتو) من ٢٩ قراراً إضافيّاً. ممَّا جعلها دولة فوق القانون.

أعضاء الكونغرس الأمريكي بِمَجلِسَيْه الشُّيوخ والنُّوَّاب يقفون ثماني عشرة مرة لرئيس وزراء إسرائيل إيهود أُولمرت، حينما ألقى كلمته فيهم يوم الأربعاء ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٦م، مما ذكَّر العالم بستالين، وماوتسي تونغ، وكيم إيل سونغ.. قِفُوا، صَفِّقُوا، اقعدوا..

مشهد مبتذل وهزلي يدل على هيمنة اليهود على أمريكة.

ويشهد على أنَّ أمريكة محكومة من المنَّظمات الصُّهيونيَّة.

لم يصفِّق لأُولمرت قومه في الكنيست الإسرائيلي حينما ألقى خطابه لنيل الثِّقة، ولم يقفوا له مرَّة واحدة.

الإعلام الأمريكي لا يعرض في شاشاته المرئيَّة، أو صحفه المقروءة، ما يحدث في الأرض المحتلَّة والعراق وأفغانستان، الحادثة الاستشهاديَّة الفلسطينيَّة تفخَّم وتضخَّم (إرهاب) دون ذكر أسبابها من قَصْف مستمر، واغتيال للقيادات الفلسطينيَّة، وقتل للمدنيِّين الآمنين أطفالاً ونساءً وشيوخاً، حتَّى الطِّفل محمد الدُّرَّة أُلْبِسَ والده في الصُّور الَّتي وُزِّعت قبعة يهوديَّة، وقُدِّمت الحادثة الأليمة على أنَّها إرهاب فلسطيني ضد مدنيِّين يهود.

والفتاة هدى غالية، الَّتي قُصِفَت أُسرتها وهي تتنزَّه على شاطئ غزَّة، فمات الأب والأُم والإخوة، عُرِضَت على أنَّها فتاة يهوديَّة، قصف (الإرهابيون) المتوحِّشون أُسرتها، ومن يكذب بهذه وتلك، يكذب بكلِّ شيء.

وعلى الرَّغم من انتهاك (إسرائيل) لميثاق الأُمم المتَّحدة، وللقوانين الدَّوليَّة المعمول بها، تقف الولايات المتَّحدة في مجلس الأَمن، مسخِّرة (حقَّ الفيتو) لخدمة (إسرائيل)، لأنَّها لا ترى إلاَّ ما تراه (إسرائيل)، دون ضغط أو مناقشة أو حياء.

دمشق ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

١٢ تموز (يوليو) ٢٠٠٦م

أَمريكة واللُّوبي الصُّهيوني

أمريكة المؤيِّدة الدَّائمة لإسرائيل في مجلس الأَمن، تُسْكِت أيَّ صوت طفح الكيل به فانتقد سياستها، وطالبها بالاتزان والتَّعقُّل.

حتَّى المؤسَّسات العلميَّة العريقة، لا تسمح بانتقاد أَو تنبيه، أَو نشر حقيقة موثقة بأَرقام، فجامعة هارفارد رفعت اسمها من تقرير انتقد اللُّوبي الإسرائيلي، كتبه أُستاذان جامعيَّان، أَحدهما: جون ميرشايمر من مواليد بروكلين - نيويورك عام ١٩٤٧م، بروفيسور في قسم العلوم السِّياسيَّة بجامعة شيكاغو، من كتبه: (المأساة في سياسات القوى العظمى)، والآخر: ستيفن والت من مواليد ١٩٥٥م بروفيسور في الشُّؤون الدَّوليَّة في معهد كيندي بجامعة هارفارد، من كتبه: (*ترويض القوَّة الأمريكيَّة*).

أوضحت جامعة هارفارد في بيانها أنَّ «مؤلِّفَيْ ورقة العمل هذه وحدهما مسؤولان عن كل الآراء الَّتي وردت فيها»، وأضاف البيان، بأنَّ جامعة هارفارد: «المؤسَّسة الأكاديميَّة لا تؤيِّد أو تعارض آراء الأكاديمِيِّيْن فيها، لهذا يجب ألاَّ يفهم من هذا التَّقرير، أو يفسَّر على أنَّه بعكس الموقف الرَّسمي للجامعة».

وكان الدكتور جون ميرشايمر، والدكتور ستيفن والت قد أَصدرا مع بدايات سنة ٢٠٠٦م تقريرَ اللُّوبي الإسرائيلي والسِّياسة الخارجيَّة الأمريكيَّة، فصَّل التقرير الذي يتكوَّن من ثلاث وثمانين صفحة، خلفيَّة ما أَسماه معاملات خاصَّة لِـ (إسرائيل) منذ تأسيسها، وتناقضات السِّياسة الأمريكيَّة نحو (إسرائيل) مع سياسة أمريكة نحو دول أُخرى، حتى دول حلف النَّاتو، وأشار التَّقرير إلى تناقض القول بأنَّنا و(إسرائيل) نشترك في

مواجهة الإرهاب، ويُعَدُّ تحالفنا مع (إسرائيل) سبباً رئيسيّاً للإرهاب الَّذي نواجهه، وليس العكس[١].

ولأهميَّة التَّقرير، تُرْجم إلى العربيَّة تحت عنوان: (اللُّوبي الإسرائيلي والسِّياسة الخارجيَّة الأمريكيَّة)[٢]، ومما جاء فيه:

«إنَّ الدَّعم الَّذي قدَّمته الولايات المتَّحدة لأيَّة دولة في العالم؛ يبدو قزماً بالمقارنة مع الدَّعم الَّذي قدَّمته واشنطن إلى إسرائيل منذ حرب عام ١٩٧٣م، فإسرائيل أكبر متلقٍّ للدَّعم السَّنوي الاقتصادي والعسكري الأمريكي المباشر منذ عام ١٩٧٦، بل هي أكبر متلقٍّ لهذه المساعدات إجمالاً منذ الحرب العالميَّة الثانية، إذ بلغت هذه المساعدات أكثر من مئة وأربعين بليون [مليار] دولار أمريكي (بسعر الدُّولار في عام ٢٠٠٤)، تتلقَّى إسرائيل حوالي ثلاثة بلايين [٣ مليار] دولار سنويّاً مساعدة مباشرة، أي حوالي خُمْس ميزانيَّة العون الخارجي، أي ما يساوي خمس مئة دولار لكلِّ إسرائيلي سنوياً، يُعَدُّ هذا الإحسان مذهلاً، لأن إسرائيل اليوم دولة صناعيَّة غنيَّة، يساوي دخل الفرد فيها دخل الفرد في كورية الجنوبيَّة، أو في إسبانية.

تتلقَّى الدُّول الأخرى مساعداتها على أقساط ربع سنويَّة، أمَّا إسرائيل فتتلقَّى مساعداتها في أوَّل كلِّ سنة ماليَّة، وهي بذلك تستطيع الحصول على فوائد هذا العون، ومن المفروض أن تُنفق غالبيَّة المساعدات - وخاصَّة العسكريَّة منها - في الولايات المتَّحدة، إلاَّ إسرائيل؛ فيسمح لها استخدام حوالي ٢٥٪ من مخصَّصاتها لدعم صناعتها الدِّفاعيَّة، وهي

---

(١) تشرين، العدد ٩٥٢٣، الأربعاء ٢٩ آذار ٢٠٠٦م.

(٢) ترجمة الدكتور إبراهيم الشهابي بتكليف من دار الفكر، دمشق، ونشرته في تموز ٢٠٠٦م.

الدَّولة الوحيدة الَّتي لا يطلب منها كشف بكيفيَّة إنفاق المساعدات المقدَّمة إليها، الأمر الَّذي يجعل من المستحيل منع استخدام هذه الأموال في أغراض تعارضها الولايات المتَّحدة، كبناء المستوطنات في الضِّفَّة الغربيَّة، فضلاً على أنَّ الولايات المتَّحدة تزوِّد إسرائيل بحوالي ثلاثة بلايين [مليارات] دولار، لتطوير أنظمة التَّسلُّح لديها، وتتيح لها الحصول على أرقى وأحدث أنواع الأسلحة، كالحوَّامات من طراز بلاك هوك(Blak hawk) والنَّفَّاثات من طراز إف ١٦ (F-16)، وأخيراً تُتيح الولايات المتَّحدة لإسرائيل الحصول على معلومات استخباريَّة لا تتيحها لحلفائها في النَّاتو، وتغض الطَّرف عن امتلاك إسرائيل أسلحة نوويَّة.

كما تدعم الولايات المتَّحدة إسرائيل دبلوماسيّاً بصورة مستمرة، فمنذ عام ١٩٨٢، استخدمت الولايات المتَّحدة حقَّ الفيتو ضد قرارات محرجة لإسرائيل اثنتين وثلاثين مرَّة، أي أكثر من إجمالي المرَّات الَّتي استخدمت فيها دول مجلس الأمن الأُخرى حقَّ الفيتو» (ص ٨-١٠).

«قال أَحد المشاركين: في كامب ديفيد في عام ٢٠٠٠م، فيما بعد، ما يلي: غالباً ما كنَّا نتصرَّف كمحامٍ لإسرائيل» (ص ١٠)

«بدءاً من تسعينيات القرن العشرين، وبعد الحادي عشر من سبتمبر عُلِّلَ الدَّعم الأمريكي لإسرائيل بدعوى أَنَّ الدَّولتَيْن مهددتان من قبل المجموعات الإرهابيَّة المتأصِّلة في العالم العربي والإسلامي، كما أنَّهما مهددتان من (الدُّول الشِّريرة) الَّتي تدعم هذه المجموعات، وتسعى للحصول على أسلحة الدَّمار الشَّامل، وهذا يعني أنَّ أمريكة لا تكتفي بإطلاق يد إسرائيل في تعاملها مع الفلسطينيِّين وعدم الضَّغط عليها من أجل تقديم تنازلات حتَّى يتمَّ اعتقال (الإرهابيِّين) الفلسطينيِّين كلِّهم أو قتلهم، بل يعني أنَّها ستلاحِق دولاً أُخرى كإيران وسورية، وهكذا يُنْظَر إلى إسرائيل على أنَّها حليف حاسم في

الحرب على الإرهاب، لأنَّ أعداءها هم أعداء أمريكة، والواقع أنَّ إسرائيل هي مصدر إشكالات في الحرب على الإرهاب، وفي الجهود الأوسع للتَّعامل مع (الدُّول الشِّريرة)» (ص ١٢).

«إنَّ إسرائيل تقوم أيضاً بأكثر عمليَّات التَّجسُّس العدوانيَّة ضد الولايات المتَّحدة، أكثر ممَّا تقوم به ضد أيَّة دولة أُخرى، فبالإضافة إلى قضيَّة جوناثان بولارد (Jonathan Pollard)الذي زوَّد إسرائيل بكميَّات كبيرة من المواد المحظورة حفاظاً على الأمن القومي في مطلع ثمانينيات القرن العشرين (الَّتي مُرِّرت إلى الاتحاد السُّوفييتي لقاء تأمين تأشيرات خروج لليهود السُّوفييت)، قام جدل جديد في عام ٢٠٠٤ عندما تبيَّن أنَّ أحد المسؤولين الأساسيِّين في البنتاغون واسمه لاري فرانكلين (Larry Franklin) قد سرَّب معلومات محظورة كذلك إلى دبلوماسي إسرائيلي، ليست إسرائيل هي الدَّولة الوحيدة الَّتي تتجسَّس على الولايات المتَّحدة، بيد أنَّ رغبتها في التَّجسُّس على راعيها الرَّئيس يلقى ظلالاً من الشَّك على قيمة إسرائيل الاستراتيجيَّة لأمريكة» (ص ١٥)

مجلس الأمن والفصل السَّابع

أَوجب ميثاق منظَّمة الأمم المتَّحدة خضوع تنفيذ قرارات مجلس الأمن لإشراف ورقابة الأُمم المتَّحدة، ومنذ تأسيس المنظمة الدَّوليَّة حتَّى اليوم، في كلِّ الحالات الَّتي استُخْدِمَت فيها القوَّة العسكريَّة وبقرار من مجلس الأمن، فإنَّ القوات المشاركة كانت تتبع دولها، وليس مجلس الأمن، وهذا يعني تخلِّي المجلس عن دوره في الإشراف والمراقبة.

إنَّ المادَّة ٤٢ هي الوحيدة في ميثاق الأمم المتَّحدة الَّتي تنصُّ صراحة على تخويل مجلس الأمن أن يتَّخذ بطريقة القوات الجَّويَّة والبَّريَّة والبحريَّة

من الأعمال ما يلزم لحفظ السِّلم والأمن الدَّوليَّيْن، أو لإعادته إلى نصابه، وتطبيق هذه المادَّة يتطلَّب تحقيق شرطَيْن أساسيَّيْن:

١- أن يقرِّر مجلس الأمن أنَّ هناك حالة تهديد للسِّلم، أو خرقاً له، أو عدواناً، وهذا يعني أن تتحقَّق إحدى الحالات الَّتي تضمنتها المادَّة ٣٩ من الفصل السَّابع.

٢- أن يتمَّ عقد اتفاقيَّات خاصَّة بين مجلس الأمن، والدُّول الأعضاء، تتعهَّد بموجبها وبناء على طلب من مجلس الأمن أن تضع تحت تصرُّفه ما يلزم من القوَّات والتَّسهيلات اللأزمة لحفظ السِّلم والأمن الدَّوليَّيْن كما تنصُّ المادة ٤٣ من الميثاق، وهذا يعني أنَّ المادَّة ٣٩ هي المادَّة الأساسيَّة الَّتي يقرِّر فيها مجلس الأمن إذا كان قد وقع تهديد للسِّلم، أو إخلال به، وبموجبها يتمُّ اتخاذ تدابير استخدام القوَّة العسكريَّة تحت إمرة مجلس الأمن، من أجل الحفاظ على السِّلم والأمن الدَّوليَّيْن، أو لإعادته إلى نصابه، ويجب أن تكون هذه القوَّات تحت إمرة مجلس الأمن، وأنَّ قيادة هذه القوَّات تتلقَّى التَّعليمات من المجلس وحده، ويجب ألاّ تتجاوز هذه القوَّات الهدف الَّذي شُكِّلت من أجله.[1]

حدَّد الفصل السَّابع من الميثاق الأحكام الَّتي في إطارها يمكن اللُّجوء إلى استخدام القوَّة المسلَّحة، وأكَّد أنَّ لمجلس الأمن (وحده) السُّلطة لتقرير ما إذا كان قد وقع تهديد للسِّلم أو إخلال به، أو كان ما وقع عملاً من أعمال العدوان، وإذا ما قرَّر المجلس ذلك، يقدِّم توصياته، أو يقرِّر ما يجب اتِّخاذه من التَّدابير، طبقاً لأحكام المادَّتَيْن ٤١و٤٢ لحفظ السِّلم والأمن الدَّوليَّيْن، أو إعادتهما إلى نصابهما.

(١) التنظيم الدولي، محمد سعيد الدقاق، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ١٩٩٤، ص٣٤٤.

وعلماء القانون الدَّولي يقولون:

بموجب ميثاق الأُمم المتَّحدة، واجتهاد محكمة العدل الدَّوليَّة في قضيَّة ناميبيا لعام ١٩٧٠م، كلُّ ما يصدر عن مجلس الأمن من قرارات ملزم مادام منسجماً مع أهداف الأمم المتَّحدة ومبادئها، أمَّا الفصل السَّابع من الميثاق فخاص بحالات العدوان، واستخدام القوَّة، أو التَّهديد باستخدامها فقط.

ومنذ فترة قصيرة توسَّع مجلس الأمن - خطأً - في تفسير هذا الفصل، فعدَّ الإرهاب عدواناً، وبناء على هذا الخطأ، تمادى المجلس في خطئه، فأصدر القرارات الخاصَّة بلبنان ١٥٥٩و ١٥٩٥.. إلخ، وكلُّها خاطئة لأنَّها تمسُّ السيادة الدَّاخليَّة للبنان وسورية.

نعم صدر عن مجلس الأمن قرارات سليمة بحقِّ إسرائيل، وبموجب الفصل السَّابع، لكنها لم تنفَّذ، لأنَّ إسرائيل تعد حليفة أمريكة الَّتي تحكم العالم، من ذلك القرار ١٤٠٥، الَّذي نصَّ على «تشكيل لجنة تقصِّي حقائق في جنين» ولم يصدر عن المجلس قرارات ضد إسرائيل كان يجب أن تصدر بسبب الفيتو أو الضَّغط الأمريكي، وصدر عن مجلس الأمن خطأ قرارات بحقِّ الدُّول العربيَّة اعتبرت مقدَّسة، لأنَّ أمريكة تريد ذلك، هذه حال الدُّنيا والسِّياسة!

مقاومة مشروعة أم إرهاب محظور؟

ينصُّ القرار رقم ٢٠٣٤ الصَّادر بتاريخ ١٨/ ١٢/ ١٩٧٢ عن الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة على: «أنَّ أيَّة محاولة لقمع الكفاح ضد السَّيطرة الاستعماريَّة والأجنبيَّة والأنظمة العنصريَّة، هي مخالفة لميثاق الأمم المتَّحدة ولإعلان مبادئ القانون الدَّولي الخاصَّة بالعلاقات الودِّيَّة والتعاون بين الدُّول، وفقاً لميثاق الأمم المتَّحدة، وللإعلان العالمي لحقوق الإنسان».

والمقاومة: «قيام شخص بمفرده أو بالاشتراك مع جماعة طواعية، وبوازع الدِّفاع عن النَّفس والوطن، في عمليَّات الاشتباك المسلح العدائيَّة ضد قوات الاحتلال، دون أن يكون منتمياً إلى القوَّات المسلَّحة المنظَّمة».[١]

وترفض أمريكة ومعها إسرائيل وضع تعريف للإرهاب، ولو عُرِّف، لسطع نجم المقاومة للاحتلال عملاً مشروعاً مشرفاً، ولصُنِّفَت أمريكة وإسرائيل من الدُّول الراعيَّة للإرهاب دولياً.

تمييزٌ عنصريٌّ

صوَّت أكبر اتِّحاد للمدرسين والمحاضرين في بريطانيَّة في ٣٩ أيَّار (مايو) ٢٠٠٦م لمصلحة اقتراح بمقاطعة المحاضرين الإسرائيليِّين والمؤسَّسات الأكاديميَّة الإسرائيليَّة الَّذين لا يعلنون انفصالهم عن سياسات التَّمييز العنصري الإسرائيليَّة، وأبدى المندوبون إلى المؤتمر السَّنوي لاتِّحاد المدرِّسين والمحاضرين في التَّعليم العالي والمتقدِّم، والَّذي عُقِد في بلاك بول دعمهم لهذا الاقتراح، بالرَّغم من تصاعد الضُّغوط من قبل معارضي المقاطعة، ومن بينها التماس من الحكومة الإسرائيليَّة.

وتطرَّق المتحدثون في المؤتمر بعد إفشال محاولة كانت تهدف إلى منع نقاش الاقتراح، إلى الصُّعوبات الَّتي يعانيها الطَّلبة والمحاضرون الفلسطينيُّون الَّذين يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي، ومن ضمن ذلك تعرُّض المدارس لقذائف الجيش الإسرائيلي.

---

(١) شرعيَّة المقاومة في الأرض المحتلة ١/ ٢٩، مستخرج من دراسات في القانون الدَّولي، الجمعية المصريَّة للقانون الدَّولي ١٩٦٩م.

ونقلت صحيفة (الغارديان) البريطانيَّة عن توم هايكي المحاضر في مادَّة الفلسفة بجامعة (برايتون)، والعضو في اللَّجنة التنفيذيَّة صاحبة الاقتراح قوله: إنَّ أغلبيَّة الأكاديميِّين الإسرائيليِّين متواطئون، أو مذعنون لسياسة الحكومة الإسرائيليَّة في الأراضي المحتلَّة، وإنَّ تجاهل هذا التَّواطؤ أمر يستحقُّ اللَّوم.

وفي حين رحَّبت المجموعات المؤيِّدة للفلسطينيِّين بقرار المؤتمر الَّذي اعتبرته دليلاً على مواصلة الأكاديميِّين البريطانيِّين الوقوف في وجه الظُّلم، قابله معارضو المقاطعة بمشاعر الخيبة.

وكان تمَّ تقديم الاقتراح في اليوم الأخير للمؤتمر، وهو ينتقد بشدَّة سياسات التَّمييز العنصري الإسرائيليَّة، وبينها إقامة جدار الفصل العنصري في الأراضي الفلسطينيَّة المحتلَّة، وممارسات التَّمييز في التَّعليم.

فأمريكة تدعم دولة عنصريَّة.

وكانت الجمعيَّة العامَّة للأمم المتَّحدة، قد اتخذت قراراً في تشرين الثاني عام ١٩٧٥م، بأنَّ الصُّهيونيَّة (صانعة إسرائيل) نوع من أنواع العنصريَّة، ثم ضغطت أمريكة على الجمعيَّة العامة، فتراجعت عن قرارها عام: ١٩٩٠م، بعد شراء أصوات دول مغمورة ليست بالعير ولا النفير.

* * *

خاتمة

هدى غالية - سبعة أعوام - قُتِل والدها وأُمُّها وإخوتها الثَّلاثة، يوم الجمعة ٩/٦/٢٠٠٦م، وهم يتنزَّهون يوم عطلتهم على رمال شاطئ غزَّة، ورآها العالم وهي تصرخ بألم شديد: لا تتركوني وحدي، ولم يتحرك ضمير يُدين، ناهيك عن أن يردع، فكان صوتها صرخة في وادٍ.

ويوم الأحد ٢٥/٦/٢٠٠٦م أُسِرَ الجندي اليهودي جلعاد شليط بعمليَّة عسكريَّة قانونيَّة شرعيَّة بموجب القوانين الدَّوليَّة، وميثاق الأُمم المتَّحدة، فقامت الدُّنيا ولم تقعد، وتدمِّر إسرائيل البُنى التَّحتية في قطاع غزَّة، ويتحرَّك العالم لإطلاق سراح جلعاد شليط، وقوَّات الاحتلال تختطف أكثر من ستِّين رجلاً من حماس [١]، من بينهم ثمانيَّة من وزراء الحكومة الفلسطينيَّة، وأربعة وعشرون نائباً في المجلس التَّشريعي المنتخب، هذه ليست قرصنة في أرض محتلة، وليست إرهاباً... !

عشرة آلاف أسير فلسطيني ليسوا مشكلة، لا قيمة لهم، وبعضهم تجاوزت مُدَّة أَسْرِهِ ٣٢ سنة، أمَّا الجندي الإسرائيلي الَّذي أُسِرَ من ثكنته العسكريَّة، ومن دبابته، فدمه أزرق مقدَّس، تتحدَّث الدُّنيا كلُّها من أجل إطلاق سراحه، وعودته سالماً لأهله!!

وتدين منظَّمة العفو الدَّوليَّة في ١/٧/٢٠٠٦م تدمير إسرائيل للبُنى

(١) الخميس ٢٩/٦/٢٠٠٦م.

التَّحتيَّة في فلسطين، وقالت: «إن هذا العمل انتهاك للقانون الدَّولي، ويعدُّ جريمة حرب، فمن يحاسب إسرائيل على جرائمها، وأمريكة تدافع عنها في مجلس الأمن؟!»

وعلى الرَّغم من ذلك، استخدمت أمريكة حقَّ الفيتو يوم الخميس ١٣/ ٧/ ٢٠٠٦م، كي لا تُدان إسرائيل على أعمالها الإجراميَّة في غزَّة، بدعوى أنَّ القرار غير متوازن!

ويُعتَقَلُ الدكتور عزيز دويك، رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني صباح ٥/٨/٢٠٠٦م من داره في رام الله، وتُحتَجَزُ أسرته لساعات، وذنبه الوحيد: اختيار الشعب له في انتخابات ديمقراطية نزيهة، ولم تحتج المنظمات الدولية ومؤسساتها لهذا العمل المشين.

أثنى دان جيلرمان السَّفير الإسرائيلي لدى الأُمم المتَّحدة على جون بولتون السَّفير الأمريكي لدى الأُمم المتَّحدة، ووصفه بأنَّه عضو سرِّي في فريق (إسرائيل) لدى المنظَّمة الدَّوليَّة، ونقلت (رويترز) عن جيلرمان قوله في كلمة أمام اجتماع لمنظَّمة يهوديَّة في نيويورك في ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٦م: لقد انكشف السِّرُّ، إنَّنا لسنا خمسة دبلوماسيين فقط يعملون في بعثة (إسرائيل) لدى الأُمم المتَّحدة، إنَّنا ستَّة على الأقلِّ بما في ذلك بولتون.[١]

الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة لا ترى إلاَّ ما تراه إسرائيل، داخل مجلس الأَمن وخارجه والصَّمت العالمي مريب عجيب، والأعجب منه تبلُّد الشُّعور العربي، المتمثِّل بصمته وعدم مبالاته، فالأمر لا يهمُّه، ولا علاقة له به.



(١) تشرين، العدد ٩٥٧٠، تاريخ ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٦م.

التفرد بالقرار

تمهيد

عرف التَّاريخ الإنساني في مسيرته دولاً تفرَّدت بالقرار، وحكمت بقاعاً واسعة من العالم، كالرومان، والتَّتار، وأُوربة في عصر كشوفاتها الاستعماريَّة في القرن الخامس عشر الميلادي، والولايات المتَّحدة الأمريكيَّة في مطلع القرن الحادي والعشرين.

والتَّفرُّد بالقرار مسألة خطيرة، إن غُيِّبت القيم الضَّابطة، الَّتي توضِّح المبادئ والمنطلقات الإنسانيَّة الَّتي تحفظ العدالة، وترسِّخ حقوق النَّاس جميعاً، وتحدِّد ما لهم وما عليهم، مع عدالة وحرِّيَّة وإخاء إنساني يضمن الكرامة والأُلفة، لأنَّ الجبروت والظُّلم يولِّدان الحقد والعداء والعنف، وهذا ما نشاهده في عصرنا اليوم.

لقد تفرَّد المسلمون بالقرار في القرن السَّابع والثَّامن والتَّاسع الميلادي، أيَّام الخلافة الرَّاشدة، وفي العصر الأُموي، وفي عصر القوَّة أيَّام العبَّاسيِّين، ولكن ضمن قيم ضابطة لكلِّ النَّاس وإن اختلفت عقائدهم، وتنفيذاً لمنهج أخلاقي حفظ للشُّعوب كرامتها، وتبقى مسألة (سمرقند) قضية خالدة في القضاء الإسلامي، تثبت أن العدل للجميع، والرَّفاه للجميع، وها هي دولة الإسلام تحكم على نفسها بنفسها.

فإلى وجيز عن حكم الرُّومان وكيف عاملوا الشُّعوب الَّتي حكموها،

وما قضيَّة سمرقند في ظلِّ حكم الإسلام؟ وكيف تصرَّف الغرب في كشوفاته؟ وكيف تتصرَّف الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة اليوم؟ وما مصير القطب المتفرِّد بالقرار - في قادمات السِّنين - إن غيَّب القيم، وأُولاها العدل؟

سنن كونيَّة: العدل إذا دام عَمَّر، والظُّلم إذا دام دَمَّر، وصدق ابن خلدون حينما قال: «الظُّلم مؤذنٌ بخراب العمران»، لذلك هدف الإسلام أَوَّلاً وأَخيراً: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٥٧/٢٥]، فإذا قام النَّاس - كلُّ النَّاس - بالقسط، استقامت الحياة الكريمة.

دمشق الشَّام: ٦ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ،
٢ حزيران (يونيو) ٢٠٠٦.

* * *

لِمَ سقطت رومة؟

في كتاب (قصَّة الحضارة ١١/ ٤٠٥) تساءل مؤلِّفه وُل ديورانت: لِمَ سقطت رومة؟ وأجاب قائلاً: «الحضارة العظيمة لا يُقْضَى عليها من الخارج إلاَّ بعد أن تقضي هي على نفسها من الدَّاخل، وشاهد ذلك أنَّا نجد الأسباب الجوهريَّة لسقوط رومة في شعب رومة نفسه، أي في أخلاقها، وفي النِّزاع بين طبقاتها، وفي كساد تجارتها، وفي حكومتها الاستبداديَّة البيروقراطيَّة، وفي ضرائبها الفادحة الخانقة، وحروبها المهلكة».

في دولة الرُّومان، رومة وما حولها سادة، وبقية شعوب حوض البحر المتوسِّط عبيد، فمن الوجهة الرَّسميَّة القانونيَّة (المواطنون) هم أبناء إحدى القبائل الثَّلاث الأصليَّة في رومة، وهي: الإمبريون والسَّابيون واللاَّتين.

أو الَّذين تبنَّتهم إحدى هذه القبائل، إنَّ حقَّ (المواطنيَّة) يعني أن يكون المستمتع به عضواً من أعضاء الجماعة الصَّغيرة الَّتي لم تلبث إلاَّ قليلاً حتَّى حكمت جميع البلاد المحيطة بالبحر المتوسِّط، (قصَّة الحضارة ٩/ ٥٥).

الشَّخص الأوَّل في القانون الرُّوماني هو (المواطن)، وكان تعريفه عندهم هو أنَّه الشَّخص الَّذي ضُمَّ إلى إحدى القبائل الرُّومانيَّة بحكم المولد أو التَّبنِّي أو العتق أو المنحة من الحكومة، وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاث درجات:

١- المواطنون الكاملون الَّذين يتمتَّعون بالحقوق الأربعة: حقّ الاقتراع، حقّ التَّوظُّف، حقّ الزَّواج من حرَّة بمولدها، حقّ الدُّخول في تعاقد تجاري يحميه القانون الرُّوماني.

٢- المواطنون الَّذين لا حقَّ لهم في الاقتراع، وهم الَّذين يتمتَّعون بحقَّي الزَّواج والتَّعاقد، ولكنهم لا حقَّ لهم في الاقتراع، ولا في تولِّي المناصب.

٣- المعاتيق الَّذين يتمتَّعون بحقَّي الاقتراع والتَّعاقد، ولكنهم لا حقَّ لهم في الزَّواج بحرَّة وفي تولِّي المناصب.

وكان للمواطن الكامل المواطنيَّة فضلاً عن حقوقه السَّالفة الذِّكر، حقوق يضمنها له القانون الشَّخصي، ولا يشاركه فيها سواه.

وكان ثمَّة نوع آخر من الحقوق؛ هو حقُّ المواطنيَّة الإمكانيَّة، أو حقُّ الدُّخول في الحظيرة اللاَّتينيَّة، تمنحه رومة للأحرار من سكان المدن أو المستعمرات المفضَّلة، ويعطيهم حقَّ التَّعاقد، ولكنَّه لا يعطيهم حقَّ التّزاوج بالرُّوميَّات، (قصَّة الحضارة ١٠/ ٣٦٦).

وخضوع العبيد القانوني في دولة الرُّومان لسادتهم بلا قيود أو حدود[1]، (قصة الحضارة ١٠/ ٣٧٢)، ويقول ديورانت: «أسوأ وصمة يوصم بها القانون الرُّوماني، قانون الدَّولة السَّيدة ذات العقليَّة الممتازة»، (قصة الحضارة ١٠/ ٣٨٥).

و (قانون الأُمم)، أو (قانون الطَّبيعة) الَّذي حكم الشُّعوب في الولايات التَّابعة للدَّولة الرُّومانيَّة، طُبِّق من غير أن يعطي للشُّعوب حقَّ المواطنيَّة الرُّومانيَّة وغيرها من الحقوق المنصوص عليها في القانون المدني، (قصة الحضارة ١٠/ ٣٨٦).

(١) لذلك قامت ثورة العبيد، ثورة إسبارتاكوس (٧٣ - ٧١ ق.م)، الَّتي ضمت ١٢٠,٠٠٠ من العبيد الثَّائرين ضدّ أسيادهم الرومان، وعُرِفت بحرب الرَّقيق الثَّالثة، (قصة الحضارة ٩/ ٢٣٠).

قضيَّة في القضاء الإسلاميّ خالدة

فتح المسلمون مدينة سَمَرْقَنْد الَّتي اشتهرت في الإسلام بعد ذلك بأنَّها من مواطن الثَّقافة والحضارة الإسلاميَّة، فتحها سعيد بن عثمان في عهد الأمويِّين، ثمَّ فتحها عنوة بعد ذلك قتيبة بن مسلم الباهلي في عهد الوليد بن عبد الملك، سنة ٩٣ هـ، وهناك روايتان في سبب غزو قتيبة لها:

الرِّواية الأُولى تقول: إنَّ أهل سمرقند غدروا بالمسلمين وأجلوهم عنها، فردَّ قتيبة على صنعهم هذا، بالتَّوجُّه إليهم بجيش كبير فتح به بلدهم، وترك بها حامية كبيرة حتى لا يعاودوا الغدر بالمسلمين.

والرِّواية الثَّانية تقول: إنَّ سعيد بن عثمان فتحها صلحاً على مال يؤدُّونه قُبالة حمايتهم، فلمَّا مات، وتولَّى قتيبة بن مسلم الباهلي قيادة الجيوش الفاتحة لخراسان وما وراء النَّهر، استقلَّ هذا المال الَّذي يدفعونه، وفتح سمرقند عنوة دون أن يخطرهم بنقض العهد السابق، وإيذانهم بالحرب(١).

هاتان الرِّوايتان رواهما أبو عبيدة معمَّر بن المثنَّى المتوفَّى سنة ٢١٠ هـ، ولم يرجِّح واحدة منهما على الأُخرى، إلا أنَّ منطق الحوادث يؤكِّد رجحان الثَّانية على الأُولى.

قَبِلَ أهل سمرقند الأمر على مضض، ولما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ، وبلغ أهل سمرقند عنه ما ملأ أطراف الدَّولة وجوانبها من الحديث عن عدله ونصرته للحقِّ ووفائه وبغضه للظُّلم، قالوا

---

(١) الحادثة في تاريخ الطَّبري ٦/ ٥٦٧ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وقدَّمها الدكتور أحمد عبد المنعم البهي مقالة في مجلة العربي، العدد ٨٦ كانون الثَّاني (يناير) ١٩٦٦م.

لسليمان بن أبي السُّرِّي - والي سمرقند أيَّام عمر بن عبد العزيز -: «إنَّ قتيبة غَدَر بنا، وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأذن لنا فليَفِدْ منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظُلامتنا، فإن كان لنا حقٌّ أُعطيناه، فإنَّ بنا إلى ذلك حاجةً، فأذن لهم»، [الطبري ٦/ ٥٦٧]، فأنابوا عنهم وفداً يَلْقى الخليفة في دمشق، يشكو له ما كان من قتيبة معهم.

ولقي الخليفة وفدهم، فعرضوا الأمر عليه، وقالوا فيما قالوه: إنَّ قتيبة غدر بنا ظلماً، وأخذ بلادنا، والأمر إليك لترفع عنا ما نزل بنا على يديه.

وتناول الخليفة قرطاساً وقلماً، وكتب إلى سليمان بن أبي السُّرِّي، عامله على سمرقند كتاباً قال فيه: «إنَّ أهل سمرقند قد شكوا إليَّ ظلماً أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة»، [الطبري ٦/ ٥٦٨].

وعاد وفدهم بكتاب الخليفة إلى عامله على سمرقند، فأحال قضيَّتهم إلى القاضي جُمَيْع بن حاضر النَّاجي قاضي سمرقند، فاستمع إلى ظلامتهم، واستدعى شهودهم عليها، ثمَّ استدعى شهوداً من الجيش الَّذي حضر الموقعة مع قتيبة، فشهدوا بالحقِّ، شهدوا أنَّ قتيبة لم ينبذ إليهم عهدهم، بل فاجأهم بفتح بلادهم عنوة.

وحينما وضح هذا أمام القاضي، أصدر حكمه في هذه القضيَّة صريحاً لا غموض فيه، قويّاً ناطقاً بعدالة الإسلام، القطب المتفرِّد بالقرار، قال القاضي جُمَيْع: على الجيش الإسلامي الَّذي فتح سمرقند بقيادة قتيبة أن يتأهَّب للخروج منها فوراً، وكذلك يخرج منها المسلمون الَّذين دخلوها بعد الفتح.

لقد كان لهذا الحكم رجَّة في أنحاء سمرقند، إذ ما كان يتصوَّر أحدٌ أنَّ

تعاليم الإسلام تمضي على هذا النَّحو، وتعطي الحقَّ للقاضي أن يأمر الجيش بالخروج من بلد فتحه واستقر فيه، وأن تحكم الدَّولة على نفسها مُدِينةً إيّاها.

وأسرع الوالي يخطر الخليفة بالحُكْم ويطلب مشورته، فجاء الرَّدُّ بتنفيذ حكم القاضي بحذافيره، وعندئذ أصدر أمره إلى الجيش بالتَّأهُّب للرَّحيل، وإلى المسلمين المدنيِّين بمغادرة سمرقند.

وبينما هذا يجري على قدم وساق، والجيش يجمع أسلحته وأمتعته، ويفكُّ مخيَّماته، وبينما المسلمون المقيمون بسمرقند يودِّعون أهلها، ويحزمون أمتعتهم، ويعلنون بيع أملاكهم فيها، وإذا بمفاجأة تَجِدُّ لم تكن في الحسبان، لقد قال أهل الرَّأي في سمرقند: «بل نرضى بما كان، ولا نجدِّد حرباً.. قد خالطنا هؤلاء القوم، وأقمنا معهم، وأَمِنونا وأمنَّاهم، فإن حُكِمَ لنا عُدْنا إلى الحرب، ولا ندري لمن يكون الظَّفر، وإن لم يكن لنا كنَّا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة»، [الطبري ٦/٥٦٨]، وأرسلوا وفداً يمثِّلهم إلى الوالي، وأبلغوه أنهم تشاوروا فيما بينهم بعد هذا الحكم الَّذي ما دار بخلدهم لحظة واحدة، أنَّ تعاليم الإسلام لا تضيق بمثله، وأنَّهم ما كانوا يتوقَّعون أنَّ هناك قاضياً يجرؤ على مطالبة الجيش الفاتح بالجلاء عن بلد فتحه، وأنهم ما كانوا يتصوَّرون أنَّ القاضي يهمل في هذه القضيَّة عصبيَّته لقومه، ولا يعيرها اعتباراً ولا وزناً، وأنهم استبعدوا أن يأمر الخليفة بتنفيذ الحكم كما صدر، مع انصياع الجميع له، دون أن يكون هناك اعتبار لما يترتَّب على تنفيذه من عنت لمن صدر في شأنهم.

أمام هذا، وأمام حسن المعاملة الَّتي وجدوها من إخوانهم المسلمين المقيمين بسمرقند حال إقامتهم بها، لا يسعهم إلا أن يعلنوا عن تنازلهم عن حقِّهم، والمطالبة ببقاء الحال على ما هي عليه، لأنَّهم لن يخشوا بعد اليوم ضرّاً ينالهم.

وإزاء هذه الرَّغبة الصَّادقة من أهل سمرقند، وانضوائهم تحت راية الإسلام، والإخلاص لتعاليمه، والعمل على نشرها، والاستمساك بما أمرت به، والاعتصام بحبل الله المتين، غدت سمرقند بعد مركزاً من المراكز الإسلاميَّة، يأتيها الدَّاني والقاصي للتَّزود بزاد المعرفة من علمائها.

هذه قضيَّة خالدة في تاريخ الإسلام بلا جدال، ونوع فريد في قضايا العالم بلا خلاف، وإنها لصفحة مجيدة في تاريخ الإنسانيَّة يفخر بها كلُّ مسلم في كلِّ جيل، وفي كلِّ عصر.

الكشوف الجغرافيَّة

بدأت الكشوف البرتغاليَّة سنة ١٤١٨ م، حينما أبحرت السُّفن ناشرة أشرعتها، حاملة إلى الشُّعوب الإفريقيَّة جماعة من الرُّهبان، يبشِّرون بالعهد الجديد، ويعودون منها بكنوزها من الذَّهب والعاج والفلفل.. (في طلب التَّوابل، سونياي. هاو ص ١٠٦).

إنها الاستعمار (الاستدمار) باسم علمي لطيف: الكشوف الجغرافيَّة، ويكفي متابعة منطقة واحدة وصلتها هذه الكشوف؛ لنتعرَّف على أثر الدَّمار الَّذي حلَّ أينما وصلوا في إفريقية وآسية وأمريكة وأُسترالية، ونتساءل: ماذا فعل رعاة البقر بشعب أمريكة الأصلي (الهنود الحمر)؟

الجواب وبكلِّ بساطة عن هذا التَّساؤل: إبادة كاملة، القضاء على ثلاث حضارات مزدهرة، هي: الإنكا والمايا والآزتيك، مع سفن أُسبوعيَّة في قوافل منتظمة مستمرَّة لنقل الذَّهب والفضَّة إلى إسبانية والبرتغال.

الحديث عن الهنود الحمر حديث عن مأساة ٨٠ أو ١٢٠ مليون إنسان أبادتهم البندقيَّة الأُوربيَّة والمدفع، عن جريمة اشتركت فيها جميع القوى الأُوربيَّة وكان لها أكثر من جنكيز خان، وكانت عمليَّة من أفجع عمليَّات

الإبادة الجماعيَّة في التَّاريخ، باسم الكنيسة والمدنيَّة، على يد هذا الثُّنائي السَّاحق تمت العمليَّة، (المظلومون في التَّاريخ، د. شاكر مصطفى ١٢١).

«الحلف بين السَّيف والصَّليب دفعت ثمنه دماً تلك الملايين المنكودة الحظِّ في العالم الجديد، ودفعته أوَّلاً أشلاء وإبادة وسحقاً تحت الحوافر، ثمَّ دفعته تشويهاً لحضارتها ومكانها الإنساني، وتدميراً لعمرانها تحت ضغط العطش القاتل للذَّهب»، (المظلومون في التَّاريخ ١٢١).

وللأعمال الوحشيَّة المرتكبة، كإطعام الأطفال إلى الكلاب وشنقهم على جسد أُمَّهاتهم، يراجع كتاب: (فتح أمريكا لغرفيتان تودوروف)، حيث الرُّسومات الموضِّحة الَّتي لا تصدَّق.

وهذا ما جرى أيضاً في أُسترالية، حيث إبادة شعبها الأصلي (الأبورجيون).

لِمَ ستسقط أمريكة؟

البروفيسور يوهان جالتونج مدير معهد دراسات السَّلام العالمي في أُوسلو، تنبّأ بانهيار الاتِّحاد السُّوفييتي عام ١٩٨٠م، وقال: سينهار الاتِّحاد السُّوفييتي بعد عشر سنوات، وقد انهار كما تنبّأ تماماً، واليوم تنبَّأ بسقوط الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة بعد عشرين سنة، وللأسباب نفسها التي أَسْقَطَت الاتِّحاد السُّوفييتي: نظام بلا قيم، (مساء الأربعاء ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٦م، الجزيرة الفضائيَّة، برنامج بلا حدود، الأُستاذ أحمد منصور).

العدل حاجة بشريَّة ماسَّة، لا حياة ولا كرامة ولا حرمة دونها، لأنَّ الظُّلم إذا ساد في مجتمع انحلَّت فيه كلُّ قيم الحقّ، وديست فيه كرامة الإنسان.

العدل والقسط في الجهة المضادَّة للظُّلم والاستبداد، وأعظم مبدأ مناوئ للقهر والاستبداد

واليوم تجرَّد الغرب عن القيم البدهيَّة في معاملة الشُّعوب، وأفسد المنهج بمكاييله المتعدِّدة، فما يراه هنا يتناسب مع مصلحته يشجِّعه ويموِّله، والأمر ذاته يحارب في مكان آخر بعنفٍ ووحشيَّة، حتى الدِّيمقراطيَّة تحارب هنا، وتستغل هناك، وفق مكاييلَ خاصَّة بنتائجها.

تقدُّم تقني هائل، لكنَّه بلا كوابح، كأنَّه في ميدان سباق سيّارات ذات محرِّكات هائلة القوَّة، ولكنَّ هذه السَّيارات بكوابح درَّاجات عاديَّة، تقدُّم علمي عظيم، ولكن لا مستقر للنُّفوس لتحقيق طمأنينة وسعادة البشريَّة، تقدُّم قد يشبع الأجساد، ولكنه لا يطفئ ظمأ النُّفوس.

المال يمجَّد تمجيداً مبالغاً فيه، ويُسعى إليه بشتّى الطُّرق الشَّريفة وغير الشَّريفة، المشروعة وغير المشروعة، حتّى صار المثل الأعلى الوحيد، حتى أصبح العالم بحاجة ماسَّة لقانون أخلاقي يكفي لكبح جماح التَّردِّي في أحضان المادّة، والارتقاء بالإنسانيَّة إلى سلام حقيقي، بدل الاستهتار بالشُّعوب، والسَّعي إلى عولمة تصبُّها في قالب واحد على الشَّكل الَّذي يرتئيه القويُّ سلاحاً، فالمصير مظلم، على الرَّغم من الصُّورة الإعلاميَّة المنمَّقة المتخيَّرة الّتي يرسمها إعلام مسيطر كاذب، في الوقت الَّذي يتوخَّى فيه طمس أخبار وأحداث سجن أبو غريب، وما جرى ويجري في غوانتانامو من تعذيب، وتدنيس للقيم، وكأنَّه معسكر خارج مجموعتنا الشَّمسيَّة، لا يهم سكان كوكب الأرض من قريب أو بعيد!

وضحَّى الغرب بالأُسرة، فهرمت مجتمعاتهم، والتَّضحية بالأُسرة تضحية بالمجتمع كلِّه، ويسير العالم إلى كارثة إن لم يُزِل موجبات اليأس الحاضر، ويصوِّب المنهج بعد أن فسد.

تنازع بشري وحشي فتَّاك منذ هوريشيما وناغازاكي (٦ و ٩ آب ١٩٤٥م)، مشاهد مؤسفة مؤلمة، حتى وصل الأمر بالرَّئيس الأمريكي

السَّابق رونالد ريغن إلى القول: «أتمنَّى أن يكرمني الله بأن أضغط على الزِّرِّ النَّووي؛ حتّى تقع معركة هرمجدُّون، وأُعجل بالعودة الثَّانية للمسيح»[1].

وسمع العالم بوش الابن يدَّعي: ما أقوم به هنا وهناك، بأمر من الله، وهو بذلك يوحى إليه! فمرحى للمتفرِّد بالقرار الذي يرفض التَّوقيع على اتِّفاقات دوليَّة كثيرة، منها:

- اتِّفاقيَّة (كيوتو) الخاصَّة بالبيئة، والمتعلِّقة بشأن تخفيض انبعاث ثاني أكسيد الكربون، الّذي يُسيء إلى مناخ الكرة الأرضيَّة، علماً أن مصانع الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وحدها تطلق ٣٥٪ من ثاني أُكسيد الكربون المنبعث إلى الغلاف الجوِّي!

- والاتفاقات الدوليَّة بشأن المحكمة الدوليّة لمحاكمة مجرمي الحرب.

- واتِّفاقيَّة منع استخدام الألغام الأرضيَّة.

- الاتفاقيَّة الزِّراعيَّة في منظَّمة التِّجارة العالميَّة، والّتي أثارت أزمة بين الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وأُوربة من أجلها. وتطاولت الولايات المتَّحدة حتّى قالت: لا نعبأ برأي القارة الأُوربيَّة العجوز!

عدا عن أُسطورة أسلحة الدَّمار الشَّامل في العراق، الّتي اتُّخذت ذريعة للاحتلال، ولم يعثروا على دليل واحد بعد تفتيش سنوات.

* * *

(١) The Battle for Jerusalem، ولقد ترجم هذا الكتاب إلى العربيَّة.

الحضارة المادِّيَّة

تقدُّم علمي تقني وتخلٍّ عن القيم

قال (وليم فولبرايت) عضو الكونغرس الأمريكي السَّابق في كتابه: (حماقة القوَّة): «لقد وضعنا رجلاً على سطح القمر، ولكنَّ أقدامنا غائصة في الوحل».

وقال (وُل ديورانت) في وصف المجتمع الأمريكي في كتابه (مباهج الفلسفة): «إنَّنا أغلقنا كلَّ طريق يؤدِّي إلى الفضيلة والزَّواج، وفي الوقت ذاته، فتحنا كلَّ باب من أبواب الغواية والعلاقات غير الشَّرعيَّة».

الحرِّيَّة حُجِّمت بالجنس والانحراف، حتّى وصلوا إلى نكاح المحارم، والزَّواج المثلي، وفي تقرير لوزارة الدّاخليَّة البريطانيَّة أعدَّته لجنة من المختَّصين عام ١٩٧٥م، عرَّف الزَّواج بأنَّه علاقة (مساكنة) بين رجل وامرأة، أي إنَّ الزَّواج ليس مؤسَّسة، وإنَّما هو مجرَّد علاقة[١]، وبذلك نُقِلَت المرأة من أُنثى مكرَّمة، إلى أُنثى سلعة؛ من أُنثى قيم، إلى أُنثى جسد منفلت من القيم، لإشباع رغبة الرَّجل وشهوته.

* * *

مجتمع خُرِّبت لبنته الأُولى، مجتمع آيلٌ إلى الانهيار.

وسلطة متفرِّدة تكيل بمكاييل متعدِّدة، غيَّبت العدل، ورعت الظُّلم،

(١) D. H. Margan: The Family Politics and Social Theory, London, Routhedge and Kepan Poul 1985 PP. 24 - 25.

تهيِّئ للإرهاب مناخاً طبيعيّاً، وتدفعه دفعاً لممارسته، سلطة تسير مسرعة إلى نهايتها المشؤومة.

ودولة (ديمقراطيَّة) تستثني نفسها من الشِّرعة الدوليَّة، تستعمر الشُّعوب بقسوة وتجبُّر، وبسلاح فتَّاك محرَّم دوليّاً - الأُورانيوم المخصَّب أو(المستَنفَد)، والفوسفور المبيد في الفلُّوجة.. - مع تجبُّر لا يصغي إلى صرخة مظلوم، تتراكم عليها المشكلات أكثر وأكثر.

وسيسعى العالم الحرُّ إلى تحقيق حاجته المُلحَّة في الكرامة والحرِّيَّة، وامتلاك ثروته ليسعد بها، ولن يكون ذلك إلاّ بدحر الظُّلم، وإذا هُزِم الظُّلم انهارت دول الاستبداد:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٢٤/ ٥٥].

والحمد لله ربِّ العالمين أوَّلاً وآخراً.



جرائم بحق البشرية

من يحاسب مقترفيها؟

تمهيد

غزا أدولف هتلر الاتّحاد السُّوفييتي في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١م، مدَّعياً أنَّ ما فعله استجابة لوحي إلهي.

وغزا جورج بوش الابن أفغانستان في ٧ تشرين الأوَّل (أُكتوبر) ٢٠٠١م مدَّعياً أنَّه مكلَّف بمهمَّة إلهيَّة، وأنَّ ما يفعله بأمر من الله، وعلَّق خبراء الحروب بعد مشاهدة الوحشيَّة المفرطة، التي تمثَّلت باستخدام القنابل الفراغيَّة، الَّتي ألقتها الطَّائرات العملاقة (TU2)، وبالقنابل الموجَّهة ضدَّ التَّحصينات (GBU- 28) القادرة على خرق الإسمنت حتَّى عمق ٣٠ متراً تحت الأرض... علَّق الخبراء قائلين: إنَّ إله بوش الَّذي أمره بهذا، إله ظالم لا يعرف الرَّحمة!

وفي ٢٦ شباط (فبراير) ٢٠٠٣م، وعلى عَشَاءِ عملٍ منظَّمة المعهد الأمريكي للمشاريع (L'American Enterprise Institut) ألقى بوش خطاباً مطوَّلاً، ذكر فيه الحرب ضدَّ الإرهاب لتأديب الحكومات الخارجة عن القانون، والمزوَّدة بأسلحة الدَّمار الشَّامل، وبدأت الحرب على العراق في ٢٠ آذار (مارس) ٢٠٠٣م، ومسوِّغ الحرب على العراق - بلا قرار من مجلس الأمن - أسلحة الدَّمار الشَّامل، وبعد الاحتلال بأعوام، تساءل النَّاس: أين هي هذه الأسلحة، وقد سيطرتم على كلِّ أرض العراق؟

وفي ٥ شباط (فبراير) ٢٠٠٣م قدَّم وزير الخارجية الأمريكي كولن باول

للأمم المتَّحدة أدلَّة، لكنه لم يتوصَّل إلاَّ لإقناع نفسه، بمقدار ما تؤدِّي إليه الأدلَّة التي ادَّعى معها وجود قرائن.

وفي ١٢ نيسان (إبريل) ٢٠٠٣م وصل عامر حمودي حسن السَّعدي، مستشار الرَّئيس العراقي للشُّؤون العلميَّة إلى أمريكة، فأكَّد ثانية عدم امتلاك العراق لأسلحة الدَّمار الشَّامل.

وفي تموز (يوليو) ٢٠٠٣م ذهب هانس بليز Hans Bliz كبير المفتِّشين في الأمم المتحدة إلى أبعد من ذلك، فوصف بعض أفراد الإدارة الأمريكيَّة بأنَّهم قذرون، لأنَّهم زوَّروا نتائج التَّفتيش على هواهم، وتساءل: أين ما يثبت صفقة اليورانيوم النيجري إلى العراق؟.

ومستشار وزارة الدِّفاع للشُّؤون العلميَّة، الخبير بأسلحة الدَّمار الشَّامل، الذي كان يحمل لقب مفتِّش في نزع السِّلاح من العراق، انتحر في ١٧ تموز (يوليو) ٢٠٠٤م.

والحكومة البريطانيَّة برئاسة بلير، كذَّبت حينما نسبت إلى العراق وجود أسلحة لا يملكها، واختفى دافيد كيلي David Kelly المصدر الرَّئيسي للمعلومات في هيئة الإذاعة البريطانيَّة B.B.C، الذي سمح للصَّحفي آزورو جيليكان أن يؤكِّد في تلك القناة، أنَّ الحكومة البريطانيَّة كانت قد كذبت حينما نسبت إلى العراق وجود أسلحة لا يملكها.

(الدِّيمقراطيَّات) الضَّارة بمصالح أمريكة، الموافقة لمصلحة الشُّعوب وإرادتها، لا يُتَرَدَّدُ في معاداتها ومحاصرتها، والتَّضييق عليها وتجويعها، كما في تشيلي وفنزويلا.. وأخيراً في فلسطين المحتلَّة.

وديكتاتوريُّون راكعون أمامهم، لا يتردَّدون في دعمهم وتبريكهم والثَّناء عليهم، وتقديم المعونات لهم، وزيارتهم لإعلان الرِّضا عن قمعهم للمعارضة الرَّافضة للركوع والخنوع، المتمسِّكة بالكرامة الوطنيَّة.

جرائم بحقِّ البشرية، سنستعرض في هذا الكُتَيِّب أهمَّها موثَّقة، ثمّ نتساءل: من سيحاسب مقترفيها؟ والنِّظام الدَّولي ذو القطب الواحد المتفرِّد بالقرار، لا تردعه قيم، ولا معايير ضابطة.

نسجِّل للتَّاريخ وللأجيال.

فكثيرون يذكرهم التَّاريخ فيلعنون لظلمهم، ولأعمالهم القبيحة، وآخرون يذكرون فيثني عليهم التَّاريخ، ويترضَّى النَّاس عنهم لفعالهم الإنسانيَّة الرَّحيمة.

دمشق في ١٠ رجب ١٤٢٧هـ
١٤ آب (أغسطس) ٢٠٠٦م

* * *

جرائم في حقّ البَشريَّة

- حرب فيتنام من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٣م، خاضها ٥٥٠,٠٠٠ جندي أمريكي، وممّا فعلته أمريكة فيها؛ استخدام أسلحة كيميائيَّة تُتْلِف أوراق الشَّجر، تسبَّبت في تخريب الغابات تخريباً كاملاً، وألحقت أضراراً بالمدنيِّين.

- وبسبب قصف كمبودية الوحشي أيَّام نيكسون، رأى عدد لا بأس به من المسؤولين الأمريكيِّين تقديم هنري كيسنجر وزير الخارجيَّة آنذاك للمحاكمة في جرائم الحرب.

- في لاووس، خلال خمس سنوات، تعرَّضت مناطقها إلى ٢٠٠,٠٠٠ غارة جوِّيَّة، بمعدَّل ١١٠ غارات يوميّاً، ونزل عليها أكثر من مليوني طن من القنابل، وهذا يفوق مجموع ما أُلقي على أوربة خلال الحرب العالميَّة الثانية، ممَّا سبب تفكُّكاً في حياتها الاجتماعيَّة على نحو كامل.

- وقبل التَّوقيع على اتِّفاق باريس في ٢٧ كانون الثَّاني (يناير) ١٩٧٣م المتعلِّق بوقف الحرب في فيتنام وانسحاب الجيش الأمريكي، قصفت أمريكة قصفاً مدِّمراً مدينتي هانوي وهايفونغ، استعملت فيه ١٢٩ قنبلة من طراز ٥٢، تسبَّبت بقتل ١٣٠,٠٠٠ شخص.

- العدوان الأمريكي على تشيلي عند تولِّي سيلفادور آلاند السُّلطة، بعد انتخاب ديمقراطي في ٤ تشرين الثَّاني (نوفمبر) ١٩٧٠م، على الرَّغم من غياب قرار لمنظمة الأمم المتحدة يسمح بالحرب(١)!

---

(١) LES AGRSSIONS Meuntrieres Et Illegales Des Etats - Unis, Poul GRANEL, LABRUYERE Editions, Paris, 2005.

اليورانيوم المُنَضَّب...

ذروة جبل الجليد فقط

٣٠٠ - ٣٢٠ طن من اليورانيوم المنضَّب (أو المستنفد) استخدم في حرب الخليج الثّانية، مقابل تسعة أطنان في كوسوفو عام ١٩٩٩م، وثلاثة أطنان في البوسنة من عام ١٩٩٢ - ١٩٩٥م.

واليورانيوم المنضَّب الذي استخدمته الولايات المتحدة الأمريكيَّة؛ عند أطراف القذائف والطَّلقات، لزيادة قدرتها على اختراق المدرَّعات، يتحوَّل إلى غبار سام، له أثر إشعاعي عند الاصطدام، وتؤدِّي هذه الإشعاعات لأضرار ذات سموم عالية جدّاً، ويؤدِّي أيضاً إلى أضرار ذات خصائص إشعاعيَّة، حيث يبثُّ هذا المعدن إشعاعات ذات أضرار بيئيَّة خطيرة على الإنسان والحيوان والنَّبات[1].

تمَّ اكتشاف عدَّة قنابل في صحراء الكويت حاملة لمادَّة اليورانيوم المستنفد. بالإضافة إلى وجود عدد هائل من المدرَّعات المدمَّرة بذخيرة كانت تحمل مادَّة اليورانيوم.

ورُصِدَت عدَّة حالات لمصابين بأمراض سرطانيَّة في دول الخليج، وخصوصاً الكويت، وشمال شرق الجزيرة العربيَّة، والعراق، وقد ظهرت أعراض خطيرة مثل بقع جلديَّة، واضطرابات في النَّوم، وصُداع غريب، ونقص في التَّركيز.

سكوت باترسون - الصَّحفي البريطاني، كتب من البصرة - استخدمت

(١) www. alhramain. com /text/ nshrah/ 53/aljremch.htm

القوات الأمريكيَّة ٣٢٠ طنّاً من اليورانيوم؛ لتدمير أربعة آلاف دبابة وعربة مدرَّعة عراقيَّة عام ١٩٩١م، وهي جسيمات مُشِعَّة، ويحتاج اليورانيوم المستنفد إلى أربعة مليارات ونصف المليار سنة، حتى يفقد نصف قدرته الإشعاعيَّة فقط(١).

الدكتور عبد الكريم صابر، طبيب بمشفى الأطفال في البصرة، لديه ثلاثة مصنَّفات صُوَر (ألبومات) ممتلئة بصور الأطفال ناقصي النُّموِّ، والمشوَّهين بسبب اليورانيوم المستنفد.

وصحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) زار مندوبها البصرة عام ١٩٩٨م، والتقى بالدكتور تامر أحمد حمدان، الذي عرض عليه صندوقاً به أفلام أشعَّة إكس، تصوِّر التشوُّهات الخلقيَّة عند العراقيين.

والدكتور جواد خالد علي مدير قسم السَّرطان في مشفى البصرة، يقول: إنَّ معدَّل الإصابة بالسرطان زاد حالياً بمقدار أحد عشر ضعفاً، مقارنة بما قبل حرب الخليج الثانية.

المذبحة الخفيَّة، فيلم عن الفلُّوجة

الحقيقة سوف تظهر، والنَّاس سيتعرَّفون عليها، هذه مجرَّد بداية، (جيف إنغلهارت) أحد الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في الفلُّوجة يعترف: معركة الفلُّوجة كانت مذبحة، فقد قصفنا كلَّ ما يمكن قصفه، لم تكن معركة، وإنَّما كانت مذبحة جماعيَّة.

واستُخْدِم الفسفور الأبيض والنَّابالم ضد المدنيِّين، الذي تستخدم قنابله الآن تحت اسم (M. K. 77).

(١) www, suhuf,net, sa/2002 jaz/ dec/31/du 22.htm

أَليس ماهون

النَّائبة البريطانيَّة السَّابقة، أوَّل من حشد أعضاء البرلمان البريطاني ضد مشاركة القوات البريطانيَّة في حرب العراق، وأبرز المستجوبين لبلير وحكومته حول التَّدخُّلات المختلفة في العراق، كما أنَّها كانت من أبرز المستجوبين لوزير الدولة لشؤون الدِّفاع (آدم إنغرام) حول الأسلحة المحرَّمة التي استخدمت في العراق، وكانت مصدراً أساسياً لمنتجي فيلم (الفلوجة، المذبحة الخفيَّة)، بقيت عضواً في البرلمان البريطاني عن دائرة هالي فاكس منذ العام ١٩٨٧م، حتَّى شهر أيَّار (مايو) ٢٠٠٥م، حيث رفضت الترشُّح بعد ثمانية وعشرين عاماً قضتها في البرلمان احتجاجاً على استمرار مشاركة بريطانية في الحرب على العراق.

وأَليس ماهون عضو الجمعيَّة البريطانيَّة لحلف النَّاتو من العام ١٩٩٢م حتى العام ٢٠٠٥م، وعضو اللَّجنة المشتركة بين روسية وحلف الناتو، وعضو المجلس الوطني لاتحاد المطالبة بالتَّخلُّص من الأسلحة النوويَّة، وعضو تحالف أوقفوا الحرب ضد العراق، وعضو لجنة من أجل السَّلام في البلقان.. استضافها الأستاذ أحمد منصور في برنامج (بلا حدود) في ٧/ ١٢/ ٢٠٠٥م، وكان عنوان الحلقة: (استخدام الأسلحة المحرَّمة دوليّاً في العراق)، وكان ممّا قالته في هذه الحلقة[١]:

هناك أُناس خرجوا من الفلُّوجة وتحدَّثوا عن أطفال ونساء بدوا وكأنَّهم قد ذابت جثثهم. (الإندبندنت) في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٥م، كشفت أنَّ آلاف القنابل العنقوديَّة غير المتفجرة التي استخدمها البريطانيُّون ضد الأبرياء بعد عامين ونصف العام لم تنفجر، القنابل العنقوديَّة التي تشبه ألغاماً أرضيَّة ذات أجنحة تهبط على الأرض، والنَّاس الذين

(١) www.aljazeera.net/ channel/aspx/print,htm

يتضرَّرون منها هم الأطفال، ومن يعمل في المزارع والحقول، وتبقى في الأرض لعقود بعد إلقائها.

وتقول السَّيِّدة أليس ماهون أيضاً: وزير الدَّولة البريطاني لشؤون الدِّفاع (آدم إنغرام) لم يعترف بهذا، وقال: لم نستخدم الفوسفور الأبيض والنَّابالم بالتَّأكيد، إنه يكذب طبعاً.

وقال (داي وليامز) خبير الأسلحة البريطاني، في مداخلته في البرنامج المذكور: جيل جديد من الأسلحة التي تُصَنَّع من اليورانيوم المنضَّب (أو المستنفد)، وهناك أسلحة أُخرى تمَّ تطويرها لاستخدامها رؤوساً حربيَّة، تركَّب على صواريخ مصنوعة من اليورانيوم المنضَّب، وربَّما توصَّلنا إلى تحديد نحو أربعة من النُّظم الصَّاروخيَّة هذه.

من قنابل اليورانيوم ما يُنْتِجُ حرارةً عالية جدّاً، فالضَّحايا لا يحترقون، ولكن جثثهم تتحوَّل إلى فحم.

وتابعت السَّيِّدة أليس ماهون قائلة: واستخدمت قنابل نوويَّة صغيرة الحجم.

الأستاذ أحمد منصور: اعترف العقيد السَّابق (تيم كولينز)، في ٢ تشرين الثَّاني (نوفمبر) ٢٠٠٤م، وهو قائد القوَّات البريطانيَّة السَّابق في العراق، في اعتراف نشرته (صانداي تليغراف) أنَّه درَّب قوَّاته على استخدام الفوسفور الأبيض في هجوم خُطِّط له في نيسان (إبريل) ٢٠٠٤م، وهو وقت معركة الفلُّوجة، وأنه وجَّه رجاله لاستخدام الفوسفور الأبيض في العمليَّة المقرَّرة في البصرة ومحيطها عند الحاجة.

وتابع الأستاذ أحمد منصور قائلاً: تيم كولينز في (الإندبندنت) في عدد ٢ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ٢٠٠٤م، شنَّ هجوماً كبيراً على رئيس الوزراء البريطاني (توني بلير)، وحمَّله مسؤوليَّة الكارثة التي لحقت بالعراق، وفي

اليوم نفسه في صحيفة (صانداي تايمز)، رئيس أركان الجيش البريطاني السَّابق الجنرال (مايكل والكر)، قال: إنَّ الفوز بالحرب في شكل كامل، ليس ممكناً، وقال: نحن، إذا شئتم مذنبون، لأنَّنا شاركنا في اتِّخاذ قرار خوض حرب يعارضها كثيرون في هذا البلد.

هناك ستَّة آلاف ضابط بريطاني استقالوا خلال عام ٢٠٠٤م، بسبب حرب العراق، وهذا يعني الكثير بالنِّسبة إلى البريطانيِّين.

وكان آخر ما قالته السَّيِّدة أَليس ماهون في هذه الحلقة التِّلفزيونيَّة: أنا أتذكَّر صورة الأُم التي كانت تركض بعد رؤية ابنتها وجسدها يحترق بفعل نيران النَّابالم، واعتقد حقيقة، يجب أن تُبَثَّ هذه الصُّور في هيئاتنا الإذاعيَّة والتِّلفزيونيَّة، فالنَّاس تتوحَّد مشاعرهم مع مثل هذه الصُّور، ويزداد عدد الذين يقفون ضد هذه الحرب، ويدركون ماتعنيه الحرب.

هذا.. وعلى موقع سرِّي خاص بِـ C. S. I للأُمم المتحدة (قنوات خلفيَّة)، اعتراف بإلقاء قنابل نوويَّة تكتيكيَّة مصغَّرة، خصوصاً قبل استعادة القوات الأمريكيَّة لمطار بغداد الدولي، سبَّبت انصهاراً كاملاً للحديد والإنسان!.

* * *

خاتمة

- ملجأ بغداد، ضُرِب بصاروخ موجَّه من سفينة حربيَّة أمريكيَّة في مياه الخليج، ضد مدنيِّين يجتمون فيه، في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٩١م.

- سرقة متحف الآثار ببغداد التي لا تقدّر بثمن، وحرق المكتبة الوطنية فيها، تحت أنظار الأمريكيِّين المحتلِّين اللاَّمبالين، وكانت دبابة أمريكية واحدة كافية لحمايتها، كما حمت دبابة واحدة بناء وزارة النِّفط.

- ما جرى في سجن أبي غريب، وما جرى ويجري في معتقل غوانتانامو، لم تراعَ فيهما أبسط حقوق الإنسان.

- الإجهاز على الجرحى المدنيِّين وقتلهم في مساجد الفلُّوجة بدم بارد، مع تدنيس للمساجد وهدمها بحجَّة وجود عناصر من المقاومة فيها.

- قصف مكتبَيْ قناة الجزيرة الفضائيَّة في كابل وبغداد، ونشرت صحيفة (الدِّيلي ميرور) تقريراً خطيراً تضمَّن عزم بوش على قصف مكاتب الجزيرة في قطر، ومنع توني بلير نشر نصِّ التَّقرير حتَّى اليوم.

- في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٥م قتل ٢٤ عراقياً بدم بارد على يد (المارينز) في منطقة الحديثة غربي بغداد بينهم عدد كبير من النِّساء والأطفال بحجَّة تعرُّض دوريَّة أمريكيّة لكمين في المنطقة، (تشرين ٢١/ ٥/ ٢٠٠٦م، ص١٢، العدد ٩٥٦٧، والثَّورة ٢١/ ٥/ ٢٠٠٦م، ص١٠، العدد ١٣٠١٥)، ناهيك عن مجزرتي الرَّمادي والقائم.

- وجرائم إسرائيل في الأرض المحتلة كُتِبَ عنها الكثير من مذابح دير ياسين، إلى مجزرة قانا الأولى ١٩٩٦م، ومجزرة قانا الثانية صباح الأحد ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦م، حيث ذهب ضحيتها أكثر من ٦٠ شهيداً، معظمهم من الأطفال.

وضنَّت الولايات المتحدة في مجلس الأمن عن قرار يدين اغتيال الشيخ أحمد ياسين، الذي قُصِفَ وهو على كرسيِّه النَّقال وقد غادر المسجد بعد صلاة الفجر في ٢٢ آذار (مارس) ٢٠٠٤م، واغتال العدو الصُّهيوني بعده بأيام الدكتور عبد العزيز الرّنتيسي في ١٧ نيسان (إبريل) ٢٠٠٤م.

إنَّها اغتيالات لشعب يقاوم - بشرعيَّة - قوات احتلال، ووُصِفَت المقاومة بالإرهاب، ووُصِف شارون برجل السَّلام، والعجيب الغريب تنصُّلُ الغرب كلِّه، وعلى رأسه الولايات المتحدة، من تعريف يُعْتَمد للإرهاب، لِتَعْرِفَ بموجبه الإرهابيَّ، مِنْ رجل السَّلام! ويتحدَّد بذلك معنى المصطلح.

جرائم بحقِّ البشريَّة، وما يحرصون على إخفائه أعظم، من يحاسب مقترفيها؟ لعلَّ محكمة دوليَّة من عقلاء من جنسيات مختلفة، تقدِّم بوش، وبلير، وشارون، لمحاكمة عادلة نزيهة في قادمات الأيَّام.



مستخلص

كتاب يتضمن مجموعة من الردود والتعليقات الساخنة على أحداث مهمة، على الساحة العالمية في أوائل القرن الواحد والعشرين.

تندرج الردود تحت ثلاثة محاور؛ المحور الأول بعنوان ((إسلام ومسلمون: هل الإصلاح ممكن؟)) وفيه موضوعات عن الدعوة لوحدة المسلمين وتصحيح أخطاء تاريخية، وعن الإسلام ولجنة الصليب الأحمر وحوار مع الفاتيكان، وأسباب سقوط العالم الإسلامي.. والمحور الثاني حمل عنوان ((حرية الرأي على الطريقة الغربية))، وتناول فيه هجوم الغربيين على الإسلام من خلال الصور المسيئة للنبي ﷺ، وغمزَ بابا روما بالإسلام وحضارته واصطناعَهم قرآناً مفترى، واستياءهم من المناهج الإسلامية وضغطهم لتغييرها.. والمحور الثالث ((أمريكة القطب المتفرد، ولكن..)). بحث فيه تصرفات أمريكة في الشرق الأوسط، بهجومها المغولي على بغداد، وبتسلطها على مجلس الأمن، وتفردها بالقرار، وبجرائمها بحق البشرية.

في الكتاب إضاءات حول نقاط مهمة يتناولها الناس في حياتهم اليومية بفهم خاطئ، أو عدم مبالاة، يقف فيها المؤلف عند جملة من التفصيلات الضرورية، والبيانات الضرورية..

الكتاب يقدم مواقف إسلامية وعربية واضحة من الممارسات التي تَطلُعُ بها الدول الغربية، أو تجري في البلدان العربية بظروفها غير المقبولة.

Abstract

This book includes a collection of replies as well as warm comments on significant events that have taken place on the global scale at the beginning of the twenty first century.

The replies are included under three pivots. The first is under the heading of "Islam and Muslims: Is There a Way to Reformation?" It includes topics related to the call for Muslims' unity and correcting historical mistakes; Islam and the Committee of the Red Cross; the Dialogue with the Vatican, and the Causes Lying behind the Collapse of the Islamic World. The second pivot bears the heading of "Freedom of Opinion in accordance with the West", in which it tackles the Westerners' campaigns against Islam through the pictures abusing the Prophet (pbuh), Rome Pope's allusion against Islam and its civilization, their manufacture of a fabricated Qur'an, their disappointment with the Islamic curriculums and the pressure they experience to alter them. The third pivot, which bears the heading of "America: The Appropriating Pole, but ..", in which it discusses the US behavior in The Middle East by its Mongolian attack of Baghdad, USA's domination of the Security Council, its appropriation of making decisions and the crime it commits against humanity.

The book also highlights significant points that people deal with in everyday life, under misunderstanding or indifference, at which the author pauses to give necessary explanations and data.

It also presents clear Arab and Islamic attitudes towards the actions that the Western states take up, or take place in the Arab states in their unacceptable circumstances.

Islam..No More!

Al-Islām wa-Kafá

By: Dr. Shawqī Abū Khalīl

هذا الكتاب وجبات سريعة ودسمة، عشرون وجبة تهمّ القارئ الحصيف لأنه يقدم فكراً نيّراً ويميط اللثام عن قضايا ساخنة نحياها، تجري فيها ممارسات خاطئة سواء من الغربيين أم من المنحرفين في الشرق.. يجب أن يطلّع عليها كل مخلص ويُنبَّه عليها كل غافل مثل دور المسلمين الدعوي وحوارهم مع الآخرين ومسألة اتحادهم، وقضايا الهجوم على مقدساتهم وأعرافهم وغزو أراضيهم وارتكاب الجرائم ضدهم..

إنه كتاب يستحق أن يكون في كل بيت، وأن يقرأه كل مثقف حصيف.. وأن يناقش ما فيه.



ISBN 1-59239-697-6
9 781592 396979